تفريغ محاضرات برنامج التأصيل العقدي

مقرر الفصل الأول لمادة:

توحيد الأسماء والصفات

فضيلة الأستاذ الدكتور:

عبد القادر بن محمد عطا صوفي

المحاضرة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد وعلى آله و أصحابه أجمعين

حياكم الله أيها الإخوة والأخوات في مطلع بدء برنامجنا برنامج التأصيل العقدي الذي تقيمه الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب ، وحياكم الله في هذه المادّة التي هي أشرف مواد العقيدة لتعلقها بربنا ومولانا تبارك وتعالى في الحديث عن أسمائه و صفاته جل وعلى فشرف العلم من شرف المعلوم ولا معلوم أشرف ولا أجلّ من الله عز وجل يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله **" العلم بالله وما يستحقه من الأسماء والصفات لا ريب أنه مما يفضل الله به بعض النّاس على بعض أعظم مما يفضلهم بغير ذلك من أنواع العلم."**

فالمباحث التي سأتطرق إليها بحول الله تعالى في توحيد الأسماء والصفات، والكلام عن الله عز وجل وعن أسمائه وصفاته تبارك وتعالى، والعلم بأسماء الله تعالى وصفاته كما مرّ معنا هو أشرف العلوم، بل إن الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته داخل في الإيمان بالله تعالى والإيمان برسوله ﷺ والإيمان بكتابه

فالإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بوجوده والإيمان بربوبيته والإيمان بانفراده بالألوهية والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الواردة في كتابه العزيز والثابتة عن نبيه الصادق الأمين ﷺ

نؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل

ولنتأمل معا في قول العلامة ابن القيم رحمه الله عندما تكلم عن التصديق ب (لا إله إلا الله) قال

" إن التصديق الحقيقي ب (لا إله إلا الله) يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة، فلا يكون العبد مصدقا بها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، ولا يكون مؤمنا بالله إله العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله، ولا يكون مؤمنا بأن الله لا إله إلا هو، حتى يسلب خصائص الإلهية عن كل موجود سواه ويسلبها عن اعتقاده وإرادته كما هي منفية في الحقيقة والخارج، ولا يكون مصدقا بها (يعني مصدقا بلا إله إلا الله) **من نفى الصفات العليا ولا من نفى كلامه وتكليمه سبحانه وتعالى ولا من نفى استواءه على عرشه، وأنه يُرفع إليه الكلم الطيب والعمل الصالح ، وأنه رفع المسيح إليه وأسرى** (عرج) **برسوله ﷺ إليه ، وأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ، إلى سائر ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ " ا هـ**

فكلام ابن القيم رحمه الله ، يبين أن الإيمان بالله تعالى يستوجب الإيمان بأوصافه والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والتصديق الحقيقي لمن يقول لا إله إلا الله ، حتى يكون صادقا فيها ويصدّق بشعبها وفروعها كلها ومنها الإيمان بأسماء الله وأوصافه

وقريب من كلام ابن القيم، أتى كلامه شيخه رحمه الله ابن تيمية عندما قال : ما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عزّ وجلّ من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول ، وجب الإيمان بها كذلك ، وبدأ يذكر رحمه الله هذه الأحاديث الصحيحة التي أخرجها أئمة أهل السنة في كتبهم، في السنن والمسانيد والكتب الصحاح، ومنها نزول الرب تبارك وتعالى

الحديث المتفق عليه، قول الصادق المصدوق ﷺ ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له))

كذلك ذلك حديث فرح الرب تبارك وتعالى بتوبة عبده ((لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم برحالته))

وقوله ﷺ ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة))

وقوله ﷺ ((عجب ربنا من قنوط عباده وقُرب غِيَرِه ينظرُ إليكم أزِلين قَنِطين فيظلّ يضحك يعلم أن فرجكم قريب))

وقوله ﷺ ((لا تزال جهنم يُلقى فيها وهي تقول هل من مزيد، هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول، قطِ قط))

وقوله ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى (يا ءادم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) الحديث المتفق عليه

وذكر رحمه الله تعالى أحاديث كثيرة كلها في إثبات صفات الرب تبارك وتعالى، ثم ختم هذه الأحاديث بقوله رحمه الله تعالى [فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك]

يعني يؤمنون بكل هذه الأحاديث التي أخبر فيها ﷺ عن ربه عز وجل، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز، يعني لا يفرقون بين الكتاب وصحيح السنة، فكلّ من عند الله تبارك وتعالى ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة اهـ كلام ابن تيمية رحمه الله

إذا الإيمان بالله تعالى لا بد أن نؤمن بأسمائه وصفاته كما أخبر

وكذلك الإيمان برسولنا ﷺ لا يتحقق إلا بالتصديق بما أخبر ﷺ به عن ربه عز وجل، وقد أخبرنا عن كثير من أسماء الله تعالى وعرفنا على كثير من صفاته سبحانه وتعالى

وقد سُئل ابن تيمية عن رجلين تباحثا في مسألة الإثبات والصفات والجزم بإثبات العلو على العرش فأجاب :

الحمد لله رب العالمين ، يجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي ﷺ، فما جاء به القرءان العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل ، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى ، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة ، إذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه، وقد قال الله تعالى { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ }

وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام لا يحتاج إلى تقريره هنا ، وهو الإقرار بما جاء به النبي ﷺ وهو ما جاء به من القرءان والسنة

وذكر شيخ الإسلام جملة من الأدلة بما فيها وجوب الإيمان برسول الله ﷺ ، الذي أرسله الله تبارك وتعالى بالكتاب والسنة، وأمر بطاعته { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ} ، { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}

ومما جاء به الرسول ﷺ، إخباره عن ربه تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته، فرسول الله ﷺ تركنا على البيضاء ليلها كنهارها فأخبرنا ﷺ عن أسماء الله تعالى وصفاته

يقول ابن تيمية إذا تبين هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر عن الله تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرءان والسنة الثابتة عنه، كما كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فهؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرءان والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل

إذن الإيمان برسول الله ﷺ لا يتحقق إلا بالإيمان بما أخبر به ، ومما أخبر عنه أسماء الله تعالى وصفاته سبحانه وتعالى، وهذا معنى شهادتنا أن محمدا رسول الله ﷺ

كذلك الإيمان بكتاب الله لا يتحقق إلا بالإيمان بالأسماء والصفات لأن القرءان المجيد عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات الرب سبحانه وتعالى وأسمائه وأفعاله وأنواع حمده والثناء عليه والإنباء عن عظمته وعزته وحكمته وأنواع صنعه والتقدم إلى عباده بأمره ونهيه على ألسنة رسله، فالقرآن كله بيان لصفة الله عز وجل، فهو إما إخبار عن ذات الله وصفاته أو عما صنعه بأوليائه من الرسل والمؤمنين وهذا بيان أفعال وإكرامه وإحسانه أو عما أحله بأعدائه وهذا من صفاته ، فالقرآن من أول بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إلى آخر سورة الناس كله بيان لصفات الله تعالى ولا تكاد تخلو آيات من آياته من صفة لله سبحانه وتعالى أو اسم من أسمائه الحسنى

وقد قارن ابن تيمية رحمه الله عن النصوص التي أخبرت عن صفات الله تعالى وعن النصوص التي أخبرت عن اليوم الآخر، فخرج بهذه النتيجة ، فإن صفات الله أخبرت بها الرسل أعظم مما أخبرت بمعاد الأبدان، ويقول : ولهذا كانت التوراة مملوءة من إثبات صفات الله وأما ذكر المعاد فليس هو فيها كذلك، حتى قد قيل إنه ليس فيها ذكر المعاد

والقرءان فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعال ، أكثر من ذلك الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لأسماء الله وصفاته أعظم قدرا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بن كعب : أتدري أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، فضرب بيده في صدره وقال ليهنك العلم أبا المنذر

وأعظم سورة ، سورة أم القرآن كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد في الصحيح ، قال له النبي ﷺ إنه لم ينزل في التوراة ولا الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته، ففيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد، وكذلك سورة الإخلاص فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال عنها أنها تعدل ثلث القرآن ، وثبت في الصحيح أنه بشر الذي كان يقرؤها

ويقول لأني أحبها لأنها صفة الرحمن ، فبشره أن الله يحبه ، ويحب الذي يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى

إذن، هذا يشعرنا بأهمية الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، ويشعرنا بوجوب الاهتمام بمعرفتها ، ووجوب مدارستها والحرص على تعلمها، فالإيمان بالله يتضمن الإيمان بصفاته، والإيمان برسوله ﷺ يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله (الله تبارك وتعالى) والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسول الله ﷺ يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله عز وجلّ

هذا القدر الذي ذكرنا ، فيه بيان أهمية العلم بأسماء الله تعالى وصفاته

وفي النقطة التالية سنتكلم عن منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، كي تتضح الموافقة التي كان عليها أهل السنة والجماعة في هذا الباب لما علي السلف الأوائل رحمهم الله تعالى من الصحابة والتابعين لهم وتابعيهم في إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وفي نفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وبهذا يُعلم أن منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب موافق لما كان عليه السلف الأوائل، وهذا يدل على أن هذا الاسم الذي حملوه لائق بهم لأن أهل السنة والجماعة من كان مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه قولا وعملا واعتقادا،

وسيكون الحديث في هذا الفصل الدراسي (إن شاء الله) عن أسماء الله تعالى وصفاته العليا ضمن قواعد ومباحث محددة

مقدمة توضيحية :

نبين من خلالها منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، ونقول بين يدي هذه المقدمة ، اعلموا أيها الأفاضل أن العلم بأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى أشرف العلوم ، فشرف العلم من شرف المعلوم ، ولا معلوم أشرف ولا أجلّ من الله عز وجلّ

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

العلم بالله وما يستحقه من الأسماء والصفات، لا ريب أنه مما يفضل الله به بعض الناس على بعض أعظم مما يفضلهم بغير ذلك من أنواع العلم

فمباحث هذه المادة في توحيد الأسماء والصفات، وهذا يضفي عليها أهمية عظمى لأن التوحيد ومنه توحيد الأسماء والصفات أول الدين وآخره ،

وبين يدي بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات نبين أولا من هم أهل السنة والجماعة، لعل الإخوة وفقهم الله انتبهوا أن هذا المصطلح مركب تركيبا إضافيا ، فأضيفت أهل إلى السنة والجماعة

وأهل الشيء هم المختصون به، ويقال أهل الرجل: أخص الناس به، وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدينون به،

وقد أضيفت هذه الكلمة إلى السنة، والسنة في اللغة

- الطريق المسلوكة
- ويراد بها السيرة، لذلك يقال : عن سنة رسول الله ﷺ، إن سيرته ﷺ التي كان يتحراها ، يُقال عنها سنة، فما ثبت عنه من أقواله التي قالها، أفعاله فعلها، وصفه ﷺ أو تقريره ﷺ ، كل ذلك يُسمى سنة

لذلك عرف العلماء السنة بأنها كل ما نقل عن رسول الله ﷺ ، من قول أو فعل أو وصف أو تقرير

الجماعة : في اللغة من الجمع، وهو ضم الشيء بتقريب بعضهم من بعض، يقال جمعته فاجتمع ، يدل على تضامّ الشيء كما قال أهل اللغة

الجماعة لغة هم العدد الكثير من الناس ، أو القوم المجتمعون على أمر ما

أو طائفة يجمعهم غرض واحد

لكن الجماعة شرعا هم : رسول الله ﷺ وهم أصحابه وتلاميذهم التابعون وتابعوا التابعين، من تبع الصحابة وتبع تلاميذهم بإحسان ، هؤلاء يقال لهم الجماعة لأن رسول الله ﷺ ، في حديث الافتراق سُئل عن الفرقة الناجية فقال مرة معرّفا بها ((ما أنا عليه وأصحابي)) وقال في مرة أخرى ((هم الجماعة)) فالجماعة هم رسول الله وأصحابه والتابعون وتابعوهم بإحسان

لذلك نستطيع بعد أن عرفنا المفردات كلا على حدى : السنة / الجماعة / أهل

نقول أن أهل السنة والجماعة هم المختصون بمتابعة رسول الله ﷺ وأصحابه في الأصول والفروع، وقيل في تعريفهم : من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه اعتقادا وقولا وفعلا

والجماعة لا يُقصد بهم هنا من الناحية الشرعية، مجموع الناس وعامتهم ولا أغلبهم ولا سوادهم ما لم يجتمعوا على الحق، ما لم يكونوا متبعين لرسول الله ﷺ وأصحابه ، ما لم يكونوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

لأن الجماعة هي التمسك بالكتاب والسنة، ولو كنت وحدك ، كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك]

فهؤلاء هم الجماعة

وأهل السنة والجماعة هم من كانوا مختصين بمتابعة رسول الله ﷺ وأصحابه ومتفقين على اقتفاء منهجهم في أقوالهم واعتقاداتهم وأعمالهم ويمكن أن يقول الإنسان إن هؤلاء أيضا يُقال لهم السلف باعتبار المتابعة

لأن السلف في اللغة جمع سالف، والسالف هو المتقدم

والسلف هم الجماعة المتقدمون، وسلفنا نحن هم الصحابة رضي الله عنهم واقتفى أثرهم من أتباعهم من تلاميذهم ومن نحى نحوهم من تلاميذ تلاميذهم ، فهم القرون الثلاثة التي أثبت لهم رسولنا ﷺ الخيرية بقوله ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) ومن كان موافقا لهؤلاء الأبرار في منهجهم في أقوالهم وأعمالهم واعتقادهم يقال له سلفي باعتبار المتابعة

منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات

الأسماء والصفات في منهج أهل السنة والجماعة تؤخذ من الكتاب والسنة فقط ، فيوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله عليهم الصلاة والسلام نفيا وإثباتا، فيُثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ

لذلك الإثبات عند أهل السنة والجماعة يرافقه التنزيه ، فنقول يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة خلقه لأن ربنا تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، ونقطع الطمع عن إدراك كيفية صفاته ، فالبحث في صفات الله تعالى ينبني عند أهل السنة والجماعة على ثلاثة أسس

- الأساس الأول : التنزيه
- الإثبات
- قطع الطمع عن إدراك الكيفية

يقول العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ، ذاكرا أنواع التوحيد :

النوع الثالث : توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين ، الأول تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم كما قال تعالى { ليس كمثله شيء }

والثاني الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله ، كما قال بعد قوله { ليس كمثله شيء } { وهو السميع البصير }

مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف

اهـ كلام الشنقيطي رحمه الله تعالى

إذن ذكر أسسا ثلاثة، ولنستعرضها واحدا واحدا

الأول: التنزيه ،

يقول الله تبارك وتعالى عن نفسه { ليس كمثله شيء } والمراد بهذا الأساس تنزيه الله عن مشابهة خلقه ، فليس فيما وصف الله به نفسه أو ما وصفه به رسوله ﷺ ، تشبيها لصفاته جل وعلا بصفات خلقه

ولنعلم أن إثبات ذات الله تبارك وتعالى محل إجماع عند العقلاء ، فأثبتوا ذاته تبارك وتعالى إثبات تنزيه ، وقالوا نثبت له ذاتا لا تشبه الذوات،

وكذلك الصفات ، نثبت له صفات مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة مخلوقاته

فالإثبات أولا ثم التنزيه

لكن بدأنا بالتنزيه موافقة للآية { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }

الثاني : الإثبات

ونسلم لله سبحانه وتعالى في هذا الأساس، ونسلّم لرسوله ﷺ فنثبت لله عز وجل ما أثبت لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات

الثالث : قطع الطمع عن إدراك الكيفية

كيف صفته ؟ لا نحاول الإحاطة

فلا ينبغي للعبد أن يحاول أن يحيط بالله علما ، فالله تبارك وتعالى { لا يحيطون به علما } فلا تطيق عقول خلقه كنه معرفته ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته لذلك اجتمعت الفطر السليمة على نفي كيفية صفته سبحانه وتعالى

فإن سُئلنا هل نثبت لله هذه الصفة ؟ نقول نعم لأن الله تعالى أثبتها لنفسه

كيف هذه الصفة ؟ هذا الذي نقول فيه ، الله أعلم، فنقطع الطمع عن إدراك الكيفية

وعدم قطع الطمع عن إدراك الكيفية هو الذي شتت المعطلة والمشبهة على السواء وأوقعهم فيما وقعوا فيه، فكل واحد منهم حاول إدراك ذلك بزعمه، فخرج إلى ضرب من التشبيه

حتى المعطلة ؟ نعم

ما الذي أفضى بالمعطلة إلى التعطيل إلا التشبيه الذي وقع في أذهانهم أولا ؟

لذلك يُقال من عطل فقد مثل أولا، وقع التشبيه والتمثيل في رؤوسهم أولا فأرادوا تنزيه الله تعالى عن ذلك فعطلوه، فجمعوا بين السيئتين : التمثيل والتعطيل

لذلك نقول : هذا الأساس الثالث ، من ضل فيه فطمع في إدراك الكيفية وقع في مرضي التعطيل والتشبيه

فمن فرّط في هذه القاعدة ، ضلّ كالمعطلة والمشبهة

فالجميع اعتقدوا أن فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيها فعطلوا أو حرفوا ما دلت عليه النصوص من الصفات، فقالت الممثلة بمماثلة لصفات المخلوقات ، وكل واحد من الفريقين ترك الوسط وانحرف إلى جهة

فالمطلوب منا ؟

أن نثبت لله تعالى كل ما أثبته لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ

أن ننزه الله تعالى عن مشابهة خلقه، فهذه الصفات التي أثبتناها لله تعالى تليق بكمال الله وجلاله، نقول صفات تليق به

هل ننفي عن الله تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ؟

الجواب : لا

لو نفينا لما اقتفينا، لأن المقتفي لطريقة رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنه مثبت لما أثبته الله لنفسه ولما أثبته رسول الله ﷺ لربه ، لذلك أهل السنة لا ينفون ما أثبته الله ورسوله من الصفات ، ولا يكتمون ذلك، ولا يجوّزون تمثيل ما أثبتوه لله تعالى بصفات المخلوقات، وهم كذلك لا يكيفون صفات الله عز وجل، لأن الكيف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل

وهم في طريقتهم هذه متبعون للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان الذين يصفون الله تعالى بما ثبت في الكتاب والسنة ، فهذا هو الأصل الذي درج عليه سلف الأمة وأئمتها رحمهم الله تعالى ، لعلمهم أن أصل عبادة الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام ، ولعلمهم أن كمال الإيمان بالله تعالى يتضمن إثبات ما أثبته الله لنفسه ويتضمن تنزيه الله عما نزه عنه نفسه ،

لذلك كان من طريقتهم في باب الصفات :

إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل

وكذلك نفي ما نفاه عن نفسه سبحانه وتعالى أو ما نفته عنه رسله عليهم الصلاة والسلام

لذلك نقول : أهل السنة والجماعة لا ينفون عن الله تعالى صفات الكمال التي وصف بها نفسه أو وصفته بها رسله عليهم الصلاة والسلام ، لأنهم لو نفوا عن الله تعالى صفاته جعلوه كالجمادات التي لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر، فلا تكلم عابديها ولا تهديهم سبيلا وترجع إليهم قولا ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا

تبين مما تقدم أن الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته داخل في الإيمان بالله تبارك وتعالى فلا يتحقق الإيمان بالله سبحانه وتعالى حتى نؤمن بما أثبت لنفسه من الأسماء وما أثبت لنفسه من الصفات سبحانه وتعالى

وكذلك هو داخل في الإيمان برسول الله ﷺ فلا يتحقق الإيمان برسول الله ﷺ إلا إذا آمنا وصدقنا بما أخبرنا به عن ربه تبارك وتعالى من الأسماء والصفات

وكذلك الإيمان بالأسماء والصفات داخل في الإيمان بكتاب الله تعالى الذي أخبرنا الله تبارك وتعالى فيه عن نفسه وأسمائه وصفاته وعما يفعله جل وعلا بعباده سبحانه وتقدس

كذلك الإيمان بالأسماء والصفات داخل في الإيمان بالسنة النبوية حيث أخبرنا رسولنا ﷺ في هذه الأحاديث عن أسماء ربنا تبارك وتعالى وصفاته

وتعرفنا أيضا في هذه المحاضرة الأولى على منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وتبين لنا أنهم أثبتوا ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ، ونفوا عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ

وبينا كذلك أن البحث في صفات الله تعالى عند أهل السنة والجماعة انبنى على ثلاثة أسس:

- تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه
- إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ
- قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الرب تبارك وتعالى

وقلنا أن المطلوب في باب الأسماء والصفات ، الاعتصام بالألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة ، فما ثبت في الكتاب والسنة وما نُفي في الكتاب والسنة نفيناه ، وما سكت عنه الكتاب والسنة سكتنا عنه، فالدوران مع النص حيث دار

وأصل عبادة الله تعالى معرفة الله بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسوله ﷺ في سنته

فأهل السنة يثبتون ولا يكتمون ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ

وأهل السنة يثبتون ولا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه

وأهل السنة لا يكيفون صفات الرب تبارك وتعالى لأن الخالق جل وعلا لا تطيق العقول كُنه معرفته ولا تقدر الألسنة على بلوغ صفته

وهو جل وعلا ليس كمثله شيء

وبينا كذلك أن من منهجهم إمرار الصفات كما جاءت بلا كيف، فنؤمن بصفات الله تعالى ونصدّق بها ونصونها عن تأويل يفضي إلى تعطيل ، وعن تكييف يفضي إلى تمثيل

وبينا كذلك أن النفي لا يجوز إلا بدليل ، فكما أن المثبت عليه أن يأتي بالدليل، وكذلك النافي عليه أن يأتي بدليل ، فلا يُثبت لله إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ولا يُنفى عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، ومن تجاوز هذا فقد قال على الله بغير علم ، وهو من أشد الأمور حرمة وهو من عمل الشيطان

وبينا أن هذه العقيدة التي عليها أهل السنة والجماعة لأنها مستمدة من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهم ملتزمون بما جاء في الكتاب والسنة ، يلتزمون بألفاظ الكتاب والسنة ويتجنبون الألفاظ المحدثة التي أحدثها من اتبعوا أهواءهم ومشوا وراء عقولهم القاصرة

هذا ما أردت توضيحه في هذه الخاتمة

والله اعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله و صحبه وسلم

المحاضرة الثانية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمدا وعلى آله وصحبه

وبعد:

فحياكم الله ايها الإخوة والأخوات في المحاضرة الثانية من مادة توحيد الأسماء والصفات ، وفي مطلع هذه المحاضرة نذكركم ببعض ما تكلمنا عنه في المحاضرة الأولى إذ كان الكلام عن أهمية توحيد الأسماء والصفات ثم كان الحديث عن منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب وقد كان مما بين في المحاضرة الأولى أن أهل السنة والجماعة مجمعون على أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا وصفات الله تبارك وتعالى لها كيفية لكننا لا نعلمها لان العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف من الموصوف الله تبارك وتعالى فربنا سبحانه وتعالى لم يره أحد من خلقه وليس كمثله شيء وحتى تتكلم عن كيفية صفة لشيء ما لابد أن تكون قد رأيته أو رأيت له مثيل وربنا سبحانه وتعالى لم نره وليس له مثيل سبحانه وتعالى فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية صفته ،

وقد تكلمت في المحاضرة الأولى أن من منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب إجراء نصوص الصفات على ظاهرها وإمرارها كما جاءت مع نفي العلم بالكيفية عنها، وقلت: ونؤمن بها ونصدق بها، نثبتها لله تعالى كما اثبتها لنفسه ونثبتها لله تعالى كما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ونصون هذه الصفات عن تأويل يفضي إلى تعطيل وعن تكييف يفضي إلى تمثيل، ومن الأمور التي تكلمنا عنها في المحاضرة الأولى أن هناك اشياء سكت عنها الشارع في حق الله تبارك وتعالى فلم يثبتها ولم ينفها فما هو الموقف منها قلت انما سكت عنه الشارع فلم يثبته ولم ينفه فإن منهج اهل السنة والجماعة أنهم يسكتون عنه فلا يثبتونه ولا ينفونه فهم يدرون مع النص حيث دار ويقفون مع النص حيث وقف فلا يتكلمون نفيا ولا إثباتا إلا بعلم فعند أهل السنة والجماعة إذا أردنا أن ننفي عن الله تبارك وتعالى لا ننفي عنه إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله فلا يجوز النفي عندنا إلا بدليل أما ما سكت عنه الشرع فنسكت عنه لا ننفيه ولا نثبته لذلك لا يجوز أن تكون عمدتنا في النفي عدم الخبر ،

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : لا يجوز الاكتفاء فيما ينزه الرب عنه على عدم ورود السمع والخبر به فيقال كل ما ورد به الخبر اثبتناه وما لم يرد به الخبر لم نثبته بل ننفيه وتكون عمدتنا في النفي على عدم الخبر قال شيخ الإسلام هذا غلط بل قال هذا غلط لوجهين : الوجه الأول أن عدم الخبر هو عدم دليل معين والدليل لا ينعكس فلا يلزم إذا لم يخبر هو بالشيء أن يكون منتفيا في نفس الأمر ولله أسماء سمى بها نفسه واستأثر بها في علم الغيب عنده فكما لا يجوز الإثبات إلا بدليل لا يجوز النفي إلا بدليل ولكن إذا لم يرد به الخبر ولم يعلم ثبوته يسكت عنه فلا يتكلم فالله بلا علم هذه النقطة الأولى أو الوجه الأول الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى يقول : هذا غلط لوجهين هذا الوجه الأول :

ما معنى هذا الوجه الأول؟

الله تبارك وتعالى له أسماء كثيرة سبحانه وتعالى وقد علم خلقه بعض هذه الأسماء وأفضل خلق محمد صلى الله عليه وسلم يعلم جملة من هذه الأسماء لكن لله تعالى أسماء اخرى إستأثر بها في علم الغيب عنده فهذه كما لا يجوز الإثبات إلا بدليل لا يجوز النفي إلا بدليل فقد يكون لله تبارك وتعالى أسماء نحن لا نعلمها وأستأثربها سبحانه وتعالى في علم الغيب عنده وأنتم تحفظون أيها الأفاضل حديث الشفاعه الذي في الصحيح وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يشفع سجد تحت العرش ما شاء له الله تعالى أن يسجد حتى يقال له صلى الله عليه وسلم إرفع رأسك وإسال تعطى وإشفع تشفع لكنه وهو ساجد تحت العرش كما جاء في الصحيح يفتح الله تعالى عليه بمحامد لم يكن يحسنها من قبل بأي شيء يحمد ربنا تبارك وتعالى يحمد بأسمائه سبحانه يحمد بصفاته العلى فيثنى عليه بأسمائه وصفاته فهذا الذي فتح به على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمله من الأسماء والصفات لم يكن عليه الصلاة والسلام يحسنها من قبل للذلك لا ننفي إلا بدليل كما لا نثبت إلا بدليل.

الوجه الثاني الذي ذكره بن تيمية رحمه الله يقول :

إن هناك أشياء لم يرد الخبر بتنزيه الله تعالى عنها ولا بأنه منزه عنها لكن دل الخبر على إتصافه بنقائدها فعلم إنتفائها فأصل أن الله تبارك وتعالى منزه عن كل ما يناقد صفات كماله له الكمال المطلق سبحانه فأي شيء ينقد صفات كماله ينزه الله تبارك وتعالى عنه قال وهذا مما دل عليه السمع والعقل وأما مل يرد به الخبر يقول شيخ الإسلام إن علم إنتفائه نفيناه وإن لا سكتنا عنه فلا نثبت إلا بعلم ولا ننفي إلا بعلم فلا ننفي ما سكت عنه الشرع ولا نثبته إلا بدليل،

لماذا ؟

حتى لا نكون من القائلين على الله بدون علم لان كل من أثبت لله تعالى ما نفاه عن نفسه او نفى عن الله تعالى ما اثبته لنفسه فقد قال على الله تعالى غير الحق وقال على الله تعالى بغير علم ومعلوم ايها الأفاضل أن القول على الله تبارك وتعالى بغير علم من أشد الأمور حرمة وهو من عمل الشيطان كما قال ربنا تبارك وتعالى :

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

بن القيم رحمه الله ذكر أن الترتيب في هذه من الأخف إلى الأشد فأشد الأمور حرمة أن يقول الإنسان على الله تعالى بغير علم ويقول سبحانه وتعالى عن الشيطان الرجيم إنما يامركم بالسوء والفحشاء وان

تقولوا على الله ما لا تعلمون وقد نهينا على أن نقول على الله تعالى بغير علم فلإنسان لا يجوز له أن يثبت شيئا إلا بعلم كذلك لا يجوز له أن ينفي شيئا إلا بعلم ولهذا كما قدمت في القاعدة [النافي عليه الدليل كما أن المثبت عليه الدليل] فننفي عن الله ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم نثبت لله ما اثبته لنفسه وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم هذا أصل راسخ من اصول أهل السنة إنطلاقا من كتاب الله تعالى ومما صح عن رسول صلى الله عليه وسلم وهذ يرشدنا إلى ثبات هذا المعتقد وإستحكامه ويدل ايضا على ثبات أهله عليه وإستحكامهم فيه ورسوخهم على هذا المعتقد فمن أخذ الصفات عن كتاب الله وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم علما أكيدا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه وهو رب العالمين أو رسوله الصادق الأمين فيؤمن بما جاء عن الله تعالى وبما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم وفق مرادهما فيكون ذا إيمان راسخ وعقيدة متأصله ثابته كالجبال لا يزعزعها شيء بإذن الله تعالى هذا ما ارد بيانه عن المحاضرة الماضية .

أما ما سأتكلم عنه في محاضرة اليوم بحول الله تعالى فأريد أن أبين في هذه المحاضرة المراد بتوحيد الأسماء والصفات أريد أن اعرف توحيد الأسماء والصفات

فأقول وبالله استعين :

تعريف توحيد الأسماء والصفات : حتى نقف على تعريف توحيد الأسماء والصفات نبدأ أولا ببيان معنى كلمة التوحيد :

إعلموا ايها الأفاضل أن التوحيد هو الغاية من مبعث الرسل كلها من أولهم إلى اخرهم ، بل التوحيد هو الغاية من خلق الناس كما قال ربنا تبارك وتعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) قال المفسرون إلا ليوحدون فالله تعالى خلقنا لعبادته سبحانه وتعالى وقد أرسل رسله كلهم يدعون إلى عبادته قال سبحانه وتعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) والله تعالى قد أخبر عن رسله على وجه التفصيل من أول رسول ارسله إلى أهل الأرض وهو نوح عليه السلام إلى خاتم الرسل رسولنا صلى الله عليه وسلم محمد عليه الصلاة والسلام أنهم كلهم كانوا يقولون لأممهم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فكلهم دعوا الى توحيد الله تعالى وكلهم حققوا توحيد الله تعالى وعلى راسهم سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم

فقد جاء بتحقيق التوحيد تحقيقا تاما وسد صلى الله عليه وسلم الذرائع المفضية إلى الشرك.

ما هو هذا التوحيد الذي خلق الناس لأجله وأرسلت الرسل لأجله وأنزلت الكتب لأجله التوحيد في اللغة مصدرمن [وحد ، يوحد ، توحيدا] فهو يطلق على الواحد المنفرد بخصائصه عما سواه لذلك اهل اللغه

يقولون [الواو ، والحاء ، والدال] أصل يدل على الإنفراد فالتوحيد يطلق الواحد على المنفرد بخصائصه عما سواه وحين نقول توحيد الله تبارك وتعالى فإنا نريد بهذا إفراده جل وعلى بكل خصائصه سبحانه وتعالى أمر ال تعبدوا إلا إياه فإفراده بما تفرد به وبما أمر أن يفرد به.

لذلك يعرف التوحيد في الإصطلاح: بأنه إفراد الله بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنه قولا وعملا ونفي العبادة عن كل ما سواه والإعتقاد بأنه لا شريك له ولا مثيل له في كماله وأنه ذو الألوهية وذو العبودية على خلقه اجمعين فهو إعتراف العبد بتفرد الرب تبارك وتعالى بصفات الكمال وإقرار العبد بتوحيد الرب تبارك وتعالى بنعوت العظمة والجلال وإفراده وحده سبحانه وتعالى بالعبادة دون سواه ولعل الأفاضل لأحظوا من خلال تعريف التوحيد أنه لا يقتصر على توحيد العبادة التي هي إفراد الله بأفعال عباده وإنما أشار إلى توحيد الأسماء والصفات واشار الى توحيد الربوبيه فتبين من خلال هذا التعريف أن التوحيد ليس نوعا واحدا بل هو ثلاثة أنواع [توحيد الأسماء والصفات – وتوحيد الربوبيه – توحيد الألوهية أو توحيد العبادة]

وإن شئت فقل هما قسمان [توحيد في المعرفة والإثبات – وتوحيد في القصد والطلب]

ويمكن أن يرد هذا التقسيم إلى نوعين ، أو ترد هذه الأقسام الثلاثه إلى نوعين فنقول

[توحيد في المعرفة الإثبات – وتوحيد في القصد والطلب]

أما توحيد المعرفة والإثبات فيشمل توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبيه وهو ما يطلق عليه إسم التوحيد العلمي الخبري ، ونقول في التوحيد العلمي الخبري : هو إثبات حقيقة ذات الرب سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه و أفعاله ليس كمثله شيء في ذلك كله كما أخبر عن نفسه عز وجل وكما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم

والنوع الثاني هو توحيد القصد والطلب : فهو توحيد الألوهية توحيد العبادة وهو ما يسمى بالتوحيد الإرادي الطلبي وسور القرآن كلها متضمنه لأنواع التوحيد الثلاثة هذه وهذه القسمة للتوحيد قسمة إستقرائية شرعية دلت عليها النصوص إستقرائية من خلال تتبع نصوص الكتاب والسنة كما نقول في اللغه الكلام ينقسم إلى [إسم – فعل - حرف] هذه قسمة استقرائية لغوية فدل كلام العرب على أن فيه الأسم والفعل والحرف والنصوص الشرعيه دلت على أن التوحيد الذي أمرنا بإثباته يشمل توحيد الأسماء والصفات و توحيد الربوبيه وهو التوحيد العلمي الخبري ، وتوحيد العبادة أو توحيد الألوهية وهو التوحيد الإرادي الطلب .

يقول العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: " دل إستقراء القرآن العظيم على ان التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام الاول توحيده في ربوبيته وهذا النوع جبلت عليه فطر العقلاء ، الثاني : توحيده

جل وعلى في عبادته وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى لا إله إلا الله وهي متركبه من نفي وإثبات ، الثالث : توحيده جل وعلا في اسمائه وصفاته " انتهى كلام الشنقيطي رحمه الله تعالى .

فكلامه رحمه الله تعالى بين من خلاله أن أنواع التوحيد ثلاثة وأن هذا التقسيم تقسيم إستقرائي شرعي فهي حقيقة شرعية دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، واعلموا ايها الأفاضل أن توحيد الاسماء والصفات ركن من أركان التوحيد ، يعني أحد هذه الأركان الثلاثة التي ذكرناها توحيد الأسماء والصفات لأن التوحيد كما مر معنا توحيد العلمي وتوحيد العملي ،

التوحيد العلمي : هو توحيد الإعتقاد والخبر

التوحيد العملي : هو توحيد القصد والطلب

وبين يدي كلام جميل للعلامة بن القيم رحمه الله تعالى يتكلم فيه اولا عن التوحيد العلمي فيقول : (فأما التوحيد العلمي فمداره على إثبات صفات الكمال وعلى نفي التشبيه والمثال والتنزيه عن العيوب والنقائص .

إذا الأن التوحيد العلمي اشار الى توحيد الأسماء والصفات وأشار الى اساسين بني عليهما هذا التوحيد ، وهو[الإثبات والتنزيه] فنثبت لله تبارك وتعالى كل ما اثبته لنفسه مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن كل نقص عن كل عيب عن مشابهة لخلقه .

يقول بن القيم : وقد دل على هذا ، يعني على هذا التوحيد توحيد العلمي إثبات الحمد له سبحانه وتعالى الحمد لله رب العالمين ، فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه والخضوع له فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمود ولا من اعرض عن محبته والخضوع له ، كأنه يشير رحمه الله تعالى الى العبادة التي امرنا بإفرادها لربنا تبارك وتعالى لانه قال في النونية [وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان] فأشار هنا الى المحبة والخضوع المحبه والذل ، يقول لا يكون حامدا من جحد صفات المحمود ولا من اعرض عن محبته والخضوع له يعني من اعرض عن عبادته جل وعلى بأركان العبادة التي تعرفونها وهي [المحبة – الخوف – الرجاء]

وكلّما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل وكلما نقُص من صفات كماله نقُص من حمده بحسبها ولهذا كان الحمد كلّه لله حمدا لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها ، ولأجل هذا لا يُحصي أحد من خلقه ثناء عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يُحصيها سواه ، ولهذا ذمّ الله تعالى آلهة الكفّار وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها فعابها بأنّها لا تسمع ولا تُبصر ولا تتكلّم ولا تهدي ولا تنفع ولا تضُر ، قال بن القيّم بعد أن ذكر هذا الكلام قال: " وهذه صفة إله الجهمية التي عاب بها الأصنام نسبوها اليه" (يعني الجهمية نسبت هذه الصفة عندما نفت عن الله تبارك وتعالى جميع أوصافه صار

كالصنم تعالى الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرا) ، فقال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام في محاجّته لأبيه: { يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا} طبعا الآن يُشير الى الأصنام التي عاب الله تبارك وتعالى عابديها كيف تعبدون ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغني عنكم شيئا ، يقول رحمه الله :" فلو كان إله إبراهيم بهذه الصفة والمتابة لقال له آزر (يعني لقال له أبوه) وأنت إلهك بهذه المتابة كيف تُنكر عليّ، لكن كان مع شركه أعرف بالله من الجهمية. وكذلك كفّار قريش كانوا مع شركهم مقرّين بصفات الصانع سبحانه وعلوّه على خلقه ، وقال تعالى : {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا فلو كان إله الخلق سبحانه كذلك لم يكن في هذا إنكار عليه وكان إستدلال باطل يقول إبن القيّم رحمه الله :" كذلك لم يكن في هذا إنكار عليهم وإستدلال على بطلان الإلهية بذلك" يعني لما أستدِّل على إبطال إلهيتهم بذلك " وهذا أمر معلوم بالفِطر والعقول السليمة والكتب السماوية أنّ فاقد صفات الكمال لا يكون إلها ولا مدبرا ولا ربا بل هو مذموم معيب ناقص ليس له الحمد لا في الأولى ولا في الآخرة. وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال والتي لأجلها استحق الحمد. ولهذا _ والكلام لابن القيم رحمه الله تعالى ولازال مستمرا_ يقول ولهذا سمى السلف كتبهم التي صنفوها في السنة وإثبات صفات الرب وعلوه على خلقه وكلامه وتكليمه توحيدا (أطلقوا عليها اسم كتاب التوحيد) لأن نفي ذلك وانكاره والكفر به إنكار للصانع وجحد به، وإنما توحيده إثبات صفات كماله وتنزيهه عن التشبيه والنقائص " انتهى كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى.

كما لاحظتم أيها الأفاضل، هو في كلامه هذا يتكلم عن توحيد العلم، توحيد الاعتقاد والخبر كما أطلقت عليه قبل قليل التوحيد العلمي الخبري، وهو يرتكز على ركنين :

الركن الأول : إثبات مباينة الرب تبارك وتعالى لمخلوقاته وعلوه سبحانه وتعالى فوق عرشه من فوق سبع سماواته كما نطقت بذلك الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها واخبرت بذلك جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم.

الركن الثاني: افراده تبارك وتعالى بصفات كماله واثباتها له على وجه التفصيل كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسله منزهة عن التعطيل والتحريف والتمثيل والتكييف والتشبيه، فربنا تبارك وتعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}

من أفرد الله تبارك وتعالى بهذا، من أفرده بصفات كماله واثبتها له سبحانه وتعالى على الوجه اللائق بجلاله فإنه يباين سائر فرق أهل الباطل الذين يقولون ليس فوق السماوات رب يعبد ولا على العرش إله يصلى له ويسجد.

ومعلوم أيها الأفاضل أن نفي حقائق أسماء الله تعالى متضمن للتعطيل والتشبيه كما مر الكلام عن ذلك في المحاضرة الأولى، لأن من عطل فقد مثل أولا.

وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته على وجه الكمال الذي لا يستحقه سواه هو حقيقة التوحيد والتنزيه.

فالمعطل جاحدٌ لكمال المعبود والممثل مشبه للمعبود بالعبيد الموحد مبين لحقائق أسمائه

وكمال أوصافه وهذا هو قطب رحي التوحيد

فالمعطل يعبدُ عدمَ والممثل يعبدُ صنما والموحد يعبدُ رباً ليس كمثله شئ له الأسماء الحسني والصفات العلي وسع كل شئ

رحمة وعلما لذلك قال العلماء إن إثبات صفات الكمال لله تبارك وتعالي هو أصل التوحيد

الان عرفنا أنواع التوحيد كما مر هي ثلاثه أنواع ركن من أركانها هو توحيد الأسماء والصفات فبعد ان عرفنا انواع التوحيد ناسب ان نعرف الان بتوحيد الأسماء والصفات

فأقول وبالله التوفيق تعريف توحيد الأسماء والصفات:-

هو إفراد الله بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أوعلى لسان رسوله صلي الله عليه وسلم نفياً وإثباتا

فيُثبت له سبحانه ما أثبت لنفسه وينفي عنه جل وعلا ما نفاه عن نفسه من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

إذن تعريف توحيد الأسماء والصفات إفراد الله بأسمائه وصفاته

كيف نفرده بأسمائه وصفاته ؟ نثبت له ما أثبت لنفسه وما أثبته له رسوله صلي الله عليه وسلم ننفي عنه ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلي الله عليه وسلم إثباتاً بلا تمثيل ونفياً بلا تعطيل فالله عز وجل { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}]الشورى

إذن نسمي الله وتعالي بما سمي به نفسه وما سماه به رسوله نصف الله عز وجل بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فالله تعالي { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}

إذن توحيد الأسماء والصفات إفراد الله بالأسماء والصفات التي سمي بها نفسه أو. وصف بها نفسه أو سماه بها رسوله أو وصفه بها رسوله وقلنا في آخر كلمة من غير تحريف ولا تعطيل من غير تشبيهٍ ولا تمثيل ولا تأويل

هذه الأمور التي نفيناها لا بد من بيانها ليتضح للأخ الفاضل السامع مراد السلف رحمهم الله وتعالى بهذه الجُمل التي يجعلونها في تعريف توحيد الأسماء والصفات لو بدأنا بالكلمة الأولى وهي من غير تعطيل

التعطيل في اللغه :- يطلق علي الترك والتخلية نقرأ في قول الله وتعالي {وإذا العشار عطلت}

ما معني عُطلت ؟ يعني تُركت تركها أصحابُها أهملوها وهذا يكون يوم القيامة - وبئرٍ معطله يعني خاليه قد تركت لخُلُوّها فراغها.

يقال هذه الجارية عِطلٌ من الحُلي بمعني إنها لم تُحلى فهي خاليه ترك أهلها أن يضعوا عليها حلياً ـــ عُطلت الحدود بمعني إنها تركت الي آخر معاني الجمل التي بيَّنت أن من معني التعطيل الترك والتخليه

والتعطيل إصطلاحا في الأسماء والصفات إنكار أو ترك جميع أو بعض ما وصف الله وتعالي به نفسه أو وصفه به رسوله صلي الله عليه وسلم بناء علي هذا التعريف نستطيع أن نقول إنكار يعني تعطيل

إنكار ترك الكل أو ترك البعض وهذا يدلك علي أن التعطيل في صفات الله وتعالي قد يكون تعطيل إنكار مثل من ينكر استواء الله علي عرشه الله عز وجل يقول {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}]طه : [5 يقول لا. الله سبحانه وتعالي يقول { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} يرد هذا (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) يرد هذا كما وقع ممن ؟ من إمام المعطلة الجعدُ ابن درهم الجعد بن درهم عطل تعطيل إنكار يقرأ قول الله وتعالي

(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) فيرد هذا (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)فيرد هذا وهذا كان حجة خالد القسري والي بني أميه علي مرو عندما قام بإستتابته وناظره العلماء وبقي مصرا علي كفره فحكموا عليه بالكفر والقتل فقتله خالد القسري وقد شكر صنيع خالد القسري كل صاحب سنة . كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية عندما أشار إلى إنكار الجعد لأن يكون الله تعالى قد كلم موسى تكليما أو اتخذ إبراهيم خليلا، يقول ابن القيم:

من أجل ذا ضحى بجعد خالد ال القسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا، ولا موسى الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

ولا شك أن من فعل هذا فهو كافر كفرا مخرجا عن الملة كما نص على هذا أهل العلم، لأنه كذب خبر الله وكذب خبر رسوله ﷺ.

هناك تعطيل آخر سلكه طوائف من المعطلة وهو تعطيل التأويل فيأتي إلى قول الله تعالى " استوى " { الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} فيقول استوى: استولى ! وعندما يأتي إلى صفة الرحمة لله تعالى يقول: إرادته للثواب! الغضب، إرادته للعقاب! ونحو هذا. فهذا تعطيل تأويل.

ما هو التأويل ؟

التأويل ورد في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ بمعان، أقول التأويل بمعناه اللغوي،

قد يراد به التفسير كقول الله تعالى { نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ } بالنسبة لما يراه الإنسان في منامه يريد تعبير هذا المنام أو تفسيره. وورد في قول رسول الله ﷺ حين دعا لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال " اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل" أي علمه التفسير. ومنه كتاب الإمام الطبري رحمه الله تعالى [جامع البيان في تأويل آي القرآن] . فهذا معنى من معاني التأويل في اللغة.

المعنى الثاني من معاني التأويل يطلق على عاقبة الشيء، الحقيقة التي يؤول اليها الشيء أو التي يرجع اليها الكلام، ونقول اللفظ الذي يؤول فتبين عاقبته أو حقيقته اما ان يرد في جملة طلبية أو يرد في جملة خبرية _ لأن الأفاضل يعلمون أن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء _

فإن جاء لفظ التأويل في جملة خبرية فتأويله وقوعه. قال الله تعالى {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } الآية. فتأويله يراه الإنسان يوم القيامة، يعني مثلاً، الله تبارك وتعالى أخبرنا انه أعد لنا أنهارا من عسل مصفى، أنهارا من خمر لذة للشاربين، أنهار من ماء غير آسن... إلى غير ذلك من الآيات، أخبرنا عن فاكهة ونخل ورمان، لكن ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. فإذا دخلنا الجنة بمن الله تعالى وفضله وكرمه ورأينا هذا النعيم الذي أعده الله تبارك وتعالى لأهلها نكون قد وقفنا على حقيقة ما أخبرنا عنه {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ}. فإن كان التأويل جاء في جملة خبرية فتأويله وقوعه .

وإن ورد لفظ التأويل في جملة طلبية لأن الإنشاء أو الطلب إما أن يكون أمرا أو يكون نهيا، فلو كان أمرا، تأويله فعله، عن عائشة رضي الله عنها قالت " كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن" هذا كلام عائشة رضي الله عنها " يتأول القرآن"

ما معنى يتأول القرآن؟ يعني يمتثل ما أمر به، ما أمره الله تبارك وتعالى به في قوله {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ} فيقول " سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي " يتأول القرآن. فالآن ورد لفظ التأويل في جملة طلبية وكان أمرا فتأويله فعله.

وتأويله تركه إن كان نهيا، فعندما نقول : فلان لا يتعامل بالربا يتأول قول الله تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} أي يمتثل النهي الوارد في هذه الآية.

هذا معنى ثان من معاني التأويل

المعنى الثالث أن تصرف اللفظ عن ظاهره، وصرف اللفظ عن ظاهره يعني المعنى المراد منه أو المعنى الظاهر منه. صرف اللفظ عن ظاهره ينقسم إلى قسمين : إما أن يكون تأويلا محمودا فتصرف اللفظ عن ظاهره لدليل، أو أن يكون تأويلا مذموما فتصرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل..

دعنا نبدأ بالقسم الأول وهو التأويل المحمود؛ ما معنى قول الله تبارك وتعالى {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ} وأتى فعل ماض كما يعلم الأفاضل. قال المفسرون: أتى أي سيأتي. يعني ذكروا له تأويلا " سيأتي"، فأتى الماضي جعلوها في المستقبل، ما السبب؟ لأن هناك دليل دل على هذا وهو قول الله تعالى { فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ} يعني لا تستعجلوا أمر الله لأنه سيأتي. هذا التأويل المحمود؛ أن تصرف اللفظ عن ظاهره لوجود دليل.

لكن التأويل المذموم أن تصرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل، وهذا التأويل المذموم هو الذي استعمله طوائف من المبتدعة وهو مرادف للتعطيل وللتحريف. فيقولون معنى استوى استولى، هذا ليس تأويلا محمودا بل هذا تحريف وتعطيل لهذه الكلمة " استوى" ، فلا يقال _ كما قال أهل اللغة _ استولى إلا أن يكون للرب تبارك وتعالى مضاد ومغالب.

أيضا ورد في التعريف " من غير تحريف" والتحريف في اللغة يراد به التغيير.

كيف يقع التحريف في الصفات ، في صفات الله تعالى؟ نقول " من غير تحريف"

يقع التحريف في صفات الله تعالى بتغيير ألفاظ الصفات أو تغيير معناها.

لذلك نقول : التحريف قسمان:

تحريف المعنى عن ظاهره بلا دليل؛ هذا تغيير المعنى

وتحريف اللفظ عن ظاهره، وهذا تحريف اللفظ.

فهما قسمان.

لو بدأنا بالقسم الأول ؛ تحريف المعنى عن ظاهره بلا دليل، سنجد من طوائف المعطلة من يقول إن معنى قول الله تعالى { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } أي ملأ الله تعالى موسى حكمة وعلما ! هل معنى { كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } ملأه حكمة وعلما ؟! فهذا حرف المعنى عن ظاهره دون دليل. كذلك من طوائف المعطلة من يقول { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } يقول أي جعله فقيرا! هل معنى {اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } أي جعله فقيرا ؟! لا تشهد له لا اللغة ولا شيء آخر ، فهذا تحريف اللفظ عن معناه.

القسم الثاني من التحريف، تحريف اللفظ عن ظاهره، العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها، فإما أن يغير اللفظ بتغيير حركة إعرابية فيه، الآية { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} من الذي كلم موسى ؟ الله.

فيأتي أناس ويقولون لا، الآية لا تقرأ هكذا وإنما تقرأ [وَكَلَّمَ << اللهَ >> مُوسَىٰ تَكْلِيمًا] فيجعلون موسى هو الذي كلم ربه وليس الله تعالى هو الذي كلم موسى عليه السلام. ويكون تحريف اللفظ أيضا بزيادة حرف من شأنه تغيير المعنى، فتعرفون حرف اللام الذي زيد على استوى فصارت استولى، حرفت المعنى، فهذا هو. التحريف، تحريف اللفظ.

عرفنا الآن التعطيل وعرفنا التأويل وعرفنا التحريف.

ننتقل إلى التمثيل، لأن في التعريف ورد " من غير تمثيل ". ماهو التمثيل ؟

لا شك أن الأفاضل وفقهم الله تعالى من خلال هذه المحاضرة والمحاضرة التي سبقتها عرفوا أن منهج أهل السنة والجماعة تنزيه الله تعالى عن مماثلة خلقه، فعندما يعتقد مثبت الصفة أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين فهذا قد وقع في التمثيل، والله تبارك وتعالى قد أبطل هذا سبحانه فقال عن نفسه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ} وقال {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} أي: مساميا ؟ هل هناك أحد يماثله سبحانه وتعالى؟ ! وقال {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} ليس له نظير ولا مسامي ولا مماثل _جل وعلا _.

وكذلك العقل أبطل التمثيل من وجوه:

الوجه الأول، يستحيل أن يكون المعبود كالعابد في ذاته، إذن هناك تباين بين الخالق والمخلوق في الذات، فكما وجد التباين في الذات بين الخالق والمخلوق كذلك يلزم التباين في الصفات بين الخالق والمخلوق.

كذلك يقال، كيف يكون الرب الخالق الكامل في صفاته مشابها للمخلوق الناقص المفتقر إلى من يكمله ؟! لا يستويان. فلا يلزم من الاتفاق في الاسم الاتفاق في الحقيقة.

وبهذا يتبين لنا أيها الأفاضل المراد بالتمثيل وهي الأمور الأربعة التي نفيت في آخر تعريف توحيد الأسماء والصفات، عندما عرفنا توحيد الأسماء والصفات قلنا " من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل " ففهمنا من هذا أن الرب تبارك وتعالى يوصف بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ على ما يليق به جل وعلا من نعوت الجلال والكمال.

هذا والله اعلم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحاضرة الثالثة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأُصلي وأُسلمُ علي المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلي آله وأصحابه أجمعين

وبعد حيَّاكم الله أيها الإخوة والاخوات في المحاضرة الثالثة من مادة الأسماء والصفات والتي سيدور الكلام فيها بحول الله تعالى عن موضوعين اثنين :- الموضوع الاول الفرق بين الاسم والصفة ثم أدخل في الموضوع الثاني وهو الحديث عن القواعد التي قعَّدها أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات

أما الفرق بين الاسم والصفة:

فَلَو بدأنا بالاسم أولا الاسم إما أن يكون مأخوذا من السمو وهو العلو والرفعة أو يكون من الوسم والسمةِ وهو العلامة فيقال إسمٌ لأنه علامةٌ علي المسمى يعرف به

فالاسم وسمٌ وسمةٌ يوضع علي الشيء فيعرف به فهو ينبئ عن المسمى

والاسم في اصطلاح أهل النحو :- إما أن يكون ما يقابل الفعل والحرف باعتبار تقسيم الكلام الي اسم وفعل وحرف فيكون بهذا الاعتبار ما دلَّ علي معني في نفسه غير مقترن بزمن. وتارةً يطلقه أهل النحو ويريدون به أحد أقسام العَلَم فيقولون هو ما ليس بكنية ولا لقب وإنما اسمٌ يعرف به العَلَمُ وتارة يطلقونه ويريدون به ما يقابل الصفةَ. أما لفظ الاسم في حق ربنا تبارك وتعالي فقد جاءت النصوص الشرعية بإثباته لله سبحانه وتعالي آياتٌ في كتاب الله يذكر فيها ربنا تبارك وتعالي أن له أسماء منها قوله سبحانه

{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ} [الأعراف : 180] ومنها قوله تبارك اسمه { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} (96)

فربنا تبارك وتعالي له أسماء ورسوله صلى الله عليه وسلم ذكر ان له أسماء، ففي الحديث الذي رواه البخاري أن رسولنا صلي الله عليه وسلم كان يقول "اللهم باسمك أموت وأحيى "

واسمه تبارك وتعالي علم دل علي ذاته ودال علي صفاته، فأسماء الرب تبارك وتعالي أسماءٌ ونعوت، أسماء وأوصاف فهي تدل علي ذات الله تبارك وتعالى مع دلالتها علي صفات الكمال القائمة به سبحانه، ولا تنافي في أسماء الله تعالى بين العلمية والوصفية.

فالرحمٰن اسمه -والرحمٰن وصفه. سبحانه لذلك كان العلماء في القديم في مؤلفاتهم يقولون صفة الله السميع -صفة الله البصير ونحو ذلك لأنه لا تنافي في أسمائه تبارك وتعالى بين العلمية والوصفية.

فالرحمٰن اسمه تعالي ووصفه، ولا تنافي إسميته سبحانه وتعالي وصفيتَه، وهكذا كل اسم من أسمائه تبارك وتعالى.

وأسماؤه سبحانه وتعالي لا تقاس بأسماء خلقه فالله ليس كمثله شيء ليس كمثله شيء في أسمائه وليس كمثله شيء في صفاته وليس كمثله شيء في أفعاله وليس كمثله شيء في ذاته سبحانه وتعالى.

فأسماء الله تعالى ليست كأسماء مخلوقاته، لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل هي مخالفة لصفاتهم، فقد يسمى الرجل حكيما وهو جاهل، وقد يسمى حكما وهو ظالم، وقد

يسمى عزيزاً وهو حقير، وقد يسمى كريماً وهو لئيم، وقد يسمى صالحاً وهو طالح، وقد يسمى سعيدا وهو شقي، ومحمودا وهو مذموم، وحبيبا وهو بغيض..

هذا بالنسبة للمخلوقات بخلاف الخالق تبارك وتعالى فليس شيء من أسمائه سبحانه وتعالى مخالف لصفاته وليس شيء من صفاته تبارك وتقدس مخالفاً لأسمائه، هذا بالنسبة للاسم من حيث الجملة .

_ أما الصفة: فالصفة أصلها من الوصف كما نقول في العِدة أصلها من الوعدِ. كما نقول في الزنة أصلها من الوزنِ. فهُما مصدران والهاء في الصفة عوضٌ عن الواو وهي في اللغة كما قال أبن فارس رحمه الله في كتابه مقاييس اللغة " الواوُ والصادُ والدالُ أصلٌ واحد وهو تحلية الشيء فعندما تقول: أوصفتُ الشئ. أصفه وصفا وصفةً إذا حليتَه ونعتَّه بما فيه ".

والصفة هي الأمارة اللازمة للشيء.

والوصف يجمع على أوصاف، والصفة تجمع علي صفات.

وللعلماء في الصفة عِدّة تعريفات:

فعلماء اللغةِ يعرفون - الصفة بأنها الأمارة اللازمة للشيء، أو تحلية الشيء، ولا فرق عندهم بين الصفة والوصفِ.

ولفظ الصفة في حق ربنا تبارك وتعالى قد جاء في السنة فقد وردت أدلة من السنة بإثبات لفظ الصفة لله تبارك وتعالى، منها الحديث الذي في البخاري في قصة ذلك الصحابي الذي كان يصلي ببعض الصحابة فإذا قرأ فيهم جعل في آخر صلاته في كل ركعة يقرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } فسأله عندما أخبر الصحابة رسول الله ﷺ، قال لهم اسألوه لم يفعل هذا؟ فسألوه فقال لهم: أحبها لأنها صفة الرحمن. هذا الحديث كما قلت أخرجه الإمام البخاري في الصحيح. فقال لهم رسول الله ﷺ "فأخبروه أن الله يحبه ".

وروىَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له " صف لنا ربك الذى بعثك " فأنزل الله عز وجل { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } إلى آخر السورة. فقال ﷺ " هذه صفة ربي عز وجل."

هذا الحديث رواه البيهقي وغيره وحسنه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى .

إذن لفظ الصفة جاء في السنة كما جاء لفظ الاسم في الكتاب والسنة.

والصفة عند أهل السنة والجماعة هي ما قام بذات الله تبارك وتعالى من نعوت الكمال الواردة في الكتاب والسنة، وصفات الله تعالى كلها ثناء عليه ومدحا له، فالله تبارك وتعالى مدح به نفسه سبحانه ونبه العباد إليه بها وتعبدهم بوصفه بها فكما قال سبحانه وتعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ } فكذلك صفاته طلب من خلقه أن يتعرفوا عليها وتعبدهم بوصفه بها فهو سبحانه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته سبحانه وتعالى.

والوصف و الصفة في كلام العربي واحد لكن قد يطلق الوصف والصفة ويراد بهما أحد أمرين عند أهل السنة والجماعة أن الوصف والصفة في كلام العربي واحد ويطلقان و يراد بهما أحد أمرين : إما أن يراد بهما الكلام الذي يوصف به الموصوف كقول الصحابي المتقدم في قوله تعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } أحبها لأنها صفة الرحمن فكلام الله تعالى هنا في صورة الإخلاص وصف به الرب تبارك وتعالى.

وقال هذا الصحابي عن هذا الكلام الذي وصف به الرب هذا صفة الرحمن. وقد يراد بهما المعاني التي دل عليها الكلام كالصفات صفة العلم و صفة القدرة و غيرها من الصفات.

أما النعت في اللغة فيطلق ويراد به الوصف فيقال نعت الشيء ينعته نعتا اذا وصفه بما فيه فالنعت والوصف شيء واحد لا فرق بينهما في المعنى هذا ما ذهب إليه اكثر اللغويين .

أما إطلاق لفظ النعوت على صفات الله تعالى بدل ما نقول على الأسماء والصفات نقول الأسماء والنعوت لإطلاق لفظ النعوت على الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى هذا مما لم يرد به كتابا ولا سنة. ولكن جرى استعمال كثير من علماء أهل السنة لذلك فأطلقوا لفظ النعوت على صفات الله عز وجل.

إذ لا فرق كما مر عندهم بين النعت والصفة.

مثلا قول الامام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه " باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل."

ما المراد هنا بالنعوت؟ مراده صفات الله تعالى. يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى شارحا قول البخاري قال : " أما النعوت فهي الاوصاف " فأوصاف الله تعالى تسمى نعوتا . فأنت تقول نعت الله أي صفته أو تقول مثلا نعت الله نفسه بكذا وكذا أي وصف نفسه.

والإمام النسائي رحمه الله تعالى صاحب كتاب السنن وهو أحد السنن الأربعة، كتب كتابا في صفات الله تعالى سماه النعوت ويريد الصفات. إذن هذا من الأدلة على أن أهل السنة والجماعة يستخدمون كلمة نعت ويريدون بها الصفة.

كذلك قول إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه { وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } ، ذكر القراءات التي في قول الله تعالى { وَاللَّهِ رَبِّنَا }، فقال " اختلف القراء في قراءة قوله تبارك وتعالى { وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } فقرأ عامة قراء المدينة وبعض الدوليين والبصريين { وَاللَّهِ رَبِّنَا } خفضا على أن الرب نعتا لله تعالى " فاستخدم كلمة نعت أيضا وأراد بها الصفة.

ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول : " من أعظم الأصول معرفة الإنسان بما نعته الله به نفسه من الصفات الفعلية" ..أي بما وصفه الله به نفسه.

فالنعت والصفة من الأمور المترادفة، وغير هؤلاء العلماء كثير مما ذكر لفظ النعت وأراد به الصفة.

الآن عرفنا المراد بالاسم، المراد بالصفة والوصف والنعت. بقي أن نشير: هل من فرق بين الاسم والصفة في حق ربنا تبارك وتعالى ؟ نقول نعم.

تقدم تعريف الاسم والصفة لغة واصطلاحا وبينت سابقا إن الاسم والصفة عند اضافتهما الى الخالق عز وجل يختلفان عن معناهما عند إضافتهما الى المخلوق، لأن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله.

فأسمائه وصفاته تليق به جل وعلا لا يشاركه فيها ولا يشابهه فيها مخلوق، فليس كمثل أسمائه أسماء وليس كمثل صفاته صفات.

ومما يؤكد هذا أن أسماء المخلوقين _ كما أخبرتكم سابقا _ تكون علما محضا أي ليس فيها الصفة ،لا يحمل الاسم نعتا .فالإنسان الذي اسمه (صالح) قد لا يكون فيه من الصلاح شيء. فـ: صالح بالنسبة له علما محضا.

لكن بالنسبة لرسولنا ﷺ اسم (محمد) بالنسبة لنبينا وهو علم دال على شخصه الكريم عليه الصلاة والسلام ودال على كثرة المحامد التي يتصف به هذا الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام.

فبالنسبة للمخلوقين أسمائهم أعلام محضة ،أما الخالق تبارك وتعالى فأسمائه لا تكون إلا علما وصفةً فهي أعلام و أوصاف لا تنافي بينها في العلمية والوصفية كما مر الكلام بخلاف أوصاف المخلوقات كما تقدم فإنها تنافي علميتهم.

وكذلك أسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم. وأفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته. لأنه كامل بذاته وصفاته .

صفات المخلوقين صادرة عن أفعالهم فيوصف هذا المخلوق بكذا لأن أفعاله تدل على هذه الصفة .

أما أفعال ربنا تبارك وتعالى فليس كمثله شيء في أفعاله فهى صادرة _ أفعاله_ عن أسمائه و أفعاله. أسماءه الكاملة وصفاته العليا الكاملة فهو كامل بذاته وصفاته .

فالرب تعالى فعاله عن كماله بخلاف المخلوق، فإن كماله عن فعاله.

فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل.

اذا تبين هذا فإن أهم ما يميز أسماء الله تعالى عن صفاته أمور :

طبعا هذه فروق بين أسماء الله تعالى وأسماء المخلوقين وصفات الله تبارك وتعالى وصفات المخلوقين..

لكن أعود إلى سؤالنا الأساسي الذي طرحته قبل قليل: ما الفرق بين أسماء الله تعالى وصفاته ؟

أقول أهم ما يميز أسماء الله تعالى عن صفاته أمور:

الأمر الأول إن كل اسم من أسماء الله الثابتة له سبحانه في الكتاب والسنة (لأن أسماء الله توقيفية . وسيأتي عندما نتكلم عن قواعد الأسماء، إحدى القواعد أن أسماء الله تعالى توقيفية فليس لنا أن نسمي ربنا بشيء لم يسمّ به نفسه أو لم يسمه به رسوله) لذلك أسماء الله تعالى الثابتة في القرآن والسنة لا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في الكتاب أو سماه رسوله ﷺ. اقول كل اسم من أسماء الله تعالى يدل على ذاته سبحانه ويدل على الصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

لو مثلت باسم الله تعالى " العليم " : العليم يدل على الذات فهو علم على الله تبارك وتعالى، اسم من أسماءه. ويدل على صفة العلم، الصفة التي تضمنها هذا الاسم " العليم " وهي صفة العلم.

اقول أهم ما يميز أسماء الله تعالى عن صفاته سبحانه و تعالى أمور منها :

_ الأمر الأول إن كل اسم من أسماء الله تعالى يدل على ذاته سبحانه ويدل على الصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

أعود مرة أخرى اقول : كل اسم من أسماء الله تعالى _ عرفنا أن أسماء الله تعالى توقيفية يعني لا يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه أو سماه رسوله، يعني أسماء الله تعالى التي نتكلم عنها هي الأسماء الثابتة لله تعالى في الكتاب أو في السنة. فأقول: كل اسم من أسماء الله تعالى فإنه يدل على ذاته سبحانه وتعالى ويدل على الصفة التي تضمنها ذلك الاسم؛ يعني مثلا: اسم الله " الرحمن" الرحمن اسم من أسماء الله فهو يدل على ذات الله، عَلم على ذات الله تعالى. ويدل على الصفة التي تضمنها ذلك الاسم، الرحمن، ماهي الصفة التي تضمنها ؟ _ صفة الرحمة. كذلك " العليم" اسم من أسماء الله تعالى فهو يدل على الذات، علم على الله تعالى وهو يدل على الصفة التي تضمنها وهي صفة العلم.

وكذلك " القدير " يدل على الذات وعلى صفة القدرة.

بخلاف الصفة فإنها تدل فقط على المعنى القائم بذات الله تعالى.

إذن هذا هو الفرق الأول : الاسم دل على أمرين والصفة دلت على أمر واحد.

ما هما الأمران الذات دل عليهما الاسم ؟

دل على ذات الله تعالى فهو علم على الذات ودل على الصفة التي يتضمنها وهي لو قلنا " الرحمن " صفة الرحمة، بخلاف الصفة فإنها فقط دلت على المعنى القائم بذات الله تعالى.

الفرق الثاني بين الأسماء والصفات: أن أسماء الله تعالى، عندما نقول أسماء الله كما قلت في الأمر الأول الثابتة له سبحانه _ لأن أسماءه توقيفية _ التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ. هذه الأسماء الثابتة في الكتاب والسنة مشتقة من صفاته، فالصفة هي الأصل في هذا الأمر؛ اسم الله " الرحيم " مشتق من صفة الرحمة المعنى القائم بذات الله تعالى.

اسم الله " العزيز " مشتق من صفة العزة.

اسم الله " العظيم " مشتق من صفة العظمة.

لكن هناك صفات ليست مشتقة _ أسماء الله مشتقة من صفاته _ وهناك صفات أخرى لله تبارك وتعالى يعني ليس لها أسماء مشتقة منها: هناك صفات أخرى كصفة الكلام؛ هل من أسماء الله تعالى المتكلم ؟ الجواب لا. لأن أسماء الله تعالى توقيفية فهناك صفات أخرى غير هذه الأسماء المشتقة من الصفات.

فهناك صفات أخرى لله تبارك وتعالى ليس لها أسماء مشتقة منها؛ كصفة الكلام، كصفة الإرادة، ليس من أسماء الله تعالى المريد، كصفة الاستواء، ليس من أسماء الله تعالى المستوي، كصفة النزول، ليس من أسماء الله تعالى النازل.. أو نحو هذه.

إذن نقول الأسماء الثابتة في الكتاب والسنة مشتقة من صفات، لكن هناك صفات كثيرة ليس لها أسماء أو ليس هناك أسماء مشتقة منها. لذلك قال أهل السنة والجماعة: باب الصفات أوسع من باب الأسماء. باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

هذا الآن الفرق الثاني بين الاسم والصفة.

الفرق الثالث بين الاسم والصفة: أن أسماء الله تعالى تختلف عن صفات الله تعالى في جواز الدعاء بها والتعبيد لها. واضح ؟ أسماء الله تعالى تختلف عن صفات الله تعالى في جواز الدعاء بها والتعبيد لها.

يعني كل أسماء الله تعالى يدعى الله تبارك وتعالى بها، قال سبحانه {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} ، فتقول : يا رحيم ارحمني. يا غفور اغفر لي. يا كريم أكرمني... ونحو هذه من الأسماء تدعو الله تبارك وتعالى بها، أو تدعوه بكل أسماءه: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى.

فأما الصفات فإنها لا تدعى، فلا تقول: يا رحمة الله ارحميني أو يا كرم الله أكرمني أو نحو ذلك.

فهذا فرق ينبغي أن ننتبه له بين الاسم والصفة. أسماء الله تعالى تختلف عن الصفات في جواز الدعاء بها والتعبيد لها.

كذلك يجوز التعبيد لأسماء الله تعالى فتقول : عبد الرحمن، عبد العزيز، عبد الكريم، عبد العظيم.. إلى آخر أسمائه سبحانه وتعالى، يجوز التعبيد لكل أسمائه لكن لا يجوز التعبيد لصفات الله تعالى. فلا يجوز أن يقال: عبد الرحمة، ولا عبد العزة، ولا نحو ذلك.

إذن الخلاصة التي توصلنا إليها:

نقول أسماء الله تعالى أعلام تدل على ذاته سبحانه وتعالى مع دلالتها على ما قام بالذات من صفات الكمال.

أما الصفات فإنها نعوت الكمال القائمة بالذات.

فالاسم في حق الله تعالى هو اللفظ الثابت في النصوص الشرعية الدال على ذات الله عز وجل وعلى المعاني التي تقوم بالذات.

أما الصفة فهي اللفظ الثابت في النصوص الشرعية الدال على المعاني التي تقوم بالذات.

انتبهنا أيها الأفاضل؟

يعني في الاسم وفي الصفة قلنا الثابت في النصوص الشرعية. ما السبب ؟ لأن أسماء الله تعالى توقيفية وكذلك صفات الله تعالى توقيفية.

فلا يسمى سبحانه وتعالى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ.

ولا يوصف ربنا تبارك وتعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

فنقول في تعريف الاسم : اللفظ الثابت في النصوص الشرعية الدال على ذات الله عز وجل وعلى المعاني التي تقوم بالذات.

أما الصفة فنقول: هي اللفظ الثابت في النصوص الشرعية الدال على المعاني التي تقوم بالذات.

فالعليم اسم من أسماء الله جل وعلا وهو يدل على ذات الله وعلى اتصاف الذات بصفة العلم. والعلم صفة لله عز وجل وليس اسماً لأنه يدل على اتصاف الله تعالى بالعلم.

فالاسم يدل على أمرين: الذات والصفة القائمة بالذات

والصفة تدل على المعنى القائم بالذات فقط.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية _ رحمه الله _ : " كل اسم من أسمائه سبحانه وتعالى يدل على الذات المسمّاة وعلى الصفة التي تضمنها الاسم؛ كالعليم يدل على الذات والعلم، والقدير يدل على الذات والقدرة، والرحيم يدل على الذات والرحمة "

واضح أيها الأفاضل ؟

فالآن الاسم قد دل على أمرين:

_ على الذات

_ وعلى المعنى القائم بالذات

ويقول تلميذه العلَّامة ابن القيّم _ رحمه الله _ " إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، فإنه يدل عليه دلالتين أخريين: بالتضمن واللزوم ".

فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، يعني كل اسم من أسماء الله تعالى فإنه يتضمن صفة، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن وكذلك على الذات المجردة عن الصفة.

ويدل على الصفة الأخرى باللزوم، وهو يتكلم عن قاعدة أخرى في الصفات سنتكلم عنها بحول الله تعالى عندما نصل إليها وهي دلالة التضمن والمطابقة واللزوم. وعندما نصل إليها نتكلم عن هذه المسألة.

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن الفرق بين الاسم والصفة فأجابت بما نصه :

" الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على ورسوله وآله وصحبه.

وبعد:

أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به؛ (إذن دلت على أمرين الأسماء : الذات وصفات الكمال القائمة بالله تعالى) مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير؛ فإن هذه الأسماء دلَّت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر،

أما الصفات؛ فهي نعوت الكمال القائمة بالذات؛ كالعلم والحكمة والسمع والبصر؛ فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال: الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم " هذا كلام اللجنة الدائمة.

وفي موضع آخر أو في سؤال آخر سئلت عنه اللجنة أيضا عن الفرق بين الاسم والصفة فقالت " الفرق بين الاسم والصفة أن الاسم ما دل على الذات وما قام بها من صفات. واما الصفة فهي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من معانٍ ذاتية كالعلم والقدرة أو فعلية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة "

والعلَّامة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين رحمه الله تعالى ذكر الفرق بين الاسم والصفة فقال

" إن الاسم ما سمى الله به و الصفة ما وصف الله به وبينهما فرق ظاهر فالاسم يعتبر علما على الله عز وجل متضمنا الصفة...فأنتبهن أيها الأفاضل فبينهما فرق واضح كما قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى إن الاسم يعتبر علما على الله تبارك وتعالى متضمنا للصفة يعني يدل على الذات و يدل على المعني الذي قام بالذات وهو الصفة وكلهم اتفقوا على هذا الفرق بين الاسم والصفة..

هذا الموضوع الاول الذي أردت الكلام عنه في هذه المحاضرة..

والان انتقل بكم إلى الموضوع الثاني :

القواعد التى قعدها أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ...

قواعد في أسماء الله تعالى

أبدأ بذكر القواعد التى قعدوها بالنسبة لأسماء الله تبارك و تعالى ...

القاعدة الأولى **: أن أسماء الله تبارك وتعالى كلها حسنى**

وحسنى في اللغة من الفعل حسن يحسن حسنا و حسن و أحسن وهى حسنة وحسناء و حسنى ..

والحسنى على وزن فعلى مؤنث لكلمة الأحسن كما نقول الكبرى تأنيث الأكبر والصغرى تأنيث الأصغر والأحسن يقال رجل أحسن ويقابله امرأة حسنى ..

وليست الحسنى مؤنث لكلمة الحسن أو الحسن فإن جمعها حسان ..ومؤمثه حسنة و حسناء وحسانة..والحسن بمعنى البهاء و الكمال والجمال و هو ضد القبح و نقيضه وليس له في اللغة معنى الا هذا المعنى.

يقول ابن فارس رحمه الله في مقاييس اللغة الحاء والسين والنون أصلا واحد فالحسن ضد القبح وليس في الباب الا هذا.

وصح في وصف الرب تبارك وتعالى لأسمائه وهى جمع للحسنى وهو لفظ يوصف به المؤنث المفرد.

وصف الله تبارك وتعالى أسمائه بإنها حسنى في آيات عدة منها قوله تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ}

يقول أهل اللغة جمع التكسير مطلق وجمع المؤنث السالم يجريان مجرى المؤنثة الواحدة المجازية التأنيث..فجميع الجموع ماعدا جمع العاقل المذكر يصح وصفها بالمؤنث..انتبهنا الى كلامهم..

مثل قول الله تعالى { لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى } ولم يقل الكبريات ..

وفى قوله تعالى { وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ } ولم يقل أخريات ...

يقول العلامة الشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله تعالى " قوله الحسنى تأنيث الأحسن وإنما وصف أسمائه جل وعلا بلفظ المؤنث المفرد لأن جمع التكسير مطلق."

وجمع المؤنث السالم يجريان مجرى المؤنثة الواحدة المجازية التأنيث. كما أشار له في الخلاصة بقوله " والتاء مع جمع سوى السالم من مذكر كالتاء من إحدى اللبن...

طبعا يريد بقوله بالتاء مع جمع سوى السالم أي أن حكم التاء مع المسند الى غير المذكر السالم حكمها مع مجازي التأنيث كإحدى اللبن...

إحدى اللبن مفرد اللبن (لبنة) فيجوز إثباتها و يجوز حسبها..

فعلى هذا تقول : قام الرجال و تقول قامت الرجال و تقول قام الهندات و قامت الهندات..

لان قوله سوى السالم من مذكر يشمل الجمع المكسر أى جمع التكسير ويشمل جمع المؤنث السالم فالتذكير على جمع تقولهم بجمع والتانيث على جمع تقولهم بجماعة..

وما ذكره في جمع التكسير متفق عليه..

ويريد بقوله في الشطر الثاني التاء مع إحدى اللبن يشير إلى أن التاء مع جمع التكسير وجمع المؤنث السالم كالتاء مع الظاهر المجازي التأنيث...

إحدى اللبن لبنة تقول كسرت اللبنة وتقول كسر اللبنة...أي يجوز فيها التذكير والتأنيث فتقول بالتذكير على تقولهم بجمع والتأنيث على تقولهم بجماعة أي تقول قام الرجال وقامت الرجال و كذلك باقي ما تقدم..

فنظير هذا قوله تبارك و تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ } من وصف المفرد من جمع المؤنث كقوله تعالى كما ذكرنا من قبل { لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى } وقوله تعالى تبارك وتعالى { وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ }

فـ : حسنى أفعل تفضيل من الكمال والجمال والتمام كما مر في معنى الحسنى.

ومعنى كون أسماء الله تعالى حسنى اي انها بلغت في الحسن والجمال الغاية وفي الفضل والكمال النهاية، فلا يُتصور حسن ولا كمال ولا جمال ولا فضل يقارب أو يماثل حسنها وكمالها وجمالها فضلا عن أن يفوقها أو يتعداها. وليس في أسماء الرب تبارك وتعالى ما يدل على نقصٍ بأيّ وجه من الوجوه مما يدل على عظمة الرب المتسمي بها وهو الله تبارك وتعالى.

فحسن أسماء الله تعالى يتضمن حسن الاسم لفظاً وحسن الاسم معنىً وحسن من يتسمى به وهو الله تبارك وتعالى.

على هذا تواردت وتواترت كلمة أهل العلم.

يقول العلامة ابن القيم _ رحمه الله _ يتكلم عن هذا المعنى؛ يقول " كل ما ينزه سبحانه عنه من العيوب والنقائص فهو داخل فيما نزه نفسه عنه وفيما يسبَّح به ويقدَّس ويحمد ويمجد ، وداخل في معاني أسمائه الحسنى، وبذلك كانت حسنى أي كانت أحسن من غيرها، فهي أفعل تفضيل معرّفة باللام أي لا أحسن منها بوجه من الوجوه، بل لها الحسن الكامل التام المطلق.

فأسماء الله تعالى كما قلت بلغت في الحسن غايتها وكمالها وجمالها وفضلها. فليس أكمل ولا أجمل منها.

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى أيضا في موضع آخر " من استقرأ الأسماء الحسنى وجدها مدائح وثناءً تقصُر بلاغات الواصفين عن بلوغ كُنهها وتعجز الأوهام عن الإحاطة بالواحد منها ومع ذلك فلله سبحانه محامد ومدائح وأنواع من الثناء لم تتحرك بها الخواطر ولا هجست في الضمائر ولا لاحت لمتوسم ولا سنحت في فكر "

ويقول أيضا " لما كان المقصود بالاسم التعريف والتمييز وكان الاسم الواحد كافيا في ذلك، كان الاقتصار عليه أولى ويجوز التسمية بأكثر من اسم واحد كما يوضع له اسم وكنية ولقب " (يتكلم عن الاسم عموماً. ثم بدأ الحديث عن أسماء الله تعالى) قال " وأما أسماء الرب تبارك وتعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله فلما كانت نعوتا دالّةً على المدح والثناء لم تكن من هذا الباب (يعني من باب أسماء المخلوقات) بل من باب تكثير الأسماء لجلالة المسمى وعظمته وفضله كما قال الله تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ} "

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله علق على هذه الآية { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ } فقال " هو الجميل في أسمائه فإنها كلها حسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها قال تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ} "

وكذا قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله قال " أسماء الله تعالى كلها حسنى أي بالغة في الحسن غايته. قال تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ } فقد بلغت الغاية والنهاية في الكمال والجمال فلا يتصور أن يقاربها اسم من الأسماء فضلا عن أن يساويها "

وقد دلت الأدلة أيها الأفاضل على أن أسماء الله تعالى كلها حسنى، هناك في كتاب الله تعالى أربعة أدلة :

وصف الله تبارك وتعالى في هذه الأدلة أسماءه بأنها حسنى؛ منها

١ _ قوله تبارك وتعالى في سورة الأعراف {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

٢ _ وقوله تبارك وتعالى في سورة الإسراء {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا}

٣ _ وقال سبحانه في سورة طه {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ}

٤ _ وقال جل وعلا في سورة الحشر {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

فأسماء الله تعالى كلها حسنى لأنها أسماء أجلِّ وأعظم موصوف وهو الله تبارك وتعالى فلا تكون أسماؤه إلا أجل وأعظم الأسماء، فكانت الأسماء كلها حسنى.

وهذه الأسماء يدعى الله تبارك وتعالى بها ولو كانت غير حسنى لم يأمر ربنا جل وعلا بدعائه بها في قوله {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ} فالعادة في المخلوقين أن صاحب الحاجة يتلفظ بأفضل الأسماء وأكمل الصفات في المسؤول لتقضى حاجته، ولله المثل الأعلى فعندما ينادى ربنا تبارك وتعالى ويدعى، ينادى ويدعى بأسمائه سبحانه وتعالى الحسنى. وأسماء الله تعالى لأنها قد تضمنت الصفات فكل اسم كما مر معنا قد دل على معنى تضمنه هذا الاسم، فصفاته تبارك وتعالى كلها كاملة فكذلك أسماؤه سبحانه وتعالى وتقدس كلها حسنى.

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده وباعتبار جمعه مع غيره من الأسماء، وهذه مسألة سيكون الكلام عنها بحول الله تعالى في المحاضرة القادمة.

فالله تبارك وتعالى أعلم،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحاضرة الرابعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

حياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة الرابعة من مادة الأسماء والصفات، وقد بدأنا الحديث في المحاضرة السابقة عن جملة من القواعد التي وضعها أهل السنة والجماعة في أسماء الله تبارك وتعالى مستندين في صنيعهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم؛ فكل قاعدة من هذه القواعد قد دلت عليها النصوص فكانت بحمد الله تعالى قواعد قائمة على الكتاب والسنة. وكانت:

-القاعدة الأولى أنَّ أسماء الله تعالى كلها حُسنىَ، وبيَّنتُ للأفاضل في الدرس الماضي أنّ المراد بحسنى أي أنَّها بلغت الغاية في جمالها وبهائها وكمالها، فليس أجمل منها ولا أكمل ولا أبهى، ودليل هذه القاعدة كما مرّ معنا أيضا آيات في كتاب الله تعالى ذكرتُها للأفاضل في الدرس الماضي منها قول ربنا تبارك وتعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ }
وبينت لهم أنَّ حسنى هي أفعل تفضيل يقابلها في المذكر الأحسن، فهي للمؤنث الحسنى.

وأسماء الله تبارك وتعالى كما ذكرت لكم أيها الأفاضل لا يُتصور حسن وكمال وجمال يقارب أو يماثل حسنها وكمالها وجمالها فضلا عن أن يفوقها أو يتعداها، فليس فيها ما يدل على النقص بأي وجه من الوجوه مما يرشد إلى عظمة الرب تبارك وتعالى المتسمي بها وهو الله سبحانه وتعالى.

- وقلت للأفاضل أيضا في الدرس الماضي أن هذه الأسماء كانت حسنى لأنها أسماء أجَلِّ وأعظم موصوف وهو الله تبارك وتعالى، فلا تكون أسماؤه إلا أجل وأعظم الأسماء، فهي حسنى.

- ولأنَّ الله تبارك وتعالي يُدعيٰ بها كما قال سبحانه {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.

-ولأنها متضمنة للصفات وصفاته تبارك وتعالى كلها كاملة فكذلك أسماؤه تبارك وتعالى وتقدس كلها حسنى.

وقد وقفنا على جزئية طرحت فيها سؤالاً على الأفاضل وفقهم الله تبارك وتعالى وقلت: هل الحسن في أسماء الله تبارك وتعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، أويكون باعتبار جمعه مع غيره من الأسماء أيضا ؟

وكان الجواب الموجز في تلك المحاضرة أن الحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه مع غيره من الأسماء أيضا. فأسماء الله تعالى إذا أتت منفردة؛ نقول: الرحمن، الرحيم، العزيز، الجبار، المتكبر.. فكل اسم من هذه الأسماء يتضمن الغاية معناه الأكمل والأبهى والأجمل والأحسن.

كذلك، إذا اجتمعت هذه الأسماء، لو جمعنا اسما من هذه الأسماء إلى اسم آخر من أسمائه تبارك وتعالى فإنها تدل على كمال آخر؛ فتزداد كمالا وجمالا.

وأضرب لكم بعض الأمثلة للتوضيح؛ أقول: لو أخذنا اسم الله العزيز سبحانه وتعالى، العلماء يقولون معنى هذا الاسم أنَّ الله تبارك وتعالى له العزة الكاملة والقوَّة البالغة التي لايعتريها ضعف ولا يشوبها نقص ولا يلحقها عجز بأي وجه من الوجوه، هذا في معنى اسمه تبارك وتعالى العزيز، أما في معنى اسمه تبارك وتعالى الحكيم، فالعلماء يقولون أنه يدل على أن الله تبارك وتعالى موصوف بالحكمة الكاملة التي لايعتريها نقص في أي وقت من الأوقات، فاسم الله تعالى العزيز بلغ غايته في كماله وجماله وكذلك اسمه تبارك وتعالى في اسمه الحكيم. فلو جمع العزيز الحكيم كماهو في آياتٍ كثيرة في كتاب الله تبارك وتعالى، ضمُّ اسم الله العزيز إلى الحكيم، وهذا قد وقع في آيات كثيرة؛ فعند الاقتران _ اذا اقترن اسم الله العزيز باسمه الحكيم _ دل على أن الله تعالى وإن كان لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض لقوته تبارك وتعالى، فإنَّ هذه القوَّةُ لا تقتضي الجوْر ولا البغيَ؛ هي مقترنة بالحكمة البالغة. وكذلك حكمته سبحانه وتعالى مقرونة بالقوَّة الكاملةِ لا كما يكون في المخلوقين تنظر إلى إنسان من المخلوقين تراهُ قويّاً لكنه قوته غرته فحملته على الجور والظلم كذلك. ترى من المخلوقين من يكون حكيما لكنه ليس بالقوي.

أما ربنا تبارك وتعالى فهو عزيز حكيم؛ قوي له القوَّةُ البالغةُ لكن هذه القوي لا تقتضي جوراً ولا بغياً بل هي مقرونة بحكمته البالغة، وكذلك حكمتُهُ سبحانه وتعالى مقرونة بقوته جل وعلا.

وكذلك نرى في آياتٍ كثيرة في كتاب الله تبارك وتعالى يقترن اسم العزيز باسم الرحيم؛ والعزيز قد عرفنا أن الله تبارك وتعالى له العزة الكاملة والقوة البالغة التي لا يعتريها ضعف ولانقص ولا عجز بأيِّ وجه من الوجوه. والرحيم يدل على أنَّ الله تعالى موصوف بالرحمة الكاملة، بالرحمة الشاملة، فعند اقتران اسم الله تبارك وتعالى العزيز باسم الله الرحيم يدل على أن الله تعالى وإن كان لا يعجزه شيء في السموات والأرض لقوته، فإنَّ هذه القُوَّة لا تقتضي الجور ولا البغي، بل هي مقرونة برحمته سبحانه وتعالى فهو متصف بالرحمة لا كما يكون في الحال للمخلوقين؛ ترى من المخلوقين من هو قوي لكنه غليظ القلب.

وكذلك رحمته سبحان وتعالى ليست عن ضعف وإنما هي عن قُوَّة، فبعض المخلوقين تكون رحمته مقرونة بالضعف.

والله تبارك وتعالى له القوة البالغة وله الرحمة الكاملة سبحانه وتعالى، فهو العزيز الرحيم له الملك وله الحمد تعالى وتقدس.

هذا بالنسبة للقاعدة الأولى؛ ملخص ما مر فيها في المحاضرة الماضية.

أما القاعدة الثانية التي قعّدها أهل السنة في باب الأسماء، نبهت الأفاضل قبل قليل إلى أن هذه القواعد مبنية على الكتاب والسنة بخلاف صنيع أهل البدعة من مخالفي أهل السنة فإنهم يضعون القواعد أولاً ثم يعمدون إلى النصوص إذا وافق من النصوص هذه القاعدة أو ظنوا أنه يوافق استدلوا بها، وما لم يوافق ردوه ولو كان في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالعبرة عندهم في القاعدة التي قعدوها بخلاف أهل السنة والجماعة. فإنَّ قواعدهم التي قعَّدوها بَنَوْها على قول الله تعالى وعلى قول

رسوله صلى الله عليه وسلم فأتت بحمد الله تعالى متوائمة متوافقة متفقة مع قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم.

-القاعدة الثانية في باب الاسماء **أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين يعلمه العباد**؛ وقد دل على أنَّ أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين يعلمه العباد:

● ما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال الشيخ الالباني رحمه الله: حديث صحيح ذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أصاب أحد قط هَمٌ وبلاحُزنٌ فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمُك عدلٌ فيَّ قضاؤُك أسألك بكل اسم سميتَ به نفسك أو علَّمتهُ أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجا "

قال عبدالله فقيل يا رسول الله : ألا نتعلمها؟ فقال " بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها ". هذا الحديث من الأدلة التي دلت لهذه القاعدة أنَّ أسماء الله تبارك وتعالى غير محصورة بعدد معين يعلمه العباد ففيه جعل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أسماء الله تعالى التي يُسمَّى بها عز وجل، جعلها ثلاثة أقسام:

-القسم الأول: أسماء أنزلها في كتابه.

-الثاني: لم ينزلها في كتابه بل علمها بعض خلقه.

-الثالث: أسماء استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليها أحدا من خلقه إلى الآن.

- أسماء في كتاب الله تعالى.
- أسماء علمها بعض خلقه.
- أسماء استأثر الله بعلمها؛ هذا القسم الثالث من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، فما كان من الغيب فهو غير معلوم لنا وما كان غير معلوم لنا فهو غير محصور بعدد، ومن ثم قال العلماء ان أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد؛ هذا الدليل الأول الذي استدلوا به على أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد يعلمه العباد.

● الدليل الثاني: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، تخبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول " فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ". فموضع الشاهد أنَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق بربه لا يُحصي ثناءً على الله تبارك وتعالى لأنه لايحصي أسماءه وصفاته التي يثني عليه بها عز وجل، فلو أحصاها لأحصى الثناء عليه.

إذن، هناك أسماء لله تبارك وتعالى لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام ى لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " فهذا دليل آخر لهذه القاعدة.

● ومن الأدلة لهذه القاعدة: حديث الشفاعة، وحديث الشفاعة كما يَعْلَم الأفاضل وفقهم الله تعالى مُخرَّج في الصحيحين وهو حديث طويل فيه عند الامام البخاري رحمه الله تعالى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يُطلب منه أن يشفع إلى الله تبارك وتعالى في فصل القضاء، يأتيه الناس فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ يقول صلى الله عليه وسلم " فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح على أحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه واشفع تُشفّع " إلى آخر الحديث..

إذن موضع الشاهد في هذا الحديث الطويل في لفظ البخاري " ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح على أحد قبلي ". وعند الامام مسلم رحمه الله تعالى في الصحيح: يقول صلى الله عليه وسلم " ثم يفتح الله عليَّ و يُلهمُني من محامده وحسن الثناء شيئا لم يفتح لأحد قبلي ". أين موضع الشاهد في هذه الجملة التي ذكرتها في الصحيحين ؟ كيف استدلوا العلماء بها ؟ كيف يثني على الله تبارك وتعالى، كيف يحمد سبحانه وتعالى ويثنى عليه ؟

يثنى عليه بأسمائه وبصفاته سبحانه وتعالى. فلو أن رسولنا صلى الله عليه وسلم كان قد أحصى كل أسماء الله تعالى وكل صفاته في الدنيا لما قال هذه الكلمة " يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح على أحد قبلي "؛ إذن يُعلمه ربنا تبارك وتعالى أسماءً وصفات يثني على الله تبارك وتعالى، لأن الله سبحانه وتعالى يثنى عليه بأسمائه وصفاته. فهذه من الأدلة التي استدل بها أهل السنة لهذه القاعدة [أن أسماء الله تبارك وتعالى ليست محصورة بعدد معين يعلمه العباد].

لكن قد يسأل سائل ويقول هل يتعارض هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح " إن لله تسعة وتسعين اسما مئة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة " فقد يفهم من هذا الحديث أن أسماء الله تبارك وتعالى محصورة في تسعة وتسعين اسما.

أقول: الجواب: لا تعارض بحمد الله بين هذا الحديث وبين الأحاديث المتقدمة لأن هذا الحديث يريد به رسولنا صلى الله عليه وسلم أن يخبرنا أن الله تبارك وتعالى له أسماء كثيرة من أحصى منها تسعة وتسعين اسما موعود بدخول الجنة.

إذن، الحديث خرج مخرج الإخبار بفضل إحصاء هذا العدد من الأسماء لله تبارك وتعالى ولم يخرج مخرج الإخبار بحصر أسماء الله تعالى بتسعة وتسعين اسما.

هل فهمتم أيها الأفاضل ؟

أعطيكم مثالا ذكره العلماء:

- لو قال قائل أن لفلان تسعة وتسعين ألف درهم أعدها للصدقة، هل نفهم من هذه الجملة أن فلانا لا يملك إلا تسعة وتسعين ألف درهم، هذه التي أعدها للصدقة ؟ أو أن هذه التي أعدها للصدقة، هذه التي يريد أن يتصدق بها وعنده أموالا أخرى غير هذه التي للصدقة ؟

فكذلك قول رسولنا صلى الله عليه وسلم " إن لله تسعة وتسعين اسما ".

كما قلت أيها الأفاضل أراد صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث أن يخبرنا بفضل إحصاء هذا العدد من الأسماء لله تعالى ووعد على إحصاء هذه الأسماء بدخول الجنة؛ إحصاء تسعة وتسعين اسما لله تبارك وتعالى الإنسان موعود على د هذا الإحصاء بدخول الجنة.

وربما يسأل بعض الأفاضل فيقول: ما المراد بهذا الإحصاء في قوله عليه الصلاة والسلام " من أحصاها دخل الجنة " ؟

قيل المراد منه حفظها؛ من حفظ تسعة وتسعين اسما. وقيل: لا، المراد فهمها؛ يعني أن يفهم معنى كل اسم من أسماء الله تعالى، وأن يفهم مقصود هذا الاسم وما دل عليه. وقيل: العمل بما تقتضيه هذه الأسماء؛ من ذلك دعاء الله تعالى بها كما قال ربنا سبحانه وتعالى.

لكن هذه المراتب التي ذكرها العلماء وأطلقوا عليها مراتب الإحصاء؛ حفظ هذه الأسماء وفهمها والعمل بما تقتضيه، هل يكفي مرتبة واحدة منها ليدخل تحت الإحصاء الموعود بدخول الجنة أو لابد من اجتماع هذه المراتب كلها حتى يكون داخلا تحت الوعد بدخول الجنة ؟

جمهور العلماء كالبخاري والنووي وشُرَّاح صحيح البخاري كالسندي و العيني والإمام البغوي والإمام الخطابي وغيرهم قالوا: يكفي لإحصاء أسماء الله تعالى حفظها فقط. واستدل هؤلاء ببعض روايات الحديث وفيه " إن لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة"

لكن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى تعقب هذا القول فقال: وفيه نظر لأنه قد يكون المراد الحفظ المعنوي لا الحسّي، يعني ليس مجرد أن تحفظ هذه الأسماء وتقوم بعدها، بل لا بد من فهمها ومعرفة معناها ومعرفة مقصودها وما دلت عليه وهي المرتبة الثانية من مراتب الإحصاء.

·قال القرطبي: وظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أنه تكفي مرتبة واحدة فقط لحصول الأجر المذكور في الحديث وهو دخول الجنة.

لكن عدد من العلماء مال إلى أن هذه المراتب متلازمة فلا تكفي واحدة منها دون الأخرى، وممن قال هذا القول من المعاصرين: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي صاحب التفسير المشهور، والعلامة الشيخ ابن عثيمين رحمهما الله تعالى.

لكن بحمد الله الأمر سهل وميسور لمن سهل الله عليه ووفقه سبحانه وتعالى حفظها وفهمها والعمل بما تقتضيه، فيعمل الإنسان على إحصاء تسعة وتسعين اسما لله تبارك وتعالى ويفهم معناها ويفهم مقصودها وما دلت عليه، ويعمل بما تقتضيه هذه الأسماء، ومما تقتضيه كما قلت قبل قليل دعاء الله تبارك وتعالى بها، والله تعالى أعلم.

_ القاعدة الثالثة من قواعد أسماء الله تعالى ما سبقت الإشارة إليه مرارا في المقدمة في المحاضرات السابقة أن أسماء الله تعالى توقيفية، وقلت معنى توقيفية أنها تدور مع الكتاب والسنة نفيا وإثباتا، وقد سألني أحد الأفاضل عن معنى الدوران مع الكتاب والسنة فأقول: العمدة في إثبات الأسماء أو في إثبات الصفات لله تبارك وتعالى والعمدة في نفي الأسماء أو في نفي الصفات عن الله تبارك وتعالى ما جاء في الكتاب وما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن العلم بالله تعالى وما يستحقه سبحانه من الأسماء والصفات من باب الغيب الذي يتوقف فيه على الخبر، فمعرفة هذه الأسماء ومعرفة الصفات

مُسْتَنَدُهُ الخبر، ولا خبر إلا من الكتاب والسنة وقد نصَّ عامةُ أهل السنة على أنّ أسماء الله تعالى وعلى أن صفات الله تعالى توقيفية، ومن هذا قول إمام أهل السنة الإمام أحمد رحمه الله تعالى " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث "، فنحن لا نتجاوز القرآن والحديث في تسمية الله تبارك وتعالى وفي وصف الله تبارك وتعالى؛ وهذا الذي قلته هو ما فهمه العلماء عندما قاموا بشرح كلام الإمام أحمد رحمه الله " لا يتجاوز القران والحديث " قالوا: معناه أن الأسماء والصفات توقيفية فمصدرها الكتاب والسنة، يقول ابن قدامة رحمه الله صاحب المغني، يقول: " مذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله وعلى لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها "، وعبارته واضحة " التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله وعلى لسان رسوله " وهو ما قاله الإمام أحمد رحمه الله تعالى سابقا " لا يتجاوز القرآن والسنة ".

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى " إن ما يطلق عليه تبارك وتعالى في باب الأسماء والصفات توقيفي "

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في كتابه تقريب التدمرية " القول في أسماء الله وصفاته من باب الخبر المحضي الذي ليس للعقل إدراك تفاصيله، فوجب الوقوف فيه على ما جاء به السمع "

ما المراد بالسمع ؟ الأدلة السمعية. ما هي الأدلة السمعية ؟ كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد نصَّ جمع كثير بل طوائف كثيرة من أهل العلم نص على أن أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية؛ منهم الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح، والامام السجزي في كتاب الحرف والصوت، والإمام الخطابي في شأن الدعاء، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، والسفاريني في لوامع الأنوار وغيرهم كثير كثير.

ولأهل السنة والجماعة أدلة كما لهم في القواعد السابقة أدلة من كتاب الله تعالى على أن أسماء الله توقيفية. فما هي هذه الأدلة ؟ استدل بها أهل السنة والجماعة علي أن أسماء الله تعالى توقيفية وبنوا على هذه الأدلة قاعدتهم التي نتكلم عنها الآن وهي أن أسماء الله سبحانه وتعالى توقفية؛

* الدليل الأول: قول الله تبارك وتعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

كيف استدل العلماء بهذه الآية على أن أسماء الله تعالى توقيفية ؟

قالوا: أن الله تبارك وتعالى أخبر أن الأسماء الحسنى له: " ولله الأسماء الحسنى " وما يتعلق به سبحانه وتعالى بذاته، بأسمائه، بصفاته، كله غيب بالنسبة لنا ولاطريق لنا للعلم به إلا الخبر في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيجب الوقوف في إثبات الأسماء على ما ورد في الكتاب والسنة.

ابن عاشور رحمه الله في تفسيره يقول في تفسير هذه الآية " إضافة الأسماء إلى الله تؤذن بأن المقصود أسماؤه التي ورد في الشرع ما يقتضي تسميته بها ."

فهو يتكلم على أن أسماء الله تعالى لا بد أن تكون في الشرع كذلك، فهموا من قول الله تعالى " ولله الأسماء " قالوا: الأسماء؛ الألف واللام في الأسماء للعهد، ولا معهود إلا ما ذكر في الكتاب والسنة فوجب الوقوف عليهما يعني على ما في الكتاب وما في السنة.

**ابن حزم رحمه الله استدل بهذا فقال: " لا يجوز لأحد أن يُسمّي الله عز وجل بغير ما سمى به نفسه ولا أن يصفه بغير ما أخبر به تعالى عن نفسه؛ قال عزوجل {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }، فمنع تعالى أن يسمى إلا بأسمائه الحسنى التي تعرف بها إلى خلقه وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد.

والأسماء الحسنى بالألف واللام لا تكون إلا معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله تعالى عليه. ومن ادعى زيادة على ذلك كلف البرهان على ما ادعى، ولا سبيل له إليه. ومن لا برهان له في ذلك فإنه كاذب في قوله ودعواه؛ قال عز وجل { قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } " انتهى كلام ابن حزم رحمه الله تعالى.

فالاسماء الألف واللام للعهد ولامعهود ولا معروف إلا ما هو مذكور في الكتاب والسُّنة؛ فقول الله تبارك وتعالى { ولله الاسماء } دليل على أن أسماء الله تعالى المعهودة في الكتاب والسنة.

كذلك استدلوا بقوله تعالى { الحسنى } يصف بها أسماءه تبارك وتعالى وقد تقدم في معني الحسنى أنها بلغت الغاية في الحسن وبلغت النهاية في الجمال بحيث لا يقوم غيرها مقامها.

كيف نقف على هذه الأسماء الحسنى ؟

يجب الوقوف فيها على ما ورد في الكتاب أو السنة، لو قلنا انها ليست توقيفية لأمكن للإنسان أن يستحسن من الأسماء والصفات ما ليس بحسن وأن يسمي الله تبارك وتعالى بما ليس بحسن، ولا أحد أعلم بالله من الله ولا أحد من الخلق أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فالأمر غيبي، فإذا أطلقت اسما ليس بحسن على الله تعالى أو أطلقت صفة ليست بكمال على الله تعالى فقد خالفت هذه الآية التي وصف الله تبارك وتعالى فيها الأسماء بأنها حسنى.

كذلك فهموا في هذه الآية من قول الله تعالى " فادعوه بها " أن الله تبارك وتعالى طلب من عباده أن يدعوه بهذه الأسماء؛ والدعاء عبادة والعبادة توقيفية.

ماهي النتيجة ؟ قالوا: النتيجة أن الأسماء توقيفية أيضاً؛ أسماؤه ما ذكر في الكتاب والسنة.

يقول الخازن في تفسيره؛ في تفسير " فادعوه بِها " يعني ادعوا الله بأسمائه التي سمى بها نفسه أو سماهُ بها رسولهُ صلى الله عليه وسلم ". قال: " ففيه دليل على أن أسماء الله توقيفية "

كذلك في هذه الاية قول الله تعالى { وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

أهل العلم يقولون من الإلحاد تسميةٌ الله بما لم يسمي به نفسه وبما لم يسمه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فقوله { وذروا الذين يلحدون في أسمائه } فيها وعيدٌ من الله تعالى للذين يلحدون في أسمائه، وقد ذكر أهل العلم كما أخبرتكم أن من الإلحاد في أسماء الله عز وجل تسميتهُ سبحانه وتعالى بما لم يرد في الكتاب ولا في السنة.

أنقل لكم أقوال بعض أهل العلم ومنهم:

** الإمام البغوي في تفسيره يقول: " الإلحاد في أسماء الله تسميتُهُ بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم "

** وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله " قال أهل التفسير من الإلحاد في أسمائه " في اسماء الله تعالي " تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة "

فالآية كما أخبرتُ الأفاضل بما فيها كلها دليلٌ علي أن أسماء الله تعالى توقيفية؛ وعندما نقول أيها الأفاضل إن أسماء الله تعالى توقيفية، بهذه القاعدة تخرج أُمورٌ كثيرة :

-الأمر الأول: أن كل ما لم يذكر في الكتاب أو السنة من أسماء الله تعالى مما قد يطلقه الإنسان لجهله أو يستحسنُه برأْيه أو يُؤديه إليه عقله، كله ليس باسم لله تبارك وتعالى؛ لأن العقل لا مدخل له في أسماء الله عز وجل ولا في صفاته على سبيل التسمية. فمهما بلغ الرأيُ وعظُم الفكر وأُعمل العقل فإنه غير مأمون أن يسمي الله تبارك وتعالى باسم ٍ ليس بحسن، فالعقل قاصر كما تعلمون والفكر قاصر والرأي متهم.

** يقول ابن عطية رحمه الله في تفسيره " الصواب ان لا يُسمى الله تعالى إلا باسمٍ قد أطلقته الشريعة ووقفت عليه أيضا، فإن هذه الشريطة التي في جواز إطلاقه من أن يكون مدحا خالصا لا شبهة فيه ولا اشتراك أمر لا يحسنه إلا الأقل من أهل العلوم فإذا أُبيح ذلك –يعني سُمح للناس أن يسموا الله تعالى بما لم يسم به نفسه_ تثوَّر عليه من يظن بنفسه الإحسان وهو لا يُحسن فأَدخل في أسماء الله تعالى ما لايجوز إجماعاً "

إذن بقولنا أنَّ أسماء الله تعالى توقيفية يخرج كل اسمٍ استحسنه العقل أو استجوده الرأي أو رأى الفكر أنه صالح أن يسمى الله تبارك وتعالى به.

كذلك يخرج بهذه القاعدة الأسماء التي قد يقيسها بعض الناس على أسماء الله تعالى المذكورة في الكتاب والسنة، ولذا قلنا أسماء الله تعالى الحسنى توقيفية لا يقاس عليها .

** ابن عبد البر رحمه الله تعالى يمنع القياس في باب التوحيد عموما، ويحكي عدم الخلاف بين أهل السنة في هذا. يقول: " لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد "

** والخطابي رحمه الله بين بضرب أمثلة على هذا أنَّه لا يقاس على أسماء الله تعالى التي في كتابه أو صح تسمية الله تبارك وتعالى بها في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقاس بهذا. يقول: " الجواد لا يجوز أن يقاس عليه السخيُّ، الجواد جاء في السنة لكن لا يقاس عليه السخيُّ لأن الجواد والسخيَّ وإن كانا متقاربين في ظاهر الكلام إلا أن السخيّ لم يرد به التوقيف كما ورد به الجواد." يقول " ثم إن السَّخاوةُ موضوعة في باب الرَّخاوةُ والين؛ يقال أرضٌ سخيَّة و سخَّاوية إذا كان فيها لين ورخاوة،" كذلك قال " ولا يقاس عليه السمح _يعني على الجواد_ لما يدخل السماحة من معنى اللين والسهولة؛ وأما الجود فإنما هو سعى العطاء؛ من قولك جاد السحاب إذا أمطر فأغزر."

يقول أيضا " وقد جاء في الأسماء القويّ، ولا يقاس عليه الجَلْد وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد " قال " ولا يقاس على القادر المطيق ولا المستطيع لأن الطاقة

والاستطاعة إنما تطلقان على معنى قوة البنية وتركيب الخلقة. ولا يقاس على الرحيم الرقيق وإن كانت الرحمة في نعوت الآدميين نوعا من رقة القلب وضعفه عن احتمال القسوة " وقال أيضا في صفات الله سبحانه الحليم والصبور: " فلا يجوز أن يقاس عليها الوقور والرزين وفي أسمائه العليم ومن صفته العلم فلا يجوز قياسا عليه أن يسمى عارفا لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي يتوصل بها إلى علم الشيء. وكذلك لايوصف بالعاقل "

ثم قال: " وهذا الباب يجب أن يراعى ولايغفل فإن عائدته عظيمة والجهل به ضار وبالله التوفيق."

إذن الأسماء مبنية على التوقيف، ما جاء في الكتاب ما جاء في السنة أما أن يقاس عليها فلا. فلا يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه أو سماه رسوله صلى الله عليه وسلم.

** ابن القيم رحمه الله تعالى يقول: " أسماء الله تعالى الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها. وتفسير الأسماء منها بغيره ليس تفسيرا لمرادف محض بل هو على سبيل التقريب والتفهيم "

معناه لو أردت أن توضح معنى اسم لا يجوز أن تسمي الله تعالى بهذا التوضيح، بل الأسماء أسماؤه توقيفية.

" إذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنىً وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص " إلى آخر كلامه.

يقول رحمه الله تعالى: " وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه فتأمل ذلك، فأسماؤه أحسن الأسماء وكما أن صفاته أكمل الصفات "

إذن لا يقاس على أسماء الله تعالى لايُقاس على أسمائه اسم آخر بل علينا أن نتقيد بما جاء في الكتاب والسنة.

أيضا يخرج بقولنا أن أسماء الله تعالى توقيفية كل ما يذكر في باب الاخبار عن الله عز وجل وإن كان على صيغة الاسم، كل مايذكر في باب الإخبار عن الله وإن كان على صيغة الاسم، لأن باب الأسماء توقيفي وباب الإخبار غير توقيفي؛ فيخرج بهذا كل ما يدخل تحت باب الإخبار إن كان بصيغة الاسم لأنها أخبار وردت بصيغة الاسم وليست أسماءً لله عز وجل.

•يقول ابن القيم رحمه الله تعالى، يتكلم في مزيد توضيح في هذه المسألة لعدم دخول الأفعال ضمن أسماء الله عز وجل وأن ما يطلق على الله تبارك وتعالى من باب الإخبار لا يتسمى به، يقول: " ان الفعل أوسع من الاسم ولهذا أطلق الله تعالى على نفسه أفعالاً لم يتسم منها بأسماء الفاعل؛ كأراد وشاء وأحدث ولم يسمِّ نفسه بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن وغير ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه؛ فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء."

يقول رحمه الله " وقد أخطأ أقبح خطأً من اشتق له من كل فعل اسما وبلغ بأسمائه زيادة عن الألف، فسماه _ تعالى الله عن هذه التسمية_ الماكر والمخادع والفاتن والكائد ونحو ذلك."

قال " وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به، فإنه يخبر عنه أنَّه شيءٌ وموجودٌ ومذكورٌ ومعلوم ومراد ولا يُسمَّىٰ بذلك."

يقول في موضع آخر " ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفيٌ وما يطلق عليه من الاخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشئ والموجود والقائم بنفسه فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه؛ هل هي توقفيةٌ أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد في السمع، إذن هي توقيفية "

والألفاظ التي تدخل تحت باب الخبر ولا تدخل تحت باب الأسماء والصفات نوعان:

-النوع الأول: ألفاظ وردت في الكتاب والسنة أو أشار الكتاب والسنة إليها، فمن الوارد في كتاب الله تعالى الصنعُ والإتقانُ المذكوران في قوله تعالى { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ }

ومن الألفاظ المشار إليها لفظ الشيء في قوله تعالى { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ }.

- الأمر الثاني: الألفاظ التي لم ترد في الكتاب أو السنة وهي تدخل تحت باب الإخبار كلفظ الذات والقديم ونحو ذلك.

• يقول شيخ الإسلام ابن تيمة في مجموع الفتاوى: " وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال - يعني أن يقول المخالف في باب المناظرة أو في باب المحاجة أنت تتكلم وهو يتكلم فيقول لك المخالف - ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك وأنت تريد أن ترد عليه؛ تقول: بل هو سبحانه قديم، تريد أنه أول موجود وهو ذاتٌ قائمة بنفسها، يقول لك: ليس بشيء. فتقول: لا بل هو شيء.." قال شيخ الاسلام "فهذا سائغٌ " يعني يجوز في باب الإخبار. لكن عندما نقول شيء وعندما نقول صانع وعندما نقول متقن ونحو ذلك وقديم وموجود فهذا كله من باب الإخبار وليس من باب إطلاق هذه الأسماء على الله تبارك وتعالى.

فباب الإخبار باب واسع وكما قال ابن القيم رحمه الله تعالى سابقا، يقول: " ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفيٌ، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً "

إذن لا نسمي الله تبارك وتعالى بما نخبر به عن الله تعالى من الأسماء ومن الأمور أو الألفاظ التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة. هذا بالنسبة للآية الأُولى التي استدل بها العلماء على أن أسماء الله تعالى توقيفية.

• ذكروا آيةً أخرى استدلوا بها على أن أسماء الله تعالى توقيفية وهي قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُون } فقالوا من قال إن هذا اسمٌ لله أو إن هذه صفة لله بغير دليلٍ فقد قال على سبحانه وتعالى بغير علمٍ؛ وهو محرمٌ بنص هذه الآية.

• كذلك من الأدلة التي استدلوا بها قول الله تبارك وتعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} فقالوا في معنى هذه الآية أن من سمَّى الله تعالى باسم أو

صفة ليس عنده دليلٌ على هذه التسمية أو على هذا الوصف فقد قفا يعني اتبع ما ليس له به علم وقد وقع فيما حرَّم الله تبارك وتعالى عليه{ ولا تقفُ ماليس لك به علم }

فهذه من الأدلة التي ذكرها العلماء لهذه القاعدة من قواعد الأسماء.

نسأل الله تبارك وتعالى بمنه وفضله أن يعلمنا ما جهلنا وأن يوفقنا لما يحب ويرضى إنه جواد كريم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أتم صلاة وأفضل تسليم.

والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الخامسة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه وأستغفره وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

وبعد

فحياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة الخامسة من مادة الأسماء والصفات.

وفي هذه المحاضرة، سيكون الحديث بحول الله تعالى موصولا على ما بدأناه في المحاضرات السابقة من الحديث عن أسماء الله تبارك وتعالى.

وموضوع هذه المحاضرة سيركز على أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من الأسماء والصفات،

إذن الموضوع هو أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من الأسماء والصفات.

فأقول وبالله أستعين:

أسماء الله تبارك وتعالى بحسب ما تدل عليه من الأسماء والصفات تنقسم إلى أربعة أقسام:

- **القسم الأول : أسماء الله التي تدل على جميع الأسماء والصفات**

هذا القسم الأول أسماء الله التي تدل على جميع الأسماء والصفات، فإليها مرجع الأسماء والصفات جميعها، وهذا القسم منحصر في اسم واحد من أسماء الله تعالى خاصة، وهو اسم الله. إذن منحصر في اسم الله خاصة.

يقول ابن العربي المالكي صاحب أحكام القرءان،- وفرق بينه وبين ابن العربي الطائي الملحد الزنديق صاحب وحدة الوجود- أقول يقول ابن العربي المالكي رحمه الله:

" الله وهو اسمه الأعظم الذي يرجع إليه كل اسم، ويضاف إلى تفسيره كل معنى"

إذن مردّ الأسماء والصفات إلى اسم الله " الله "، فهذا الاسم الذي يدل على جميع الأسماء والصفات.

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله

" اسم الله دال على جميع أسماء الله الحسنى والصفات العليا ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم ، كقوله { ولله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى }"

وأقول أيها الأفاضل: كذلك لو قرأنا في آخر سورة الحشر، الله تبارك وتعالى يقول **{هو الله الذي لا إله هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر }**

فالله تبارك وتعالى قد أضاف سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم.

فالله تعالى – كما قال ابن القيم- :

" يقول { ولله الأسماء الحسنى } فتضاف سائر الأسماء إلى اسم الله تعالى فيقال : الرحمن، والرحيم والقدوس والسلام والعزيز والحكيم كلها من أسماء الله ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا يقال الله: من أسماء العزيز ونحو ذلك "

إذن فهمنا هذا القسم الآن؟ هذا القسم يختص بأسماء تدل على جميع الأسماء والصفات، وقلت هذا القسم منحصر في اسم واحد وهو الله تبارك وتعالى.

" فعلم أن اسمه عز وجل الله مستلزم لجميع الأسماء والصفات، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية ." إلى آخر كلام ابن القيم رحمه الله

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:

" اسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى "

هناك مسألة طرحها بعض الناس، وقد تكون مما يرد على قولنا السابق (أن اسم الله تعالى هو الاسم الذي تردّ إليه سائر الأسماء والصفات): لو قرأنا في أول سورة إبراهيم عليه السلام في قراءة حفص عن عاصم: **{ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ }**

فمن يقرأ الآن { **الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) اللَّهِ..}** يظن بأن الله تبارك وتعالى رد إلى اسم العزيز والحميد، والحقيقة هنا في اسم الله الموجود في هذه الآية فيه قراءتان:

القراءة الأولى : على ما قرأتها، على الخفض **" اللَّهِ "** وفي توجيهها ثلاثة أقوال:

1- **القول الأول:** أن في الآية **تقديما وتأخيرا**، وتقدير الكلام: إلى صراط الله العزيز الحميد

فلفظ الجلالة الله تأخر بعد العزيز والحميد، فيكون كما قال العلماء من باب تقديم الصفة على الموصوف، ومن باب توسط الموصوف للصفات،

كما لو قلت: العالمُ الفقيه محمد الإمام، وأنت تعني فلان محمد فجُعل الاسم محمد متوسطا بين الصفات: العالم الإمام الفقيه.

يقول أبو عمرو ابن العلاء **" الخفض على التقديم والتأخير، تقديره : إلى صراط الله العزيز الحميد"**

2- **القول الثاني:** أن اسم الله تبارك وتعالى في هذه الآية **بدل** من العزيز الحميد، أو **معطوف عطف بيان**، كما قال هذا القول الزمخشري، يقول الزمخشري **" قوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا "**

يقول العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

" الله علم على الرب عز وجل، لا يسمى به غيره وهو أصل الأسماء ولهذا تأتي الأسماء تابعة له ولا يأتي تابعا للأسماء إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى { إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ} لكن لفظ الاسم الكريم هنا بدل من العزيز وليس صفة لأن جميع الأسماء إنما تكون تابعة لهذا الاسم العظيم "

- وعليه فلا إشكال أيضا بالنسبة لهذين القولين.

3- **القول الثالث:** أن اسم الله تعالى في هذه الآية **نعت** للعزيز الحميد، **{ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) اللَّهِ}**

4- يقول البغوي ضمن تعداده للقراءات في الآية **" وقرأ الآخرون بالخفض** _ يعني **اللَّهِ_ نعتا للعزيز الحميد "**

وهذا التوجيه، أعني القول الثالث، الذي يظهر أنه ضعيف لعدم النظير له، فلم يُعهد أن يكون اسم الله تعالى تابعا لغيره، في النصوص الشرعية.

وما سبق من كلام العلامة ابن القيم والعلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى يغني ويبين أن هذا القول الثالث أنه من الأقوال المرجوحة.

إذن القراءة الأولى قد عرفناها أيها الأفاضل وهي قراءة اسم الله على الخفض، وذكرنا التوجيهات الثلاث أو الأقوال الثلاث في توجيه هذه القراءة.

القراءة الثانية في قراءة اسم الله تعالى بالرفع على أنه مبتدأ وخبره إما أن يكون المصول بعده أو يكون الخبر محذوفاً؛ يعني تقرأ الآية هكذا: **{ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1)}** انتهت الآية، الآية الأخرى: **{اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ }.**

- فهذه قراءة ثانية بالرفع على أنه مبتدأ وخبره إما:

1- أن يكون الموصول بعده { الذي له ما في السموات وما في الأرض }

2- أو يكون الخبر محذوفا قدره بعضهم بأنه: الله الذي له ما في السموات والأرض، العزيزُ الحميدُ. بدلالة الآية قبلها.

- أو أنه خبر لمبتدأ مضمر تقديره:هو الله الذي له ما في السموات والأرض.

وهذه القراءة الثانية هي قراءة جعفر وابن عامر ونافع، وعلى هذه القراءة لا إتباع ولا إشكال؛ أعني لا إتباع لاسم الله لبقية أسمائه تبارك وتعالى ولا إشكال في ذلك، فيبقى الأمر الأساسي الذي ذكرناه وهو أن

اسم الله تعالى هو الاسم الذي ترد إليه جميع الأسماء والصفات، كما قال العلامة ابن القيم **" فهو دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا ولهذا يضيف الله تعالى سائر أسمائه الحسنى إلى هذا الاسم العظيم".**

هذا القسم الأول أيها الأفاضل من أقسام الأسماء ودلالاتها، قلنا القسم الأول هو الاسم او الأسماء التي تدل على جميع الأسماء والصفات، ومثلنا لها ليس لها إلا اسم " الله " الذي تُردّ إليه جميع الأسماء وتضاف إليه جميع الصفات.

- **القسم الثاني** من أقسام الأسماء باعتبار ما تدل عليه من الأسماء والصفات هو **الأسماء التي تدل على أكثر من صفة**، قلنا في الأول التي تدل على جميع الأسماء والصفات، هنا تدل على أكثر من صفة.

فمن أسماء الله تعالى ما دلّ على عدة صفات، من أسمائه تبارك وتعالى ما دلّ على جملة من الأوصاف، وأنا أريد أن أذكر الإخوة الأفاضل بما تكلمنا عنه في محاضرات سابقة، أن كل اسم من أسماء الله تعالى معنى من المعاني؛ صفة من الصفات. لكن من أسماء الله تعالى ما يدل على أكثر من معنى؛ على أكثر من صفة، فيدل على عدة صفات ولا يدل على صفة واحدة فحسب

إذن، من الأمور المقررة عند أهل العلم، أنه إذا كان الاسم من أسماء الله تعالى دالا على عدة معان فإنه يتناولها كلها تناول الاسم الدال مع معنى واحد لمعناه،

بمعنى أنه يشمل جميع هذه المعاني، كما يشمل الاسم الواحد الذي تضمن معنى واحدا أو صفة واحدة، كما يشمل معناه، فإن هذا الاسم الدال على جملة من المعاني يشمل كل هذه المعاني، فهو يدل على سائر الصفات التي اشتمل عليها.

هذا القسم قد قرره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بأمثلة ضربها، يقول

" إن من أسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها، كاسمه العظيم والمجيد والصمد " _ هذه من الأسماء التي تدل على صفات كثيرة وليس على صفة واحدة._

ولعل الأفاضل حفظهم الله تعالى يذكرون ما مر معنا في محاضرة سابقة من قول ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره، عندما أراد أن يبين معنى اسم الله تعالى الصمد، ماذا قال ؟ قال:

" الصمد هو السيد الذي قد كمل في سُؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفوا أحد وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار "

هذا كلام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير اسم واحد لله تعالى وهو اسم **الصمد**، هل دل على معنى واحد ؟ لا، بل دلّ على معان متعددة، فاشتمل هذا الاسم على معان متعددة فتناولها جميعا. لذلك

فسر ابن عباس " الصمد" بما ذكرت لكم؛ سيّد وشريف وحليم وعظيم وعليم وحكيم.. إلى آخر الصفات التي ذكرها.

فالصمد من الأسماء التي دلت على عدة صفات وليس على صفة واحدة فقط

كذلك من أسماء الله تعالى التي دلت على عدة صفات، اسم الله تعالى: **الحميد**

فالحميد له جميع المحامد وهي جميع صفات الكمال، فكل صفة من صفات الكمال يُحمد عليها سبحانه وتعالى، فكل صفة يحمد عليها، فالحميد اشتمل على جميع صفات الكمال.

والعظيم الذي له كمال العظمة في أسمائه وصفاته وأفعاله، المتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال والجلال والجمال، فهو العظيم ذو العظمة المطلقة والجلال والكبرياء في ملكه وفي سلطانه وفي ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله، الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه ويخضعون له ويمتثلون أمره ويجتنبون نهيه.

يقول ابن القيم رحمه الله

[وهو العظيم بكل معنى يوجب التعظيم لا يحصيه من إنسانٍ] إذن في اسم الله العظيم أنه يشتمل على معانٍ كثيرة تدل على كماله تبارك وتعالى، تدل على صفاته المتصف بها، فقول ابن القيم رحمه الله **[وهو العظيم بكل معنى يوجب التعظيم لا يحصيه من إنسانٍ]** فلا يحصي الإنسان هذه المعاني العظيمة التي اشتمل عليها اسم الله **العظيم**

كذلك **المجيد** من أسمائه تبارك وتعالى

المجيد على وزن فعيل، للمبالغة، كثير المجد والتمجيد، وهذا الاسم يتضمن صفات الكمال، فهو يتضمن الصفات الكاملة وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله سبحانه وتعالى وكثرة خيراته ودوام خيراته وبركاته، فاسم المجيد يشمل أو يشتمل على معان متعددة.

كذلك – أيها الأفاضل- **الأحد والواحد:** وهما من أسماء الله تبارك وتعالى وهما بمعنى الفرد الذي لم يزل وحده بلا شبيه ولا قسيم ولا شريك، الأحد والواحد.

وهذان الاسمان قد دلا على أكثر من معنى:

- دلا على تفرّد الله تبارك وتعالى بالربوبية
- دلا على وجوب إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، واحد تصرف إليه الأفعال وحده
- دلا على كماله المطلق، إذ لا مثيل له ولا نظير له سبحانه وتعالى

دعونا نستمع إلى ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في معنى هاذين الاسمين؛ يقول الشيخ بن سعدي رحمه الله في معنى **الواحد الأحد**، يقول:

[وهو الذي توحّد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك ويجب على العبيد توحيده عقدا وقولا وعملا بأن يعترفوا بكماله المطلق وتفرده بالوحدانية ويفردوه بأنواع العبادة] فهذا معاني اسمي الله تبارك وتعالى الواحد الأحد.

وكذلك **الكبير** من أسمائه سبحانه وتعالى، و**الكبير** قد اشتمل على معان متعددة :

فهو الموصوف بالجلال وكِبر الشأن وكل شيء دونه ولا شيء أعظم منه، فيصغر دون جلاله كلّ كبير، والله تبارك وتعالى ذو الجلال والإكرام موصوف بوصف العظمة ومنعوت بنعت الرفعة، أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أصفيائه وأوليائه قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه.

وهذا الحقيقة – أيها الأفاضل - مما خفي على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير أسماء الله الحسنى، ففسر الاسم بدون معناه، لم يتطرق لبعض الأسماء التي لها معان متعددة فيفسرها بكل معانيها فنقصه من حيث لا يعلم، ومن لم يحط بهذا علما يبخس أسماء الله تبارك وتعالى حقها.

القسم الثالث من أسماء الله التي دلت على صفاته وأسمائه: **أسماء لله تعالى دلت على صفة واحدة فقط:**

سواء أكانت صفة ذاتية – والصفة الذاتية سيأتي التعريف بها عندما ندخل في باب الصفات بحول الله تعالى- وهي الصفة التي لم يزل الرب سبحانه ولا يزال متصفا بها، فهي لا تنفك عن ذاته سبحانه؛ لم يزل ولا يزال.

أو صفة فعلية: وهي الصفة التي تتعلق بمشيئته جل وعلا

وعلى هذا القسم؛ القسم الثالث أكثر أسماء الله الحسنى، سعني كل اسم دلّ على صفة واحدة، على هذا القسم أكثر أسماء الله الحسنى،

إذن مرّ معنا قسمين: - قسم وهو اسم الله تعالى " الله " الذي دل على جميع الصفات

-أسماء لله تعالى دلت على عدد من الأوصاف

الآن أسماء لله تعالى دلت على صفة واحدة؛ كما قلت للأفاضل على هذا القسم أكثر أسماء الله الحسنى.

مثل :_اسم الله تعالى **السميع** يدل على صفة السمع، واسم الله تعالى البصير يدل على صفة البصر، واسم الله الخالق يدل على صفة الخلق، اسم الله الحيّ يدل على ثبوت الحياة لله تبارك وتعالى على صفة الحياة.

فالسميع كما قلت أيها الأفاضل دل على صفة السمع والبصير دل على صفة البصر أو ثبوت صفة البصر، والغفور دل على المغفرة، والرحيم دل على صفة الرحمة وهكذا..

فـ**السميع**_دل على صفة السمع، فاسمه تبارك وتعالى **السميع**:

هو سميع لأقوال عباده يسمع السر والنجوى، ويستوي عنده الجهر والخفوت، تأملوا في قوله تعالى { سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به } ويستوي عنده النطق والسكوت، ولا يعزب عن سمعه مسموع

وإن دقّ أو خفي سرا كان أو جهرا، يسمع دعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم مع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم، ويعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول.

تأملوا في كلام ابن القيم رحمه الله في النونية، يتكلم عن هذا الاسم العظيم من أسماء الله تبارك وتعالى، يقول:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني

فهو سبحانه وتعالى يسمع كل حركة وسكنة ولفظة وهمسة من خلقه، وسمعه مع علمه محيط بهم، لا يغيب عنه شيء من أمورهم، لأنه السميع جل وعلا.

كذلك اسم الله تبارك وتعالى **البصير** قد دل على صفة البصر، فهو جلّ وعلا يبصر كل شيء وإن رقّ وصغُر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، ويرى كل شيء من خلق، دق أو جلّ، ظهر أو خفي، يبصر ما يعلمون ويبصر ما يعملون لا يخفى عليه شيء من ذلك ، بل هو بجميعها محيط ولها حفيظ.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في توضيح اسم الله تعالى البصير، وكيف دل على صفة البصر:

وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصوّان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيانِ

ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاكَ تقلب الأجفان

والعبد إذا استشعر أن ربه **البصير** يراه ولا تحجب رؤيته الحواجب، فلا يغيب عن بصره جل وعلا، لا يغيب عن بصره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، العبد إذا عرف أن ربه بصير فإنه يراقبه ولا يكون دائما إلا في الموضع الذي يحب أن يراه ربه فيه.

ومن أسمائه **الحليم**، وهو كذلك يدل على صفة الحلم، فهو حليم على من عصاه جل وعلا، يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم عليهم فيؤخر وينذر، ويؤجل ولا يعجل ولو أراد أخذهم في وقتهم لأخذهم، فهو كما قال ابن القيم:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيانِ

كذلك هو **العزيز** الذي عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء، منيعٌ فلا ينال جنابه لعزته وعظمته ولا يغالب لجبروته وكبريائه، فله العزة كلها؛ عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع فامتنع أن يناله أحد ممن المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته.

يقول ابن القيم رحمه الله في معنى هذا الاسم

وهو العزيز فلم يـرام جنابـه أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم يغلبه شيء هـذه صـفـتـان

وهو العزيز بقوة هي وصفه فالعزّ حينئـذ ثـلاث معـان

وهو **قدير مقتدر قادر** ذو قدرة شاملة على ما يشاء، فلا يعجزه شيء ولا يفوته مطلوب ولا يتطرق إليه العجز أبدا، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى هذا الاسم:

وهو القدير وليس يُعجزه إذن ما رام شيئا قطّ ذو سلطانِ

فبقدرته أوجد الموجودات وبقدرته دبرها وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت ويبعث عباده للجزاء ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، بقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد.

<u>اللهم يا مقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك، ويا مصرف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك.</u>

فهذه أسماءه سبحانه وتعالى التي تضمنت معانٍ، فهي ليست أسماء مجردة كما قالت المعتزلة، ليست ألفاظا جوفاء، بل كلّ اسم من أسمائه جلّ وعلا قد اشتمل على معانٍ شريفة مباركة.

- **القسم الرابع** من أقسام أسماء الله ودلالتها على الأسماء والصفات **أسماء الله تعالى دلت على تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب وعما لا يليق به جلّ وعلا:**

هذه الأسماء في هذا القسم الرابع تدل على السلامة من النقائص والعيوب:

اسم الله **<u>العليّ، الأعلى، المتعالي:</u>** فهو عليّ في ذاته سبحانه وتعالى.

- وهو **عليّ** في قدره
- **عليّ** في قهره، فهو القاهر لعباده

- وهو **متعالٍ** على أن يكون له مماثل في صفاته، لأنه سبّوح قدوس منزه عن كل سوء ونقص وعيب، متكبر، تكبّر بربوبيته عن صفات خلقه، فلا شيء مثله ، كبير كبُر عن أن يكون له مِثل أو شريك

فالرب تبارك وتعالى ، كما أنه منزه عن النقص في أسمائه الحسنى وفي صفاته العلى، فإنه كذلك منزّه عن النقص في أقواله وفي أفعاله جلّ وعلا، فهو خالق وما عداه مخلوق له، صفات مخلوقاته وأفعال مخلوقاته تناسب نقصها وتليق بضعفها، أما الخالق سبحانه وتعالى فله الكمال المطلق في أسمائه، وأوصافه وأفعاله وأقواله، وثبوت هذا الكمال المطلق له ينفي اتصافه بالنقائص.

إذن من أسمائه تبارك وتعالى ما يدل على تنزيه الرب تبارك وتعالى وتقدس عن النقائص وعما لا يليق به.

وضربت لكم من هذه الأسماء اسم من الأمثلة اسم العليّ.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى اسم **العليّ**، يقول:

وهو العليّ فكل أنواع العلوّ له فثابتة له بلا نكران

وقد ذكرت لكم قبل قليل أن من أنواع العلوّ علوّ قدره، فهو يتعالى سبحانه وتعالى وعلوّ ذاته، فهو فوق خلقه وعلوّ قهره، فهو القاهر لعباده جلّ وعلا؛ فهو علوّ الشأن، وعلوّ القهر ، وعلوّ الذات.

وذكرت أيضا **الأعلى والمتعالي:**

ولو تدبرنا هذه الأسماء وهذه المعاني التي تحملها هذه الأسماء، تدبر العبد لهذه الأسماء يحمله على إفراد الرب تبارك وتعالى بالعبادة، فيفرده بأفعال نفسه، وينزّه الله تبارك وتعالى عن المثيل والشريك فلا مثيل له في أسمائه ولا مثيل له في صفاته ولا مثيل له في أفعاله جلّ وعلا وتقدّس.

هذه _ أيها الأفاضل _ خلاصة هذه المسألة التي تكلمت عنها بين أيديكم، وهي تقسيم أو أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من الأسماء والصفات.

قلنا:

- **القسم الأول:** أسماء الله الحسنى التي دلت على جميع الأسماء والصفات، وذكرت أن هذا القسم منحصر في اسم واحد وهو اسم **الله** تعالى خاصة، فإليه ترجع جميع الأسماء ويضاف إلى تفسيره كل معنى كما قال ابن القيم رحمه الله، يقول **" اسم الله دال على جميع أسماء الله الحسنى"**
- وذكرت لكم **القسم الثاني** من هذه الأقسام، وهو أسماء لله دلت على أكثر من صفة ومثلت لها باسم الله تعالى الصمد، واسمه المجيد، واسمه العظيم، والحميد ونحو ذلك
- ثم وصلت إلى **القسم الثالث** وهو أسماء الله الحسنى التي دلت على صفة واحدة، وقلت للأفاضل وهذا القسم يشمل أكثر صفات الله تبارك وتعالى وتقدس.

- أما القسم الرابع والأخير من هذه الأقسام فهو قسم يدل على تنزيه الله تبارك عن النقائص والعيوب وعما لا يليق به جلّ وعلا، ومن هذه الأسماء: اسم السبّوح والقدّوس، فهو سبحانه وتعالى منزّه عن كل سوء ونقص وعيب، المتكبر؛ تكبر بربوبيته عن صفات خلقه فلا شيء مثله، الكبير الذي كبر عن أن يكون له مثل أو شريك، العليّ الأعلى والمتعالي الذي تعالى عن أن يكون له مماثل في صفاته تبارك وتعالى.

فهذه هي الأقسام التي ذكرها أهل العلم في هذا الباب.

والآن، إلى المسألة الأخرى:

هناك تقسيم لأسماء الله تعالى الحسنى يشبه إلى حد ما التقسيم السابق، وهذا التقسيم باعتبار ما دلّت عليه الأسماء من معان ثبوتية أو منفية.

فأسماء الله تبارك وتعالى بحسب ما دلت عليه من معان ثبوتية أو منفية تنقسم إلى قسمين:

- **القسم الأول :** أسماء الله التي **تتضمن معان منفية وثبوتية في الوقت نفسه،** والعلماء قد مثلوا لهذا القسم باسم الله تعالى **السلام؛** فالله تعالى من معاني اسمه **السلام** أنه سلم في نفسه، في ذاته في أسماءه، في صفاته، من كل نقص، وهو مسلِّم لغيره أيضا.

يقول ابن القيم رحمه الله:

[وكذلك اسمه السلام فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص ، ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم، ومن موجبات وصفه بذلك (أي وصفه بالسلام**) سلامة خلقه من ظلمه لهم، فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشرّ ومن التسمية به ومن فعله ومن نسبته إليه، فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص ، المسلّم لخلقه من الظلم]** هذا كله من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى اسم الله **السلام** فهو يتضمن معان ثبوتية ومعان منفية.

يقول ابن القيم رحمه الله:

[وكذلك الكبير من أسمائه والمتكبّر، قال قتادة وغيره: هو الذي تكبّر عن السوء، وقال أيضا: الذي تكبّر عن السيئات، وقال مقاتل: المتعظّم عن كل سوء، وقال أبو إسحاق: الذي يكبر عن ظلم عباده]
يعني يتكبر، يتعالى عن ظلم عباده.

قال ابن القيم رحمه الله:

[وكذلك اسمه العزيز الذي له العزة التامة، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب فإن ذلك ينافي العزة التامة]

الآن تأملوا كيف أن هذه الأسماء قد دلت على معان ثبوتية ومعان منفية، فهي تنفي عن الله تعالى كل سوء وشر وعيب ونقص، وهي تثبت لله تعالى المعنى الأكمل والصفة الأعلى.

[كذلك اسمه العلي سبحانه وتعالى] (كلام ابن القيم، لا زال كلام ابن القيم)

يقول:

[كذلك اسمه العليّ، الذي له علا عن كل عيب وسوء ونقص ، ومن كمال علّوّه ألا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء]

قال

[وكذلك اسمه الحميد الذي له الحمد كله، فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ولا نقص، لا في أسمائه ولا في أفعاله ولا في صفاته ، فأسماءه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء إليه والظلم مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء]

هذا كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في هذا القسم الأول.

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى _ قال كلاما شبيها بكلام ابن القيم_ تكلم عن اسم الله تعالى السلام، فقال:

[السلام اسم ثبوتي سلبيّ]

يعني منفي ثبوتي كما قال ابن القيم

[فسلبيّ أي أنه يراد به نفي كل نقص أو عيب يتصوره الذهن أو يتخيله العقل فلا يلحقه نقص في ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أحكامه

وثبوتي أي يراد به ثبوت هذا الاسم له والصفة التي تضمنها وهي السلامة]

ومثل اسم الله تبارك وتعالى السلام، اسمه المتكبّر فمعناه الذي له الكبرياء والملك والعظمة، المتكبر عن كل سوء، المتعاظم عما لا يليق به، فدلّ اسمه المتكبرّ على إثبات صفة التكبّر والعظمة والملك له عزّ وجلّ ودل على نفي صفات السوءالتي تكبر عنها لأنها لا تليق به سبحانه وتعالى.

يقول الإمام البغوي رحمه الله،

[المتكبّر الذي تكبّر عن كل سوء، وقيل المتعظّم عمّا لا يليق به، وأصل الكبر والكبرياء الامتناع،

وقيل : ذو الكبرياء أي ذو الملك]

يقول السعدي رحمه الله تعالى:

[المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة المتنزّه عن جميع العيوب والظلم والجور]

هذا بالنسبة للقسم الأول الذي جمع نفيا وإثباتاً، اسماء لله تبارك وتعالى التي دلت على معانٍ منفية ومعانٍ ثبوتية.

أما القسم الآخر فهو شبيه بما مر معنا في التقسيم السابق:

- **القسم الثاني :** أسماء الله التي **دلت على معان ثبوتية**

ويدخل فيه أكثر أسماء الله تبارك وتعالى، كاسم الله السميع؛ وقد تكلمنا عن هذا الاسم في التقسيم السابق، اسمه البصير؛ تكلمنا عن هذا الاسم، اسمه القدير؛ تكلمنا، وكذلك اسمه العليم..

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في اسم الله تعالى **العليم**

وهو العليم أحاط علما بالذي في الكون من سرٍّ ومن إعلان

وبكلّ شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيانِ

وكذاك يعلمُ ما يكون غدا وما قد كان والموجود في ذا الآن

وكذاك أمرٌ لم يكن لو كان كيـ ـف يكون ذاك الأمر ذا إمكانِ

والعبد إذا علم أن ربه تبارك وتعالى مطلع عليه، على كل صغيرة وكبيرة يعملها، وعلى غائبة وشاهدة (غائبة عن الخلق وأمامه) فعليه أن يراقب ربه وأن يعبده سبحانه كأنه يراه، لأنه حفيظ فهو يحفظ جميع المعلومات لا يغيب عنه شيء، يحفظ أعمال عباده لا يضيع عليه منها شيء، لا يخفى عليه شيء منها صغيرا كان أو كبيرا.

كذلك من أسمائه تبارك وتعالى **اللطيف** الذي لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت ، وتضاءلت ، فهو عالم بخفايا الأمور لا تخفى عليه خافية، بل علمه يصل إلى كلّ خفية، أحاط علمه بالسرائر والخفايا وأدرك البواطن والخبايا، وعلم الأمور الدقيقة فلا يفوته شيء وإن دقّ أو صغر أو خفي أو كان في مكان سحيق، لا تخفى عليه الخردلة بل يستخرجها ويأتي بها ولو كانت في صخرة في باطن الأرض أو في السموات لأنه لطيف خبير، كما قال لقمان لابنه { يا بنيّ إنها إن تك مثقالَ حبة من خردل فتكن في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير }.

بارك الله فيكم ووفقكم، ونسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما سمعنا، إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المحاضرة السادسة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد الا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فأهلا وسهلا وحياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة السادسة من مادة الأسماء والصفات.
والحديث في هذه المحاضرة موصول عن أسماء الله عز وجل، والتركيز سيكون إن شاء الله عن قواعد ذكرها العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى في كتابه المفيد القواعد المثلى.

من القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى في أسماء الله تعالى:

أن أسماء الله أعلام وأوصاف

وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى في محاضرة من المحاضرات السابقة، لكن نحاول توضيح هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى.

أسماء الله أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني ؛ فهي مشتملة على معان عظيمة ودالة على صفات كمال، وليست ألفاظا مجردة لا تدل على معان، والله تبارك وتعالى يذكر هذه الأسماء متمدحا بها، والاسم العلم الذي لا يدل على معنى لا مدح فيه وإنما المدح بما يتضمنه من المعاني.

أقول أيها الأفاضل: هذه القاعدة التي ذكرها العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله راجعة إلى قضية مرت معنا وهي: تضمن الأسماء للصفات، فالأسماء أعلام وأوصاف؛ أعلام لدلالتها على ذات الرب تعالى وأوصاف لدلالتها على المعاني، فليست أعلاما محضة أو أسماء مجردة كما تقوله المعتزلة ، بل هي صفات وأعلام.

والاسم المشتق في اللغة العربية يدل على صفة وموصوف؛ فإذا قلت الكاتب دل على صفة الكتابة وعلى من اتصف بها، فتدل على المعنى وتدل على من قام به ذلك المعنى، لكن قد يكون هذا اللفظ علما عليه وقد تكون مجرد إخبار عن اتصافه بتلك الصفة.

أما أسماء الله تبارك وتعالى فهي أعلام أي أسماء له جل وعلا، فعندما نقول الرحمن فالرحمن اسم من أسماءه ، السميع ، البصير ، وكذلك سائر أسماءه سبحانه فهي دالة عليه؛ أعلام له دالة عليه ، وهي صفات له سبحانه ، وهي بالاعتبار الأول **مترادفة** كما ذكر الشيخ رحمه الله لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل فعندما نقرأ في سورة الحشر **{ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم }** فالآن الرحمن من أسماء الله والرحيم من أسماء الله **{ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر}** هذه كلها من أسمائه سبحانه وتعالى ، فهي مترادفة لدلالتها على مسمى واحد ، وهو الله عز وجل.

والألفاظ المترادفة هي ما اختلفت في ألفاظها واتحدت في مدلولها؛ فلو قلت لكم الرحمن اسم من أسماء الله تعالى يدل على الله فهو علم لله تبارك وتعالى ، الرحيم السميع البصير؛ اختلفت في ألفاظها لكنها اتحدت في دلالتها على مسمى واحد وهو الله تبارك وتعالى، لذلك يقال إنها مترادفة لدلالتها على مسمى واحد.

لكن عند التأمل أيها الأحبة نرى بأن السميع ليس معناه معنى البصير، والبصير ليس معناه معنى القدير، والقدير ليس معناه معنى العزيز وهكذا في أسمائه تبارك وتعالى، فإذا نظرنا إلى المعنى فهي متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص.

لذلك يقولون **الألفاظ المتباينة هي ما اختلفت في ألفاظها ومعانيها**؛ فالآن لفظ القدير يختلف عن لفظ السميع وكذلك معنى القدير يختلف عن معنى السميع ، لكنها كلها أسماء لله تبارك وتعالى لكن السميع ليس كالقدير لفظا ومعنى، والحي ليس كالعليم لفظا ومعنى ، والقدير ليس كالسميع ، وهكذا في سائر أسمائه تبارك وتعالى، فكلها أسماء له جل وعلا لكن معنى الحي غير معنى العليم ومعنى العليم غير معنى القدير وهكذا..

إذن فأسماء الله تعالى باعتبار دلالتها على الذات هي لمسمى واحد ، هو الله، فنقول الله هو العزيز والله هو الرحيم والله هو الحكيم ، والله هو السميع والله هو البصير وهكذا نقول في سائر أسمائه سبحانه وتعالى.

ونقول أيضا عن أسماء الله باعتبار دلالتها على المعاني: إن السميع غير البصير وإن الحي غير القيوم وإن اللطيف غير الخبير ، وإن العزيز غير الحكيم ، وهكذا فهذا باعتبار المعاني فهي متحدة بالذات مختلفة في الصفات، فلا يقال إن أسماء الله متباينة مطلقا ولا يقال إنها مترادفة مطلقا ، بل لا بد من التفصيل فنقول **هي مترادفة في دلالتها على الذات متباينة في دلالتها على الصفات**.

فهذه القاعدة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى، في تقرير هذه القاعدة يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى **" أسماء الله الحسنى هي أعلام وأوصاف ، والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم لأن أوصافهم مشتركة "**، فالعلمية المختصة بها نافتها بخلاف أوصافه تبارك وتعالى، يقول **" لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى"**

ويقول في موضع آخر **" أسماء الرب تبارك وتعالى، أسماء كتبه وأسماء نبيه ﷺ هي أعلام دالة على معان هي بها أوصاف فلا تضاد فيها العلمية الوصف، بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين، فهو الله الخالق البارئ المصور القهار فهذه أسماء له دالة على معان هي صفاته ".**

إذن في قوله رحمه الله تعالى **" لا تضاد فيها العلمية الوصف"** فإن كل اسم من أسماء الله تبارك وتعالى يدل على معنى بخلاف المخلوقين لأن العلمية تنافي عندهم الوصف، فتجد كما تقدم في محاضرة سبقت أن من اسمه كريم لكنه بخيل ، ومنهم اسمه صالح ولكنه طالح ، ومن اسمه سعيد لكنه حزين أو نحو هذه الأمور، فيوجد تنافي بين الاسم وبين الصفة بالنسبة للمخلوقين ، أما ربنا تبارك وتعالى فلا تضاد بين العلمية والوصف.

يقول الإمام الدارمي رحمه الله تعالى - له معنا قريب من المعاني التي ذكرتها سابقا ، له كلام معناه يشبه معاني الكلمات التي نقلتها سابقا عن القيم رحمه الله-، يقول الإمام الدارمي عثمان بن سعيد رحمه

الله **" لا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسمائهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم "** نفس الكلام الذي ذكرته لكم قبل قليل ، **" وأسماء الله وصفاته ليس شيء منها مخالفا لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفا لأسمائه فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر لأنك إذا قلت الله فهو الله وإذا قلت الرحمن فهو الرحمن ، وهو الله فإذا قلت الرحيم فهو كذلك وإذا قلت حكيم عليم حميد مجيد جبار متكبر ظاهر قادر فهو كذلك هو الله سبحانه وتعالى لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسما، وقد يسمى الرجل حكيما وهو جاهل** -هذا كلام الدارمي رحمه الله- **وحكما وهو ظالم وعزيز وهو حقير وكريم وهو لئيم وصالح وهو طالح وسعيد وهو شقي ومحمودا وهو مذموم وحبيب وهو بغيضو أسدا وحمارا وكلبا وجديا وكليبا وهرا وحنظلة وعلقمة وليس كذلك** -أما الله تبارك وتعالى، يقول الدارمي- **والله تعالى وتقدس اسمه كل اسمائه سواء لم يزل كذلك ولا يزال لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك كان خالقا قبل المخلوقين ورازقا قبل المرزوقين وعالم قبل المعلومين وسميع قبل أن يسمع أصوات المخلوقين وبصيرا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة "**

فأسماء الله تعالى إذن أعلام وأوصاف، وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف كما نبه العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى لدلالة القرآن عليه؛ يعني على هذا المعنى الذي ذكرناه كما في قوله تعالى **{ وهو الغفور الرحيم }** وقوله **{ وربك الغفور ذو الرحمة }** فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال عليم إلا لمن له علم ولا سميع إلا لمن له سمع ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا علم ضلال من سلب اسم الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، كما نبهتكم أيها الأفاضل؛ عندما أراد المعتزلة تأثرا بالجهمية الحديث عن أسماء الله تعالى وصفاته نفوا الصفات وأثبتوا له أسماء مجردة ليس لها معاني، وعللوا ذلك بإن ثبوت الصفات له يستلزم تعدد القدماء.

ما معنى هذه العلة التي ذكروها ؟

عندهم أن الصفات كل صفة شيء قائم بنفسه، فلوا أنهم أثبتوا رحمة الله، والله تبارك تعالى هو القديم عندهم وهو أخص اوصافه، فشاركته صفة في وجوده وهي صفة الرحمة فصار بدلا أن يكون واحدا بزعمهم وفهمهم صارا اثنين، وإذا قلت المغفرة فكذلك صارا ثلاثة أو صاروا ثلاثة وهكذا في سائر صفاته، فهذا علة فاسدة ذكرها المعتزلة محتجين بها على نفي صفات الله تبارك وتعالى ، وقد عللوا كما قلت لكم أن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء.

وهذه العلة التي ذكروها مباينة ومخالفة لدلالة السمع والعقل، فقد دل السمع والعقل على بطلانها، أما السمع فلأن الله تبارك وتعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد، فقال سبحانه **{ إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد }** وقال سبحانه **{ سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى * فجعله غثاءً أحوى }** ففي هذه الآيات التي مرت معنا أوصاف كثيرة لموصوف واحد وهو الله تبارك وتعالى، فهل يلزم من كونه غفورا أن تكون معه المغفرة في القدم منفصلة عنه مباينة له فيكون اثنين بدل الواحد كما تقول المعتزلة ؟ أو الودود أو كونه الأعلى سبحانه أو سائر أسمائه وأوصافه ؟

فقد دلت الآيات على بطلان ما قرره المعتزلة ، وسيأتي الحديث عن مذهب المعتزلة بحول الله تعالى في محاضرات قادمة مع بيان شيء من شبهاتهم والرد عليها.

أما العقل، فالصفات كما يعلم العاقل ليست ذوات بائنة من الموصوف ، كل واحد يعلم من نفسه؛ لو رأيت أمامك شجرة ترى لها جذورا في داخل الأرض وترى لها ساقا وترى لها أغصانا وترى أوراقا وترى ثمارا وهي شجرة واحدة، هل تقول لتعدد هذه الصفات التي لها إنها أكثر من شجرة ؟ لا يقول عاقل إلا أنها شجرة واحدة، فالعقل يقول بأن الصفات ليست ذواتا بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي صفات من اتصف بها فهي قائمة به، وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته؛ إن كان هناك موجود ليس له صفات فهو عدم لأن الموجود لابد أن يكون له صفات حتى يكون موجودا؛ فلو أنك قلت: ليس له صفة، فكأنما تتكلم عن عدم ولا تتكلم عن موجود فكل موجود لا بد من تعدد صفاته ففيه صفة الوجود وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود وكونه عينا قائما بنفسه أو وصفا بغيره.

والشيخ رحمه الله هنا أشار إلى شبهة للمعتزلة -نفات الصفات- يقولون فيها: إن إثبات علم قديم لله -صفة العلم- وسمع قديم لله وبصر قديم لله يستلزم تعدد القدماء. وأخص أوصاف الإله عندهم القدم، فيلزم على قولهم من إثبات الصفات تعدد القدماء، ويقولون: القديم واحد والإله واحد.

ولعل الأفاضل سمعوا أن المعتزلة يقال لهم أصحاب الأصول الخمسة، والأصل الأول من أصولهم الخمسة يطلقون عليه اسم التوحيد وهو أصل متعلق بالأسماء والصفات؛ فيقولون التوحيد أن ننزه الله عن اتصافه بأي صفة فلا يوصف بصفة، فهو واحد لا صفة له، ويزعمون أن من أثبت لله صفة فقد عدد -لم يكن موحدا-، لذلك يقولون لا يوصف بالقدم المطلق إلا واحد فإذا أثبتنا عددا من هذه المعاني فقد أثبتنا قدماء مع الله فيلزم من ذلك تعدد الإله.

والجواب عن هذه الشبهة كما قال الشيخ رحمه الله " إن تعدد الصفات لا يستلزم تعدد الإله لأن الإله بصفاته واحد وقوله هذا باطل في العقل؛ فهل يقال لمن تعددت صفاته من المخلوقات إنه أشياء كثيرة ؟ " كما ذكرت لكم بالنسبة للشجرة وكما أقول لكم عن الباب وعن موصوفات كثيرة لها مجموعة من الصفات، فالإنسان مثلا له عدة صفات؛ كل واحد منا له يدان وله رجلان وله وجه وله عينان وله أذنان وله أنف إلى آخر صفاته فكم عدد الواحد منا ؟ واحد بهذه الصفات، لذلك لا يقال لمن تعددت صفاته من المخلوقات إنه أشياء كثيرة، فالإنسان الذي له عدة صفات هل يكون بتلك الصفات أعدادا كثيرة ؟ هو واحد بصفاته. وأقل ما يقال من صفات الإنسان أنه شيء موجود قائم بنفسه ممكن؛ الآن تكلمنا عن مجموعة الصفات وهو بهذه المعاني وهذه الصفات شيء واحد.

فإثبات الصفات وإن كانت قديمة لا يلزم منها تعدد الإله ، لأنها تابعة له قائمة به ليست أشياء مستقلة، ولهذا حرم نداء الصفة، ونص العلماء على أنه لا يجوز أن تقول: يا رحمة الله يا عزة الله يا قدرة الله... لأنك إذا ناديت هذه الصفة كأنك تنادي شيئا قائما بنفسه يسمع ويخاطب ويدعى ويرجى، بل يقول يا الله - الداعي أذا أراد أن يدعو- يقول يا الله أو يا رحمن أو يا رحيم، فينادي الله تعالى بأسمائه، وإذا توسل بصفاته يقول: أسألك برحمتك، فيجعل الرحمة وسيلة ويتوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته.

ولهذا قال العلماء أسماء الله تعالى تدعى وصفات الله يدعى بها، أسماء الله تعالى تدعى لأنك إذا دعوت الأسماء فإنما تدعو الله كما قال الله تبارك وتعالى **{ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ**

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ }، فالله تبارك وتعالى يدعى بأسمائه سبحانه وتعالى، فهي أعلام على ذاته جل وعلا فإذا قلت يا الله أو يا رحمن أو يا رحيم فإنما تنادي الله تبارك وتعالى.

أما صفات الله سبحانه وتعالى فيدعى بها يتوسل بها، أما دعاؤها فقد ذهب شيخ الإسلام رحمه الله تعالى إلى كفر من دعا صفات الله وكلماته وذكر أنها باتفاق المسلمين. أما التوسل بالصفة فقد ورد في كلام رسولنا ﷺ، من ذلك قوله ﷺ **" يا حي يا قيوم برحمتك استغيث "** فاستغاث ﷺ لكنه لم يدعُ الصفة؛ قال **" برحمتك استغيث "** فهذا من قبيل التوسل لا من قبيل الدعاء -دعاء الصفة-، وهذا يشبه قول القائل: أسألك يا الله برحمتك، فأنت من سألت ؟ من دعوت؟ دعوت الله، أو أسألك يا رحمن برحمتك، فأنت دعوت الاسم؛ دعوت الله تبارك وتعالى وتوسلت بالصفة.

وفي دعاء الاستخارة **" أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك "**، كذلك كان يستعيذ بالصفة **" أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك "** وقوله ﷺ **" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "**، ونحو هذه الأدعية التي كان يتوسل فيها رسول الله ﷺ إلى الله بصفاته وهو من التوسل المشروع.

أما دعاء الصفة فلم يرد في الأدعية المأثورة ولا يمكن أن يكون مشروعا لأن دعاء الصفة، إذا ناديتها ودعوتها وقلت: يا رحمة الله أو يا عزة الله أو يا قدرة الله، فكأن الصفة شيء مستقل منفصل عن الله تبارك وتعالى يسمع ويجيب ، ومن اعتقد ذلك فهو كافر كما نبه شيخ الإسلام رحمه الله، بل صفات الله قائمة به وليس شيء منها إلها يدعى بل الله بصفاته إله واحد وهو المدعو والمرجو والمعبود وحده لا إله إلا هو.

وقد نبه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى بهذه القاعدة - أن أسماء الله أعلام وأوصاف - نبه على أن الدهر ليس من أسماء الله تعالى لأنه لا يتضمن معنىً، فهو اسم جامد لا يتضمن معنً يلحقه بالأسماء الحسنى، فهو اسم للوقت والزمان، قال الله تعالى عن منكري البعث **{ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ }** يريدون ما يهلكنا إلا مرور الليالي والأيام. أما قوله ﷺ **" يقول الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار "** فليس دليلا على أن الدهر من أسماء الله تعالى، وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون سب الزمان الذي هو محل الحوادث - لا يريدون سب الله تبارك وتعالى - فيكون معنى قوله **((وأنا الدهر))** مفسر بقوله **((بيدي الأمر اقلب الليل والنهار))** فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وهو الذي يقلب الليل والنهار ، والليل والنهار هما الدهر فلا يمكن أن المقلِب هو المقلَّبُ، وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مرادا به الله تبارك وتعالى، فالسب الذي يوجه للدهر من قبل من يسب الدهر يتوجه إلى الله لأنه هو المتصرف في الدهر سبحانه وتعالى، لذلك قال **" يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر "**، فالله هو الذي جعل الليل والنهار **{ خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا }** وهو الذي جعل الأزمان لها فضيلة، وهو مدبر الدهر ومصرفه كما قال سبحانه **{ وتلك الأيام نداولها بين الناس }** فقوله **" أقلب الليل والنهار "**؛ الليل والنهار هما الدهر فلا يقال إن الله هو الدهر أو أنه اسم من أسمائه ، من قال ذلك فقد جعل الخالق مخلوقا وأبدل المقلِب -بكسر اللام- إلى المقلَّب -بفتح اللام-.

فقوله **" أنا الدهر "**؛ الكلمة حقيقة في معناها، وقد دل السياق والقرائن على المراد بها، فهنا في الكلام محذوف تقديره " وأنا مقلب الدهر " فسره بقوله " أقلب الليل والنهار "، فمن زعم أن الدهر من أسماء الله تعالى فصنيعه هذا فيه غفلة عن مدلول الحديث وعن الأصل في أسماء الله تعالى؛

- مدلول الحديث أن السابين للدهر لم يريدوا سب الله تعالى وإنما أرادوا سب الزمن.
- والأصل في أسماء الله تعالى أن تكون حسنى؛ أي بالغة في الحسنى أكمله، فلا بد أن تشتمل على وصف ومعنى وهو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة.

ولهذا لا نجد في أسماء الله تعالى اسم جامدا أبدا، والدهر اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات.

والله تبارك وتعالى كما قلت أيها الأفاضل هو مقلب الدهر، فالليل والنهار يقلبان من طول إلى قصر إلى تساوٍ، والحوادث تتقلب في الساعة، في اليوم، في الأسبوع، في الشهر، في السنة، وهو سبحانه وتعالى يعطي ويمنع، ويرفع ويضع، وهو مالك الملك كما قال عن نفسه جل وعلا **{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**

هذا بالنسبة للقاعدة الأولى التي ذكرتها في هذه المحاضرة والتي ضمنها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى كتابه القيم القواعد المثلى.

أما القاعدة الثانية من القواعد التي ذكرها الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى في كتابه القواعد المثلى قاعدة ذكر فيها أن: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور، وإن دلت على وصف غير متعد تضمنت أمرين. -يعنى على وصف لازم تضمنت أمرين-.

والمتعدي هو الذي يتوقف فهمه على تعقل المفعول به؛ يعني الآن لو قلنا: ضرب زيدٌ، هل نفهم الجملة ؟ هذه الجملة لا تفهم حتى يذكر المفعول به، فيقول السامع: من ضرب زيدٌ ؟ فيتوقف فهمه لأنه متعد إلى المفعول؛ يتوقف فهمه على تعقل المفعول به.

أما اللازم فهو الذي لا يتوقف فهمه على تعقل المفعول به، عندما تقول: قعد زيد، الجملة تامة ومفهومة ولا تحتاج إلى إيضاح، فـ قعد فعل لازم وضرب فعل متعد.

هذا المثال توضيحي حتى يفهم الإخوة والأخوات الفرق بين المتعدي واللازم.

في هذه القاعدة ذكر العلامة رحمه الله تعالى أن

أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمن ثلاثة أمور:

* **الأمر الأول: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.**
* **الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها هذا الاسم لله عز وجل.**
* **الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها**

قال رحمه الله **" ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة "**، يعني إذا تاب قطاع الطريق سقط عنهم الحد، استدل اهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة ، **" استدلوا على ذلك بقوله تعالى { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } "**،

نظروا إلى اسمين من أسماء الله تعالى تبارك وتعالى: الغفور الرحيم، هل هما اسمان مجردان أو اسمان تضمنا معنى ؟ لذلك الآن عندما نثبت هذيت الاسمين لله تعالى

- أولا نقول هذا الاسم " الغفور " من أسماء الله تعالى والرحيم من أسماء الله تعالى.هذا الأمر الأول.
- نقول بأن الغفور قد تضمن صفة المغفرة، والرحيم قد تضمن صفة الرحمة، فنثبت الصفة التي تضمنها هذا الاسم لله تبارك وتعالى، ونثبت حكمها ومقتضاها. فالآن متعد؛ المغفرة تعدت إلى المغفور له والرحمة تعدت إلى المرحوم، فالحكم و المقتضى - مقتضى هذين الاسمين – أن الله تبارك وتعالى قد غفر لهم ذنوبهم ورحمهم بإسقاط الحد عنهم، لذلك يقول الشيخ رحمه الله **" استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة "** - يعني { إلا الذين تابوا }- **" استدلوا على ذلك بقوله تعالى { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } "**

من الأمثلة التي ساقها الشيخ رحمه الله تعالى: قال **" مثال ذلك السميع؛ يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى** - هذا الأمر الأول – **وإثبات السمع صفة لله تعالى** – هذا الأمر الثاني – **وإثبات حكم ذلك ومقتضاه؛ وهو أن الله السميع المتصف بصفة السمع يسمع السر والنجوى كما قال سبحانه وتعالى { وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ } "** تلك المجادلة التي أتت إلى رسول الله ﷺ تجادله في زوجها وتشتكي إلى الله وأم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله تعالى عنها معهما - مع رسول الله ومع خولة - في غرفة واحدة لكن تسمع بعض كلامها ويغيب عنها كثير من كلامها، لذلك تقول " تبارك الذي وسع سمعه الأصوات "، وربنا سبحانه سمع من فوق سبع سموات، سمع قول هذه التي تجادل في زوجها فأنزل قوله تبارك وتعالى **{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ }** و ' قد ' إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التحقيق **{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }** فالآن السميع من أسماء الله تعالى دل على وصف متعد إذا نثبت ثلاثة أمور:

- الأمر الأول نثبت السميع اسما لله تبارك وتعالى
- نثبت ما تضمنه هذا الاسم وهي صفة السمع
- ونثبت حكم ذلك ومقتضاه وهو أن الله تعالى يسمع السر والنجوى.

ويقول الشيخ رحمه الله تعالى **" أسماء الله تعالى إن دلت على وصف غير متعدٍّ - أي لازم - تضمنت أمرين:**

- **أحدهما ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.**
- **والثاني ثبوت الصفة التي تضمنها هذا الاسم لله عز وجل. "**

وضرب مثالا على ذلك باسم الله تعالى الحي، فهو لازم ويتضمن أمرين: الأول إثبات الحي اسما لله عز وجل، والثاني إثبات الحياة صفة لله عز وجل.

فعلى هذا تكون الاسماء على قسمين :

- متعدّي
- ولازم

والمتعدي لا يتم الإيمان به إلا بالأمور الثلاثة التي أشار إليها الشيخ رحمه الله تعالى :

- الإيمان بالاسم.
- الإيمان بالصفة.
- الإيمان بالأثر.

أما اللازم فإنه لا يتم الإيمان إلا بإثبات الأمرين:

- الأول الاسم.
- والثاني الصفة.

ابن القيم رحمه الله له كلام يشبه هذه القاعدة يقول فيه " الاسم إذا اطلق عليه - على الله تبارك وتعالى - جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلا ومصدرا؛ نحو السميع، البصير ، القدير يطلق عليه منه السمع ، البصر ، القدرة ، "

إذن الآن، المصدر، سمع سمعا، فالله تبارك وتعالى يثبت له من اسمه السميع: الصفة؛ السمع، ومن اسمه البصير البصر، ومن اسمه القدير القدرة، ويخبر عنه بأفعاله من ذلك نحو **{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ }** **{ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ }** هذا إن كان الفعل متعديا.

" فإن كان لازما - لازال الكلام للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى - **لم يخبر عنه به "**،يعني لو كان الاسم لازما لا يخبر عنه بالفعل، نحو الحي؛ يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل، فلا يقال: حيي.

فأسماء الله الحسنى تنقسم من حيث دلالتها على الصفات وما يشتق منها إلى قسمين:

❖ الأول أسماء دلت على وصف متعد وهوما يصل أثره إلى غيره، وهذه كما قلنا تتضمن ثلاثة أمور:
- ثبوت ذلك الاسم.
- وثبوت تلك الصفة.
- وثبوت حكمها وأثرها ومقتضاها.

والشيخ لو أعدت لكم، من باب التوضيح، ذكر مثالا؛ اسم الله تعالى السميع ، فهذا الاسم ثابت لله تعالى ويشتق له منه الصفة: السمع، فالله عز وجل ذو سمع يسمع به المسموعات كما يثبت لله تعالى من ذلك الأثر المترتب على ذلك الاسم وهو الفعل والحكم وهو أن الله يسمع المسموعات، قال تعالى **{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا }** وقال تعالى **{ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ }**، فهذا الاسم دل على وصف متعد وهو الحكم والأثر لذلك الاسم.

❖ أما الأسماء التي دلت على وصف غير متعد، فهذا يتضمن أمرين:
- ثبوت ذلك الاسم.
- وثبوت الصفة التي تضمنها الاسم.

ولا يثبت لله تعالى الحكم أو الفعل أو الأثر لأنه غير متعد، مثل اسم الله تعالى الحي كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى، فالاسم ثابت لله تعالى كما قال سبحانه **{ وتوكل على الحي الذي لا يموت }** **{ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ }** فيثبت لله تعالى الاسم ويثبت له الصفة التي دل عليها وتضمنها ذلك الاسم وهي صفة الحياة، ولكن لا يثبت له الحكم أو الأثر أو الفعل لأنه غير متعد ، فلا يقال حيي أو يحيى ونحو ذلك من الكلمات.

هذا بالنسبة للقاعدة الثانية التي ذكرها العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

فهاتان قاعدتان أيها الأفاضل ذكرهما الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه القواعد المثلى، وسأذكر لكم قاعدة أخرى من القواعد التي ذكرها في هذا الكتاب القيم أيضا تختص بأسماء الله تبارك وتعالى.

لكن قبل البدء في توضيح القاعدة الجديدة التي ذكرها العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى في كتابه القواعد المثلى أنبه إلى شيء مر معنا في القاعدة التي تكلمنا عنها آنفا، وهي أن أسماء الله تعالى تضمنت صفة، في قول الشيخ رحمه الله عنها " إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور: أحدها ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل والثاني ثبوت الصفة التي تضمنها الاسم لله عز وجل والثالث ثبوت حكمها ومقتضاها " وقوله " أسماء الله إن دلت على وصف غير متعد تضمنت أمرين: أحدهما ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل، الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها الاسم لله عز وجل "

أقول: أنبه الأفاضل وفقهم الله تعالى ألا يفهموا من هذا الكلام أن صفات الله تعالى مشتقة من أسمائه. هذا غير صحيح. فالشيخ ما أراد هذا رحمه الله تعالى، وإنما أراد أن كل اسم من أسماء الله تعالى يدل على معنى، أما أن نقول إن صفات الله تعالى مشتقة من أسمائه فهذا غير صحيح، والصحيح أن أسماء الله تعالى الثابتة التي أثبتها لنفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ مشتقة من صفاته.

فقولنا " كل اسم من أسماء الله تعالى متضمن لصفة " لا يعني أن الأسماء هي الأصل وأن الصفات مشتقة منها، بل الصفات هي الأصل والأسماء مشتقة منها، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء.

وأنبه أيضا مرة أخرى على ما سبق التنبيه عليه وهو أنه ليس كل صفة تكون اسما لله تعالى أو يشتق لله تعالى منها اسم لأن ذلك مبناه على التوقيف كما تقدم؛ قلت لكم بأن الأسماء توقيفية، وهي قاعدة من القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى، فكما أن الصفات توقيفية فالأسماء توقيفية أيضا.

من أمثلة ذلك أن من صفات الله تعالى المجيء والأخذ والإمساك والبطش والاستواء والنزول وغير هذه من الصفات، فيوصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد واللائق به عز وجل ولا يسمى بها، فلا يقال إن من أسماء الله تعالى الجائي أو الآخذ أو الممسك او الباطش أو المستوى أو النازل ونجو ذلك.

إذن الأسماء توقيفية كما أن الصفات توقيفية.

أما بالنسبة للقاعدة الجديدة التي سأتكلم عنها فقد ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه القواعد المثلى؛ ذكر رحمه الله تعالى:

أن دلالة الأسماء الحسنى ثلاثة أنواع - عندما قال بأن أسماء الله كلها حسنى، وكلها تدل على الكمال المطلق والحمد المطلق، وكلها مشتقة من أوصافها فالوصف فيها لا ينافي العلمية والعلمية فيها لا تنافي الوصف - ودلالتها كما ذكر الشيخ رحمه الله ثلاثة أنواع :

- **دلالة مطابقة** إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله.
- **ودلالة تضمن** إذا فسرناه ببعض مدلوله.
- **ودلالة التزام** إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها.

وهذه القاعدة لطولها وطول الكلام فيها سيكون الحديث عنها بحول الله تعالى في المحاضرة القادمة.

هذا ما أردت بيانه في هذه المحاضرة.

ونسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعلمنا ما جهلنا وأن يوفقنا لفهم صفاته تبارك وتعالى والتعبد بها ومعرفة أسمائه سبحانه وتعالى وإحصائها ودعائه بها إنه على كل شيء قدير وهو خير مسؤول.

وصلى الله على نبيا محمد وعلى آله و أصحابه أجمعين .

المحاضرة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

وبعد :

فحياكم الله أيها الإخوة والأخوات مع المحاضرة السابعة من مادة الأسماء والصفات.

وكنت في المحاضرة السابقة قد أشرت إلى قاعدة ذكرها العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى في كتابه القواعد المثلى، وبين رحمه الله تعالى في هذه القاعدة أن **دلالة الأسماء الحسنى ثلاثة أنواع** فقال:

" ودلالتها ثلاثة أنواع

- **دلالة مطابقة إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله**
- **ودلالة تضمن إذا فسرنا الاسم ببعض مدلوله**
- **ودلالة التزام إذا استدللنا بالاسم على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها "**

الدلالة أيها الأفاضل مصدر من دلَّ يدل دلالة وهو أن يلزم من فهمك لشيء أن تفهم شيئا آخر؛ فعندما نسمع قول رسولنا صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات " نفهم أن كل عمل لابد له من نية، فهمنا لقوله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات " يجعلنا نفهم أن الوضوء وهو عمل لابد فيه من نية أيضا، فإذا كان يلزم من فهمي لهذا الشيء فهم ما يترتب عليه فهذه هي: الدلالة.

والشيخ رحمه الله ذكر أن دلالة الأسماء ثلاثة أنواع :

- دلالة مطابقة
- ودلالة تضمن
- ودلالة التزام

- **<u>دلالة المطابقة:</u>** هي دلالة اللفظ على تمام وكمال معناه؛ يعني عندما نذكر اللفظ فإنه يدل على سائر ما اشتمل عليه من معنى، فيدل على تمام وكامل معناه الذي وضع له؛ فإذا قلنا الدار؛ فالدار فيها غرف وفيها سلالم وفيها منافع وفيها أمور أخرى فإن كلمة الدار تدل على جميع ما اشتملت عليه، كذلك لو ذكرنا اسم المسجد؛ فالمسجد مكان معين جعل وأعد لأداء الصلاة، فلو أننا سمعنا اسم المسجد فإننا نعلم أن المراد به المكان الذي وضع لأداء هذه العبادة، كذلك لو سمعنا كلمة السوق؛ فإن السوق لفظ يدل على مكان البيع والشراء ونحو ذلك، ولو قلنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الذهن ينصرف إلى رسولنا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله الله تبارك وتعالى وأنزل عليه القرآن الكريم ولا ينصرف اللفظ إلى عيسى أو موسى أو غيرهما من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. فكل لفظ أو اسم ينطبق على شيء معين دون غيره.

لو سمعنا اسم الخالق فالذهن يفهم من دلالة الاسم أنه ينطبق على ذات الله تعالى فالخالق اسم من أسماءه سبحانه وتعالى، وهذه الذات متصفة بصفة الخلق، ولا ينصرف إلى ذات أخرى إلا عند من فسد إدراكهم وخالفوا الفطرة وقالوا بأن الطبيعة هي الخالقة، أمثال -في زماننا- أمثال الشيوعيين كماركس ولينين وغيرهما من الملاحدة.
فالذهن لا ينصرف عند النطق باسم الخالق إلا إلى الله تبارك وتعالى، وإلى اتصافه سبحانه وتعالى بصفة الخلق، لا ينصرف إلى صفة أخرى؛ فلا ينصرف إلى صفة الرزق ولا إلى صفة القوة أو العزة أو الحكمة أو نحوها من الصفات لأن صفة الخلق تدل على معنى غير المعنى الذي تدل عليه صفة الرزق، وصفة القوة يفهم منها شيء غير الذي يفهم من العزة أو الحكمة، فكل اسم من أسماء الله تبارك وتعالى متضمن لصفة هذه الصفة لها معنى واضح يعلمه العقلاء ولا يقال أن معنى هذه الصفة هو معنى الصفة الأخرى إلا عند من فسد إدراكهم؛ إلا عند المعتزلة الذين فسد إدراكهم في فهم دلالة اللفظ على ما وضع له فقالوا إن أسماء الله الحسنى التي تعرَّف الله تبارك وتعالى بها إلى عباده في الكتاب والسنة لا تدل بالمطابقة إلا على ذات الله فقط ولا تدل على شيء من صفاته أبدا، فعندهم اسم الله السميع يدل على ذات الله فقط ولا يدل على صفة السمع لأنهم إنما أثبتوا أسماء مجردة لا معنى لها.
إذن؛ دلالة المطابقة هل اتضحت ؟ دلالة اللفظ على كامل وسائر ما وضع له كدلالة لفظ البيت على مجموع الجدران والسقف والأبواب والنوافذ ونحوها مما اشتمل عليه البيت ودلالة لفظ الشجرة على ذاتها وكل محتوياتها مجتمعة؛ من جذور، ساق، أغصان ، أوراق، ثمار -لو كان هناك ثمار- ونحو ذلك، فهذه ماذا يقال لها ؟ هذه تسمى دلالة المطابقة.

- **<u>أما دلالة التضمن:</u>** فأن يدل اللفظ على جزء معناه الذي وضع له، إذن ليست الدلالة على كامل المعنى كما قلنا في المطابقة، بل على بعض المعنى؛ على فرد من أفراد المعنى، فعندما نقول الدار كنا نقول في دلالة المطابقة كل ما اشتملت عليه الدار، لكن نقول الحجرة وهي جزء من الدار، فكلمة الدار تدل على كل حجرة أو غرفة أو على كل ما ينتفع به في الدار فتدل دلالة تضمن.

ولا حظوا معي كلمة "أو" فليست الدلالة على كامل المعنى بل على بعض المعنى، السيارة تدل على كامل هيكلها العام على كل ما تحتويه وسائر ما فيها؛ هذه ماذا تسمى هذه الدلالة ؟ دلالة مطابقة. وتدل على العجلات - الكفرات - وحدها؛ دلالة تضمن، وعلى المحرك وحده؛ دلالة تضمن، وعلى البطارية التي في المحرك؛ دلالة تضمن وهكذا...
إذن يدل على جزء معنى أو على فرد من أفراده ولا يدل على سائر المعنى، ماذا تسمى ؟ تسمى دلالة تضمن.

والانسان - لفظ؛ كلمة إنسان - تدل على المجموع الكلي للبدن دلالة مطابقة، وتدل على رأس أو يد أو رجل أو عين دلالة تضمن.

لعل اتضح الفرق بين دلالة المطابقة ودلالة التضمن، وسيأتي الكلام عنها بحول الله تعالى توضيحها في باب أسماء الله تعالى.

- **<u>أما دلالة الالتزام:</u>** فهي دلالة اللفظ على لازمه الخارج عنه، إذن الآن لا يدل على شيء داخله - في داخل اللفظ - كما قلنا في دلالة المطابقة والتضمن بل هي دلالة اللفظ على معنى خارج اللفظ يلزم منه هذا اللفظ؛ فيدل اللفظ عن اللازم الخارج عن الهيئة وتكون دلالته دلالة التزام كما قلت.

أبرز مثال لهذه الدلالة -دلالة الالتزام- أن نقول: الدار تدل على جميع ما فيها دلالة مطابقة، وتدل على كل جزء منها دلالة تضمن، وتدل على أن لها بانيا -هناك من بناها- دلالة التزام.
لاحظوا: الباني -يعني من بنى الدار- بعيد عن الدار وليس جزء منها لكنه من لازم وجودها؛ هل يتصور أن الدار قد وجدت هكذا من غير بانٍ بناها ؟ إذن يلزم من وجود الدار القائمة المبنية أن يكون لها بان وإلا لما قامت؛ فنقول هذه الدلالة ماذا تسمى ؟ هذه دلالة التزام.
ودلالة اللفظ على اللازم قد تكون:

* **دلالة عقلية** -خارجة عن الوضع-؛ نستدل بالموجود على الموجد، بالمخلوق على الخالق، بالمحدَث على المحدِث وهكذا...
* **وقد تكون دلالة شرعية**: فنستدل بصحة الصلاة على تمام شروطها وأركانها، فإذا قلنا الصلاة صحيحة؛ لا يمكن أن تصح إلا بوجود الشروط والأركان، فلو قلنا إن هذا الرجل صلى صلاة صحيحة ما الذي يلزم من هذا القول ؟ أن هذا الرجل قد توضأ واستقبل القبلة وكبر وركع وسجد وأتى بغير ذلك من الشروط والأركان، لأن من لازم كون صلاته صحيحة أن يأتي بهذه الأمور، فلو قال قائل: رجل صلى صلاة صحيحة، نقول له: هل تشهد عليه أنه توضأ أو تيمم ؟ - بسبب قوله صلى صلاة صحيحة - فيقول نعم أشهد عليه، فهذا لزوم شرعي فلا يمكن أن نحكم بصحة الصلاة إلا بعد الطهارة، فهذه الملازمة ماذا نسميها ؟ نسميها ملازمة شرعية.

الشيخ رحمه الله لما ذكر دلالة الالتزام قال بأنها تحتاج إلى قوة فكر وتأمل، وذكر أن أهل العلم يتفاوتون فيها، وقال " الطريق إلى معرفتها أنك إذا فهمت اللفظ وما يدل عليه من معنى وفهمته فهما جيدا ففكر فيما يتوقف عليه ولا يتم بدونه "؛ مثلا في صفة الخلق، لماذا بُدِأت هذه الآية الكريمة بالخلق وختمت بالعلم والقدرة ؟

الآية هي قول الله تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } انتبهنا أيها الأفاضل ؟ الآية بُدأت بالخلق { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ } وختمت بالعلم والقدرة { لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } هذه دلالة التزام سيأتي توضيحها بعد قليل.

هذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعية، فدلالاتها الثلاث كلها حجة لأنها معصومة محكمة كما قال العلامة الشيخ ابن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، قال هذا في كتابه توضيح الكافية الشافية.

هذه الدلالات الثلاث التي ذكرتها لكم ووضحتها توضيحا عاما، لو قمنا بتطبيقها على موضوع بحثنا في أسماء الله عز وجل فنقول: أسماء الله تعالى لها أنواع ثلاثة في الدلالة؛ دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام، فدلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام.

وأبدأ الآن بتوضيح هذه الأنواع الثلاثة مع ذكر الأمثلة عليها.

▪ **دلالة المطابقة** كما مر معنا سابقا هي دلالة اللفظ على جميع مدلوله، الآن لو طبقناها على أسماء الله تعالى نقول :

كل اسم من أسماء الله تعالى دال على المسمى به وهو الله عز وجل، وعلى الصفة التي اشتق منها هذا الاسم، إذن دل على أمرين؛ كل اسم من أسماء الله تعالى دل على أمرين: دل على ذات الله تعالى وعلى الصفة التي تضمنها والتي اشتق منها هذا الاسم.

▪ **دلالة التضمن** هي دلالة اللفظ على بعض مدلوله، لو طبقنا هذا على أسماء الله تعالى نقول:

دلالة أي اسم من أسماء الله تعالى على الذات وحدها أو على الصفة وحدها تكون دلالة تضمن، وانتبهوا ليس الأمر للمجموع بل لأحدهما؛ إما الذات أو الصفة.

▪**ودلالة الالتزام** هي دلالة اللفظ على شيء يفهم لا من لفظ الاسم نفسه بل من لازمه كما مر معنا، ولهذا أطلقنا عليها دلالة الالتزام، فيلزم من كونه سبحانه وتعالى خالقا أن يكون عالما قادرا؛ عالما بما سيخلق قادرا على أن يخلق كما نبهنا إلى هذا في الآية التي قرأتها عليكم سابقا؛ ابتدأت بالخلق وختمت بالعلم والقدرة.

يقول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى يتكلم عن هذه الأنواع الثلاثة **" واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حقٌّ على حقيقتها مطابقة وتضمنا والتزاما، فدلالة اسمه تعالى الرحمن على ذاته عز وجل وعلى صفة الرحمة مطابقةً، وعلى صفة الرحمة تضمنا، وعلى الحياة وغيرها التزاما، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى.“**

ولأبدأ أيها الأفاضل بضرب الأمثلة للتوضيح فأقول:

اسم الله تعالى **الرحمن**:

▪دل على ذات الله تعالى الرحمن فهو علم يدل على الذات؛ من أسماء الله الرحمن، ودل على صفة الرحمة. فدلالته على الذات وعلى الصفة ماذا تسمى ؟ الآن شاملة لسائر المعنى بكامل المعنى يقال لها دلالة مطابقة.

▪ودلالته على أحدهما؛ إما على الصفة أو على الذات ماذا يقال لها ؟ **دلالة تضمن** لأنها داخلة في الضمن.

▪ودلالته على الأسماء اتي لا توجد الرحمة إلا بثبوتها؛ فالرحمن الرحيم لابد أن يكون حيا ولا بد أن يكون عالما، وأن يكون مريدا ، وأن يكون قادرا ونحوها... فهذه كلها يقال لها **دلالة التزام**.

المثال الذي ضربه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى هو اسم الله **الخالق**؛ فاسم الله الخالق يدل على ذات الله تعالى فهو علم على الذات، ويدل على ما تضمنه من معنى وهي صفة الخلق، فهو يدل على ذات الله تعالى وعلى صفة الخلق بالمطابقة.

ويدل على الذات وحدها أو على صفة الخلق وحدها بالتضمن.

ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام، فاسم الله الخالق يدل على صفة العلم والقدرة لأنه لا يتصور خلق بغير علم وقدرة فلا بد أن يكون هناك علم وقدرة.

لكن انتبهوا أيها الأفاضل؛ العلم والقدرة لم يأخذا من لفظ الخالق أو من صفة الخلق، وإنما من أين أخذا ؟، أخذا من معنى يلزم من اسم الله الخالق، إذن ليس الأمر من داخل الاسم بل من خارجه، معنىً يلزم من اسم الله الخالق، فالخالق لابد أن يكون قادرا على أن يخلق ولا بد أن يكون عالما بما سيخلق، ومن هنا قالوا هذه دلالة التزام.

توضيح هذا المثال الذي ذكره الشيخ رحمه الله؛ أن اسم الله الخالق يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق بالمطابقة، لماذا قال الشيخ: يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق بالمطابقة ؟ تقدم معنا معنى المطابقة؛ فلو وافق المعنى كامل دلالة اللفظ ماذا تسمى ؟ تسمى مطابقة؛ يعني انطبق اللفظ على المعنى، فلم يصبح اللفظ زائدا على المعنى ولا المعنى ناقصا عن اللفظ، وإنما تطابق اللفظ والمعنى يعنى توافق اللفظ والمعنى، ماذا يسمى هذا ؟ هذا يسمى مطابقة، نحن بهذه الطريقة أخذنا من الاسم كامل المعنى، لأن الاسم يدل على أمرين كما تقدم - أعود بكم إلى الوراء؛ إلى محاضرة مضت - الاسم يدل على أمرين، قلنا يدل على الذات ويدل على الصفة، ونحن أخذنا الأمرين؛ كل الأمرين، فهذه مطابقة.

لكن الآن لو قلت لكم دل السميع على ثبوت صفة السمع، هل هذا يقال له مطابقة ؟ الجواب: لا. بل يقال هنا تضمن، لأن اسم السميع يتضمن السمع، فهنا اقتصرنا على دلالة الاسم على الصفة فهو تضمن.

لكن لو أخذنا من اسم الله السميع دلالته على الذات ودلالته على صفة السمع لأصبح المعنى الذي أخذناه منه مطابقا للفظ، فليس في اللفظ معان زائدة على الذي أخذته أنت منه، فهذا هو معنى التطابق الذي هو التوافق.

والتضمن لو أخذت منه بعض معناه، يعنى إحدى دلالتي الاسم، الاسم يدل على الذات ويدل على الصفة، أليس كذلك ؟ ، هذا ما مر معنا في محاضرة مضت، فدلالته على الذات وحدها أو دلالته على صفة الخلق وحدها هذا يعرف بالتضمن.

توضيح: لو أخذت من اسم الله الخالق دلالته على الذات فقط فهذه الدلالة ما نوعها ؟ هذه دلالة تضمن، كذلك لو أخذت من الاسم دلالته على ثبوت صفة الخلق لله فقط، هذه الدلالة ما نوعها ؟ هذه دلالة تضمن.

ولو ذكرتكم قليلا بما مر معنا عند التفريق بين الاسم والصفة في إحدى المحاضرات السابقة، عندها قلت لكم: **إن كل اسم من أسماء الله تعالى يدل على ذاته سبحانه ويدل على الصفة التي تضمنها ذلك الاسم،** مثلت لكم حينها باسم الله العليم وقلت: هو يدل على الذات وعلى صفة العلم، كذلك اسم الله القدير يدل على الذات وعلى صفة القدرة، بخلاف الصفة فإنها تدل على أمر واحد فقط، ما هو؟ المعنى القائم بذات الله تعالى فقط، فالاسم دل على أمرين كما تقدم والصفة دلت على أمر واحد.

لعلكم تذكرون ما قرأته عليكم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول **" كل اسم من أسمائه - سبحانه وتعالى- يدل على الذات المسماة وعلى الصفة التي تضمنها الاسم، كالعليم يدل على الذات والعلم، والقدير يدل على الذات والقدرة، والرحيم يدل على الذات والرحمة "**

وقريب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قول الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى يقول - عندما سئل عن الأسماء والصفات- فيقول **" كل أسماء الله تعالى عدا لفظ الجلالة تتضمن وصف الله تعالى بما تضمنته الأسماء من الصفات، فكل أسماء الله تعالى صفات له ولا ينعكس؛ فمن أسماء الله ما هو مشتق على وزن اسم الفاعل وهو يتضمن ذاتا وصفة قامت بالذات "** هذا موضع الشاهد؛ الاسم يتضمن ذاتا وصفة قامت بالذات، يعني يدل على الذات ويدل على الصفة التي قامت بالذات.

وبنحو كلام الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله تعالى قال الشيخ محمد خليل الهراس يقول **" فكل اسم منها يدل بالمطابقة على مجموع الذات والصفة التي اشتقت منها "** فأشار إلى دلالة المطابقة.

وقد نقلت لكم فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عندما سئلت عن الفرق بين الاسم والصفة، فكان من اجابتها **" أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل القادر، العليم، الحكيم ، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر.**

فالاسم دل على أمرين والصفة دلت على أمر واحد " هذا كلام اللجنة الدائمة.

وإنما قلت لكم من باب التذكير أيها الأفاضل لأننا لو تذكرنا هذا لفهمنا دلالة المطابقة ودلالة التضمن، ولهذا نخطئ لو قلنا: دل قوله تعالى **{ وهو السميع }** على صفة السمع بالمطابقة واقتصرنا على هذا، لأن هذا المعنى الذي أخذته من هذا الاسم ليس مطابقا لكامل معنى الاسم، فهذا ماذا يسمى ؟ يسمى تضمنا ولا يسمى مطابقة.

أما قول الشيخ رحمه الله عن اسم الله الخالق أنه يدل على العلم ويدل على القدرة، أسالكم استنادا إلى فهمكم الذي فهمتموه في هذه المحاضرة:

س/ ما نوع هذه الدلالة التي ذكرها ؟ هل هي دلالة مطابقة ؟ الجواب: لا. ما السبب ؟

الخالق، علم ، قدرة، هل هو من داخل الاسم ؟ أو من خارج الاسم ؟ الجواب: من خارج.

إذن ليست مطابقة ولا تضمنا، إذن ما نوعها ؟ هذه هي دلالة الالتزام؛ أي يلزم من إثبات اسم الخالق وإثبات الخلق صفة لله تعالى، يلزم إثبات العلم والقدرة **{ ألا يعلم من خلق }** فالله تبارك وتعالى عالم بمن خلق، والدليل الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى من أقوى الأدلة على هذه الدلالة قال تعالى **{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }**. فالخلق يدل على العلم وعلى القدرة، لأن الخالق لا بد أن يكون قادرا على خلق ما يريد خلقه وأن يكون عالما بما يريد خلقه، فالعلم والقدرة من لوازم صفة الخلق لأن العاجز والجاهل لا يخلق، ولولا العلم والقدرة لما صار خلق السماوات والأرض، ولذلك لما ذكر الله خلق السماوات والأرض عقب بذكر ما دل عليه الخلق باللزوم ، فذكر القدرة والعلم كما في الآية التي قرأتها عليكم.

الحقيقة أيها الأفاضل، ابن القيم رحمه الله تعالى أشار إلى هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وهذا يدل على أن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى لم يأت بشيء جديد وإنما هو مقتف لآثار العلماء من السلف قبله رحمه الله ورحمهم.

يقول ابن القيم **" إن الاسم من أسماءه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم، فإن اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن ويدل على اسم الحيّ ووصفه بالحياة بالالتزام وكذلك سائر أسماءه وصفاته سبحانه وتعالى "** هذه ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين.

ويمكن أن نذكر كلامه رحمه الله تعالى عن هذه الدلالات الثلاث في النونية، فقد ذكر في النونية هذه الأنواع الثلاثة.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية:

ودلالة الأسماء أنــواعٌ ثـلاثٌ … كلّـها معـلـومـة بـبـيــانِ
دَلــت مطابقــةً كــذاك تضمّنًــا … وكذا التزاما واضح البرهان
أما مطابـقـة الـدلالـة فهـــي أنْـ … نَ الاسم يُفـهـم منه مفهومان
ذاتُ الإلهِ وذلك الوصف الذي … يُشتـق منه الاســم بالـمـيـزان
لكن دلالــتــه علـى إحـداهـمـا … بتضمُّنٍ فـافـهمه فـهـمَ بـيانِ
وكذا دلالـتـه على الصفة التي … ما اشتـق منها فالــتـزامٌ دان
وإذا أردت لـــذا مـثـالا بـيّـنـًا … فـمثـال ذلـك لـفـظـةُ الرحمن
ذات الإلــه ورحـمـة مدلـولـها … فـهما لـهـذا اللـفـظ مدلولانِ
إحـداهما بـعضٌ لذا الموضـوع … فهي تضمن ذا واضح التبيان
لكن وصف الحي لازم ذلك الْـ … مَعْنَى لــزوم العلــم للرحـمـنِ
فـلــذا دلالـتـه عـلـيه بالـتـزامٍ … بـيِّن والــحـق ذو تـبـيـــانِ

فهو رحمة الله تعالى ذكر هذه الأنواع الثلاثة وضرب لها مثلا باسم الله تعالى الرحمن، فالرحمن دل على ذات الله تعالى بالمطابقة مع دلالته على الصفة المشتق منها، يعني دل على الصفة التي اشتق منها وعلى ذات الرب سبحانه وتعالى بالمطابقة، لكن دلالته على إحداهما بالتضمن، وأما دلالته على الصفة التي لم يشتق منها اللفظ كالحياة والعلم فهي بالتزام لذلك انتبهوا إلى قوله، يقول :

لكن وصف الحي لازم ذلك الْـ … مَعْنَى لــزوم العلــم للرحـمـنِ

يعني الحياة والعلم، فهذه دلالة التزام، فيلزم من كونه سبحانه وتعالى من أسمائه الرحمن أنه جل وعلا حي وأنه يعلم سبحانه وتعالى، لذلك دلالتها على الصفة التي لم يشتق منها هذا اللفظ كالحياة والعلم فهذه دلالة بالالتزام.

تأملوا معي وفقكم الله تعالى في قول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله صاحب التفسير المعروف المشهور يقول **" دلالة الأسماء على الذات والصفات تكون بالمطابقة والتضمين والالتزام، فإن الدلالة نوعان لفظية ومعنوية عقلية، فإن أعطيت اللفظ جميع ما دخل فيه من المعاني فهي دلالة مطابقة "** - لعل هذا واضح؛ دلالة المطابقة؛ كل المعنى، سائر المعنى – **" لأن اللفظ طابق المعنى من غير زيادة ولا نقصان، وإن أعطيته بعض المعنى "** ماذا تسمى ؟ قال **" فتسمى دلالة تضمن، لأن المعنى المذكور بعض اللفظ وداخل في ضمنه، وأما الدلالة المعنوية العقلية "** - طبعا يشير بالدلالة المعنوية العقلية إلى دلالة الالتزام وسيأتي توضيحه لها -، يقول **" هذه خاصة بالعقل والفكر الصحيح "**

يعني عليك أن تعمل عقلك، عليك أن تتأمل **" لأن اللفظ المجرد لا يدل عليها، وإنما ينظر العبد ويتأمل في المعاني اللازمة لذلك اللفظ الذي لا يتم معناها بدونه وما يشترط له من الشروط. "** قال **" وهذا يجري في جميع الأسماء الحسنى، كل واحد منها يدل على الذات وتلك الصفة دلالة مطابقة، ويدل على الذات وحدها أو على الصفة وحدها دلالة تضمن، ويدل على الصفة الأخرى اللازمة لتلك المعاني دلالة التزام "**

هذا كلام الشيخ رحمه الله لم ينته بعد، لكن أردت أن أعلق، تأملوا بين كلامه وكلام تلميذه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى وقارنوا بين كلاميهما وكلام ابن القيم رحمه الله تعالى، فكلهم يصدر من مشكاة واحدة.

يقول الشيخ ابن السعدي رحمه الله **" مثال ذلك الرحمن؛ يدل على الذات وحدها وعلى الرحمة وحدها دلالة تضمن، وعلى الأمرين دلالة مطابقة، ويدل على الحياة الكاملة والعلم المحيط والقدرة التامة ونحوها دلالة التزام، لأنه لا توجد الرحمة من دون حياة الراحم وقدرته الموصلة لرحمته للمرحوم وعلمه به وبحاجته. "** فذكر أنواع الدلالات أو أنواع الدلالة الثلاثة .

الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله تعالى ذكرت له قولا قبل قليل وله قول أيضا في هذه الأنواع فيقول **" دلالة اللفظ على معناه مطابقة كدلالة السفينة على الخشب والمسامير "** يعنى كل ما فيها من أخشاب ومسامير وكل ما تحتويه **" ودلالة اللفظ على بعض معناه تضمنا كدلالة السفينة على الخشب فقط أو على المسامير فقط، ودلالة اللفظ على معنى خارج لكنه لازم دلالة التزام كدلالة السفينة على الحمولة أو السير فوق الماء "** وأزيد على كلامه رحمه الله تعالى من صنع هذه السفينة فإن هذه السفينة لا بد لها من صانع.

وقد أحال رحمه الله إلى كتاب الشيخ ابن سعدي وإلى كتب أخرى تكلمت عن هذه النقطة.

في الختام أيها الأفاضل، أقول في ختام هذه الأنواع الثلاثة ألخص القول فيها فأقول:

دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وباللزوم، فالاسم يدل على الذات والصفة بدلالة المطابقة، ويدل على ذات الله وحدها بالتضمن وعلى الصفة وحدها بالتضمن، وعلى أوصاف أخرى بدلالة اللزوم؛ فالرحمن يدل على الذات ويدل على صفة الرحمة بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها بالتضمن وعلى صفة الرحمة وحدها بالتضمن، ويدل على الحياة والعلم والقدرة التزامًا لأنه لا توجد رحمة بدون حياة الراحم وعلمه بمن يرحم وقدرته على أن يرحم. وهذا يطبق على جميع الأسماء الحسنى كالسميع والبصير والعليم والحكيم والعزيز والعظيم.

فجميع أسماء الله سبحانه وتعالى تدل وحدها على التضمن وعلى الصفة وحدها بالتضمن، وتدل عليهما بالمطابقة، وتدل على صفة الحياة باللزوم، فالحي اسم من أسماء الله يدل على ذاته وعلى صفة الحياة معا ولا يمكن لأحد أن يكون قديرا إلا إذا كان حيا ولا أن يكون عليما إلا إذا كان حيا ولا أن يكون غنيا إلا إذا كان حيا.

فجميع أسماء الله تدل على صفة الحياة التي تضمنها اسمه تعالى الحي. هذه مسألة تقدم إيضاحها بالتفصيل.

وأشرت في بداية هذه المسألة إلى كلام المعتزلة عندما قلت: إن الأسماء عندهم تدل على الذات بالمطابقة ولا تدل على أي صفة من الصفات. ما السبب ؟ لأنهم لا يثبتون الصفات وإنما أثبتوا أسماء مجردة لا معنى لها. هذه ملخص هذه الأنواع الثلاثة.

وأنبه إلى أمر لابد من التنبيه عليه، ما هو هذا الأمر ؟

وجوب تقديم دلالة المطابقة ودلالة التضمن على دلالة الالتزام، فعند أي دراسة لا بد أن نقدم دلالة المطابقة ودلالة التضمن على دلالة الالتزام، ما السبب ؟

لا بد قبل أن ينظر في لوازم اللفظ أن نثبت مدلوله ومعناه الحقيقي بالمطابقة وبالتضمن، لأن كثيرا من المحرفين للنصوص يرد المعنى الحقيقي للفظ مع أن دلالة المطابقة والتضمن فيه واضحة، لكنه يرده استنادا إلى لوازم باطلة توصل إليها ذهنه الفاسد ونظره الكليل، فيرد بسبب اللازم الباطل الذي انتهى إليه هو المعنى الحقيقيَّ للاسم، يعني يرد دلالة المطابقة ودلالة التضمن استنادا إلى دلالة اللزوم لكن وفق فهمه القاصر، فقبل أن نبدأ بدلالة اللزوم لابد من البدء بدلالة المطابقة ودلالة التضمن.

إذن لابد أن ننتبه إلى أن دلالة المطابقة والتضمن هي الأصل وبعد ذلك ننظر في اللوازم إن احتجنا إلى ذلك، خصوصا عندما نعلم أن هناك ألفاظا وكلمات قد يعتريها ما يعتريها من اللوازم الحقة أو الباطلة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في توضيح هذا المعنى الذي ذكرته لكم، يقول **" والمعتبر في التعريفات دلالة المطابقة والتضمن، فأما دلالة الالتزام فلا، لأن المدلول عليه فيها غير محدود ولا محصور، إذ لوازم الأشياء ولوازم لوازمها لا تنضبط ولا تنحصر فيؤدي إلى أن يكون اللفظ الواحد على مالا يتناهى من المعاني وهو محال."**

إذن ننتبه كما قلت أيها الأفاضل، ننتبه إلى تقديم دلالة المطابقة والتضمن على دلالة الالتزام حتى لا نقع فيما وقع فيه المحرفون للنصوص الشرعية، فنفهم الاسم ونثبته، ونثبت المعنى الذي تضمنه هذا الاسم، ونؤمن بحكمه ومقتضاه كما ذكرنا هذا سابقا عند شرحنا للقاعدة التي ذكرها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

فأقول: هذا من الأمور التي ينبغي التنبه لها لأن الإنسان صاحب الذهن الفاسد كما قلت قد يرد دلالة المطابقة ودلالة التضمن استنادا إلى لوازم باطلة توصّل إليها برأيه الفاسد ونظره الكليل.

نسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة وسلم أتمّ تسليم.

المحاضرة الثامنة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله وحده، والصلاةُ والسلامُ على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فحياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة الثامنة من مادة الأسماء والصفات.

وفي هذه المحاضرة سأُكمل ما بدأت الحديث عنه في المحاضرة السابقة، تكلمت في المحاضرة السابقة عن قاعدةٍ ذكرها العلامة الشيخ محمد بن صالح بن العثيمين - رحمهُ اللهُ تعالى - في كتابه " القواعد المثلى"، وبين - رحمهُ اللهُ تعالى - في قاعدة من القواعد التي ذكرها في أسماء الله تعالى:

انَّ دلالات أسماء الله تعالى ثلاثة أنواع: دلالة مطابقةٍ، ودلالة تضمُّن، ودلالة لزوم .

وعندما وصل الى دلالة اللزوم عرّج على التعريف باللازم، وبين أنَّ اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ إذا صحَّ أن يكون لازماً فهو حقٌ، فما يلزمُ من كلام الله ورسوله فهو لازمٌ.

وأراد رحمه الله أن يبينَ أنَّ القائلَ إن كان هو الله أو رسوله ﷺ فلازم القول لازمٌ؛ لأن قولهما حقٌ لا مرية فيهِ، ولازم الحقِ حقٌ.

وقد ذكر - رحمهُ اللهُ تعالى -على هذا دليلين قال: **" وذلك لأنَّ كلام الله ورسوله حقٌ ولازمُ الحقِ حقٌ؛ ولأنَّ الله تعالى عالمٌ بما يكون لازماً من كلامهِ وكلام رسولهِ ﷺ فيكونُ مراداً. "**

وقد مرَّ معنا أيُها الأفاضل عندما تكلمنا عن دلالة اللزوم؛ قُلنا: إنَّ صفة الخلقِ يلزمُ منها إثبات صفتي العلمِ والقدرة كما فُهمَ من كلام الله تعالى، يعني يلزمُ من إثبات صفة الخلقِ لله تبارك وتعالى إثبات صفتي العلم والقدرة، فالآن هذا لازمٌ لكلام الله تعالى؛ وقوله عز وجل حقٌ لا مرية فيه فلازم الحقِ حقُ، وقد استدل الشيخ - رحمهُ اللهُ تعالى - بالآية التي بُدِئت بصفت بالخلق وختمت بصفتي العلم والقدرة **{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}**، فهذا معنى كلامه - رحمهُ اللهُ تعالى - أنَّ اللازم من قول الله تعالى ورسوله ﷺ إذا صحَّ أن يكون لازماً فهو حقٌ فما يلزم من كلام الله ورسوله فهو لازمٌ.

كذلك قول الإنسانِ؛ إمّا أن يكون موافقاً للكتابِ والسنةِ فيكونّ حقاً ويكون لازمهُ حقاً، وإمّا أن يكون مخالفاً للكتابِ والسنةِ فيكونُ باطلاً ويكون لازمهُ باطلاً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهُ اللهُ تعالى – في" مجموع الفتاوي41/29 **" لَازِمُ قَوْلِ الْإِنْسَانِ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: لَازِمُ قَوْلِهِ الْحَقُّ، فَهَذَا مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَزِمَهُ؛ فَإِنَّ لَازِمَ الْحَقِّ حَقٌّ وَيَجُوزُ أَنْ يُضَافَ إلَيْهِ إذَا عُلِمَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ الْتِزَامِهِ بَعْدَ ظُهُورِهِ، وَكَثِيرٌ مِمَّا يُضِيفُهُ النَّاسُ إلَى مَذْهَبِ الْأَئِمَّةِ: مِنْ هَذَا الْبَابِ. وَالثَّانِي: لَازِمُ قَوْلِهِ الَّذِي لَيْسَ بِحَقِّ. فَهَذَا لَا يَجِبُ الْتِزَامُهُ؛ إذْ أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنَّهُ قَدْ تَنَاقَضَ. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ التَّنَاقُضَ وَاقِعٌ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ غَيْرِ النَّبِيِّينَ. "اهـ**

والشيخ ابن عثيمين - رحمهُ اللهُ تعالى – بعد أن ذكر اللازم من كلام الله وكلام رسوله ﷺ عرّج على اللازم من قول أحدٍ سوى الله أو رسوله ﷺ فقال **" اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فله ثلاث حالات:**

الأولى: أن يذكر للقائل -يعني يذكر اللازم فيقال له يلزم من قولك كذا- **ويلتزم به، مثل أن يقول: من ينفى الصفات الفعلية لمن يثبتها،-** من الذي ينفي الصفات الفعلية ؟ الأشعرية , من الذي يثبت الصفات الفعلية ؟ أهل السنة والجماعة ؛ ما هي الصفات الفعلية ؟الصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى فإن شاء فعل سبحانه **{ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ّ }**, فلو قال من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها ؟ **يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله عز وجل أن يكون من أفعاله ما هو حادث.** فإذا قلنا (الآن انا اوضح كلام الشيخ - رحمهُ اللهُ) إذا قلنا : أنَّ الله تبارك وتعالى يتكلم إذا شاء ؛ فهل نقول : كلامه إذا شاء بناءً على فهمهم هم ؛ لأنهم يقولون : ماكان حادثاً فهو مخلوق, الجواب, لا, **فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك،** التزم أن يكون من افعاله ما يكون حادثٌ ؛ لكن ليس كما فهمتم انتم؛ **فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد، ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} وقال: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** .يقول الشيخ رحمه الله **وحدوث آحاد فعله تعالى** (يعني كونها بعد ان لم تكن) **لا يستلزم نقصا في حقه.** بل هذا يدل على أنَّه تبارك وتعالى **{ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ّ }**, كما أخبر عن نفسه , فهو يتكلم إذا شاء ؛ ينزِلُ متى شاء ؛يجيئُ متى شاء ؛ يأتي متى شاء ؛ الى اخر افعاله سبحانه وتعالى المتعلقة بمشيئته ؛ فالحادثُ الذي التزم به أهل السنة بمعنى المتجدد وليس معناه المخلوقة وهذا هو مراد المؤلف- رحمهُ اللهُ – الذي يردّ فيه على نُفاة الصفات الفعلية لله تبارك وتعالى .

يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمهُ اللهُ – في موضع اخر في كتابٍ اخر في شرحه على الواسطية يقول: **" إنَّ الصفات الطارئة تسمى بالصفات الفعلية ؛ لأنها تجدد وتحدث بحسب مقتضياتها وليس في هذا نقصٌ "** أي أنَّ حدوث الفعل لا يلزم منهُ حدوث الفاعل ؛ والله تعالى لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد سبحانه ؛ وآحاد أفعاله تتجددُ ؛ وليس في هذا نقص بل هو كمالٌ بل غاية الكمالِ أنَّه تبارك وتعالى فعال لما يُريد وأنَّه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، فليس قوله " كُن " في الأزل بل قوله عند إرادة حدوث الشيء؛ إذا أراد أن يخلق شيئاً سبحانه وتعالى؛ ولهذا كان الرسول ﷺ إذا نزل المطر قال **" إنه حديث عهدٍ بربه تعالى "**. أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس قال **" أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطرٌ قال: فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر؛ فقلنا يا رسول الله : لِمَ صنعت هذا ؛ قال :" لأنه حديث عهدٍ بربه تعالى " "**

ما معنى أنه حديث عهدٍ بربه تعالى ؟ أي أنَّ الله تبارك وتعالى خلق المطر الآن عند نزوله. فخلق المطر متجدد وليس قديماً؛ لذلك قال ﷺ **" حديث عهدٍ بربه تعالى ".** فتجدد آحاد فعل الله تعالى كمالٌ ولا نقص فيه بوجه من الوجوه.

كذلك كلامه تبارك وتعالى، فهو يتكلم متى شاء كيف شاء سبحانه وتعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهُ اللهُ تعالى – **" فإن قيل** -إذا قلتم- **: لم يزل متكلماً بمشيئته، لزِم وجود كلامٍ لا ابتداء له، وإذا لم يزل متكلماً وجب أن لا يزال كذلك؛ فيكون متكلماً بكلامٍ لا نهاية له وذلك يستلزم وجود ما لا يتناهى من الحوادث؛ فإنّ كل كلمةٍ مسبوقة بأخرى فهي حادثةٌ ؛ ووجود ما لا يتناهى مُحالٌ. قيل لهُ** (الرد الآن على هذا القول **): هذا الاستلزامُ حقٌ، وبذلك يقولون: إنَّ كلمات الله لا نهاية لها كما قال تعالى {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} "**

إذن الآن الحالة الاولى التي ذكرها الشيخ- رحمه الله تعالى- أن يذكر له اللازم فيلتزم به ؛ يقول : نعم انا التزم بهذا اللازم .

الحال الثانية التي ذكرها الشيخ –رحمه الله تعالى- **الحال الثانية: أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله. مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها:** من نفى الصفات ؟المعطلة أو الاشعرية و الماتريدية ؛ فحالهم أنهم نفاة وإن كان بعضهم يقول: نحن نؤول ؛ لكنهم حرفوا معنى الصفة فعطلوها عن مدلولها الحقيقي , فالآن يقول النافي للصفات لمن يثبتها : **يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابها للخلق في صفاته.** وهذه حجة من نفى الصفات ؛ احتجوا بها على من اثبت ؛ يقولون : انتم تثبتون الصفات لله تعالى فتشبهونه بخلقه **فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه، لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به،** اضفنا له اليدَّ سبحانه وتعالى فهي يدّ تليق به ليست كأيدي خلقه سبحانه وتعالى , يقول شيخ الإسلام : **كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتا وتمنع أن يكون مشابها للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات؟.** وهذه قاعدة ردّ بها شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى -على المعطلة في " التدمرية " عندما قال القول في الصفات كالقول في الذات , فانتم عندما أثبتم الخالق تبارك وتعالى ومنعتم ان يكون الخالق مشابهاً لخلقه في ذاته ؛ فأيُّ فرقٍ بين الذات والصفات ؛ قولوا في صفاته كما قلتم في ذاته ؛ فقولوا : له صفات تليق به جلّ وعلا لا تشبه صفات المخلوقات ؛ كما قلتم في ذاته : له ذاتُ تليق به لا تشبه ذوات المخلوقات , فالصفةُ المطلقة عن الاضافة أو التخصيص أمرٌ كلّيٌ لا يوجد إلا في الأذهان ويمتنع تحققه في الأعيان ؛ فلا يمكن أن يوجد اسمٌ في الخارج إلا وهو مقيدٌ بالإضافة أو التخصيص , وحينئذٍ لا يمكن ان يُلزم مُثبت الصفة لله بأنَّه مشبهٌ إذ بالإضافة يختصُّ الرب بصفاته والمخلوق بصفاته , الآن لو قلنا: يد مطلقة دون أن تُضاف ؛ هل هنا في الوجود العيني يدٌ مطلقة يمكن أن نراها دون أن تكون مضافةً لمخلوقٍ ؟ الجواب لا ؛ فعندما نقول : يدٌ إن اضفناها يدُ الفيل عرفنا انها يد الفيل ؛ يد الإنسان يدُ الإنسان ونحو ذلك , فعندما تضاف الصفة الى الموصوف تختص ؛ فإضافة الصفة الى الرّبِّ تجعل الرّبَّ تبارك وتعالى تختصُّ بما أُضيف إليه من الصفات ؛ والمخلوق كذلك إذا أُضيف إليه صفاتٌ فهو مختص بصفاته , فلازم الصفة عند اضافتها الى لله سبحانه وتعالى لا يكون لازماً للصفة عند اضافتها الى المخلوق وكذلك العكس؛ لازم الصفة عند اضافتها الى المخلوق لا يكون لازماً للصفة عند اضافتها الى الخالق ؛ فلكلٍ ما يخصه ؛ فعندما نقول صفة الخالق فهي تليق به تختص به تليق بكماله سبحانه وتعالى , وعندما نقول صفة المخلوق فهي تليق به تختص به تليق بنقصه وضعفه .

الآن لو ضربنا مثالاً / نقول : من لوازم اضافة الاستواء الى المخلوق احتياجه لما هو مستوٍ عليه ؛ وهذا اللازم خاصٌ بمن اضيف إليه وهو المخلوق , فإذا استويت انت ومن معك على الفلك ؛ استواء الإنسان على الكرسي يحتاج إليه ؛لا بد من شيء يقله فهو محتاج إليه ؛ مفتقرٌ إليه , لكنَّ الله تبارك وتعالى غنيٌّ عن كل شيء سبحانه وتعالى ؛ فإذا أُضيف الاستواء الى الله تبارك وتعالى فلا يصحُّ بأي وجه من الوجوه أن نضيف إليه لازم الصفة حال اضافتها للمخلوق؛ بل ما أُضيف إليه جل وعلا فإنه يليق به بكماله سبحانه وتعالى ؛ وبهذا يعلمُ فسادُ أقوى شبهةٍ عند هؤلاء في إنكارهم الاستواء ؛ قولهم : لو أثبتنا أنَّ الله تبارك وتعالى مستويً على عرشه حقيقةً للزم من ذلك أنَّ الله محتاجٌ الى العرشِ , الآن تأملوا في عبارتهم ؛ هذه العبارة التي اطلقوها على الله تبارك وتعالى تناسب المخلوق ولا تناسب الخالق , ففهموا من المخلوق الصفة التي أُضيفت الى الخالق فهموا منها ما اضافوا الى المخلوق ؛ فجاءتهم هذه الشبهة من جعلهم لازم الصفة حال اضافتها للمخلوق ؛ لازماَ الصفة حال اضافتها للخالق ؛ وهذا سبب الفساد

وأساسه في هذه الصفة ؛ بل في كل صفة خاضَّ فيها هؤلاء بالباطل فإنهم ما تصورا من صفات الله تبارك وتعالى إلا ما يليق بالمخلوق ؛ ما تصوروا الكمال المطلق الذي يتصف به الرَّبَّ تبارك وتعالى ؛ فصفاته كلها تليق بكماله سبحانه وتعالى وتختلف عن الصفات التي اضيفت الى المخلوق.

وثمة سؤال مفاده / متى تحل المشاركة بين صفة الخالق وصفة المخلوق ؟ هل تحصل قبل الاضافة – يعني قبل ان نضيف الصفة الى الخالق أو المخلوق – أو بعد الاضافة ؟

الجواب/أنَّها تحصل قبل الاضافة ؛ حين تكون مُطلقةً ؛ فحينما نقول :علمٌ؛ حياةٌ ؛قدرةٌ؛ كلامٌ ؛يدٌّ ؛ استواءٌ الخ.. هذا كلام مطلق؛ وهذا المعنى لا يوجد إلا في الاذهان ؛لا يمكن تحققه في الأعيان , فإذن هل توجد حياة قائمة هكذا دون حيٍّ في الأعيان ؟ هل يوجد علمٌ قائم معلقٌ في الهواء دون عالمٍ ؟ دون أن نقول هذا علم زيدٍ أو هذا علم المخلوق ؟ هل توجد صفة مطلقة في الأعيان ؟

الجواب: لا يوجد ؛ وهذا الذي يذكر دون اضافة يسمى (المطلق الكلي) ؛ والمطلق الكلي هذا لا وجود له في الخارج ؛ وإنَّما هو في الذهنِ، فأنت تتصور يداً لكن لو قيل لك أرنا هذه اليد التي ليست يد خالق ولا يد مخلوق؛ أرنا إياها هكذا معلقة هكذا وحدها بأي شيء تجيب ؟ ستقول: لا يوجد. ففي الأعيان لا يوجد هذا , إذن المشاركة أين وقعت ؛ وقعت في هذا المطلق الكلي قبل اضافة صفة الخالق الى الخالق ؛ وقبل اضافة صفة المخلوق الى المخلوق. مثل هذا المشاركة لا تضر ولا بدَّ منها ؛ إذ لا نتصور شيء إلا بهذا المطلق الكلي. وأهل العلم يقولون :الصفة لها ثلاث اعتبارات:

* **الاعتبار الأول** من حيث الاطلاق ؛ أي بدون أن تضاف لا الى خالق ولا الى مخلوق ؛ فعندما نقول الاستواء هكذا مطلقاً ولا نضيفه لا الى الله ولا الى الخلق ؛ فهو في هذه الحال أمرٌ في الذهنِ لا حقيقة له في الخارج .
* **الاعتبار الثاني:** اعتبار الصفة من حيث اضافتها الى الله سبحانه وتعالى , مثل استواء الله على عرشه , الله تبارك وتعالى قال في سورة طه **{ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}** ؛ وقال في ستة مواضع اخرى في كتابه **{ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}** فأضاف الصفة الى نفسه سبحانه وتعالى؛ فهنا الصفة مضافةٌ الى الله تبارك وتعالى ؛ والاضافة تقتضي التخصيص ؛ بمن خصصنا الاستواء؟ بالله تبارك وتعالى ؛ فالصفة المضافة الى الله تخصه سبحانه وتليق بجلاله وكماله ولا زمها الكمال المطلق اللائق بالله تبارك وتعالى اللائق بجلاله وبعظمته , هذا اللازم لا يجوز أن يجعل لازماً للصفة عندما تضاف للمخلوق؛ أليس كذلك ؟ هذا لازم مطلق يناسب الرّبّ تبارك وتعالى ؛ قد خصّ بإضافته الى الله تبارك وتعالى _ مرادي بالإطلاق الكمال المطلق _ في كماله تبارك وتعالى بلغ الغاية في كماله سبحانه وتعالى ؛ فنقول : كمالٌ مطلق ؛ فإذا أضيفت الصفة الى الرّبّ تبارك وتعالى فإنها تخصّهُ سبحانه تليق به بجلاله بعظمته ؛ هذا اللازم الذي أضيف الى الرّبّ تبارك وتعالى لا يجوز أن يجعل لازما للصفة عندما نضيفها الى المخلوق .
* **الاعتبار الثالث**: اعتبار الصفة من حيث إضافتها الى المخلوق؛ لازم الصفة في هذه الحال النقص والضعف والعجز وهي تليق بالمخلوق وبضعفه وبنقصه وبعجره وبكونه مخلوقاً ؛ هذا اللازم الذي يلزم الصفة باعتبار اضافتها إلى المخلوق ليس لازماً للصفة باعتبار إضافتها الى الخالق.

إذن الآن لو أثبتنا استواء مخلوقٍ؛ لو تكلمنا عن استواء المخلوق وقلنا : المخلوق قد استوى على السفينة أو استوى على سطح الدار أو استوى عل كرسيه؛ فهذا الاستواء قد اضيف الى المخلوق فهو يليق به ؛ وعندما نقرأ في كتاب الله تبارك تعالى نرى في سورة طه أنَّ ربنا تبارك وتعالى قد اخبرنا عن نفسه

{ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} وأخبرنا في ستة مواضع أخرى في كتابه **{ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}** فأثبت لنفسه سبحانه وتعالى صفة الاستواء؛ ما الذي ينبغي أن نفعله ؟ ينبغي أن نثبت هذا الذي أثبته الله تعالى لنفسه مضافاً إليه سبحانه يختص به ؛ يليق به ؛ يليق بكماله ؛ يليق بجلاله بعظمته؛ وهو ليس الاستواء الذي تكلمنا عنه والمختصّ بالمخلوق، إذن ليس استواء المخلوق كاستواء الخالق ؛ وليس استواء الخالق كاستواء المخلوق، بل كلٌّ باعتبار ما أُضيف إليه؛ فهذا اللازم الذي يلزم الصفة باعتبار إضافتها الى المخلوق ليس لازماً للصفة باعتبار إضافتها الى الخالق.

فلو جعل لازم الصفة باعتبار اضافتها إلى المخلوق لازماً لها باعتبار إضافتها الى الخالق يكون بذلك تشبيه للخالق بالمخلوق، وإذا جعل لازم الصفة باعتبار إضافتها للخالق لازماً للصفة باعتبار إضافتها للمخلوق يكون بذلك تشبيه للمخلوق بالخالق، والله عز وجل لا يُشبِهُ احداً من خلقه؛ ولا يُشبِهُهُ احد من خلقه؛ فكلا التشبيهين باطلُ ؛ تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق.

الآن إذا أثبتنا الصفة هل شبهنا الخالق بالمخلوق ؟ كلا ولا وألف كلا، بل أثبتنا له تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه، ما أثبته له رسوله ﷺ على ما يليق بالله تبارك وتعالى مختصاً به بجماله, بكماله, بعظمته, جل وعلا بجلاله.

وإلى نحو هذا الكلام أشار العلامة ابن القيم- رحمه الله تعالى – بقوله **" فإن الصفة يلزمها لوازم باختلاف محلها فيظن القاصر - يعني من قصر نظره- إذا رأى ذلك اللازم في المحل المحدث أنه لازم لتلك الصفة مطلقاً فهو يفر من إثباتها للخالق سبحانه، حيث لم يتجرد فى ظنه عن ذلك اللازم "**، لذلك الشيخ محمد الامين الشنقيطي –رحمه الله تعالى- قال في إحدى محاضراته؛ قال عن هؤلاء **" إنَّ هؤلاء ما رأو من الموجودات إلا رأس الدّيك ؛ كذاك الأعمى الذي ولد اعمى وعاش اعمى ومات اعمى ؛ لكنَّه رُدَّ إليه بصرهُ لثوانٍ في حال حياته؛ فابصر رأس ديكٍ كان أهله قد ذبحوا ديكاً وقطعوا رأسه ؛ فأبصر رأس الديك ؛فصار إذا ذكر له الموجودات في الدّنيا ؛ مثلاً يقولون: جاءت السفينة الى المدينة الفلانية ؛ فيقول: سفينة ؟! كيف هي من رأس الدّيك ؟ فيقارن ما رآه بما سمعه "**

فنحن الآن عندما نسمع صفات ربّنا تبارك وتعالى ؛ هل يجوز لنا ان نقارن الموجودات التي رأيناها بالصفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ ؟ الجواب لا ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ }**؛كما بيَّنا هذا في دروس مضت, فابن القيم- رحمه الله تعالى – يقول [1]:فهو-هذا الذي قصر نظره- يفر من إثباتها للخالق سبحانه، حيث لم يتجرد فى ظنه عن ذلك اللازم، وهذا كما فعل من نفى عنه سبحانه الفرح والمحبة والرضى والغضب والكراهة والمقت والبغض، **–** من الذي نفى عنه ؟ الاشاعرة والماتريدية **-** وردها كلها إلى الإرادة، فإنه فهم فهماً مستلزماً لخصائص المخلوق من انبساط دم القلب وحصول ما ينفعه وكذلك فهم غضباً هو غليان دم القلب طلباً للانتقام، وكذلك فهم محبة ورضى وكراهة ورحمة مقرونة بخصائص المخلوقين فإن ذلك هو السابق إلى فهمه، وهو المشهود فى علمه الذى لم تصل معرفته إلى سواه ولم يحط علمه بغيره. ولما كان ذلك هو السابق إلى فهمه لم يجد بداً من نفيه عن الخالق، فهمنا كيف وقعوا في التعطيل ؛ مثلوا أولاً شبهُ أولاً ؛ ثمّ عطّلوا ؛ لذلك يقول العلماء :من عطّل فقد مثّل أولاً ؛ فوقع في نقيصتين وقع في دائين ؛ داء التشبيه وداء التعطيل؛ ثم قال -رحمه الله تعالى - **:** ومنشأ غلط المحرّفين إنما هو ظنهم أن ما يلزم الصفة فى المحل المعين يلزمها لذاتها، فينفون ذلك اللازم عن الله، فيضطرون فى نفيه إلى نفى الصفة **,** يعني الى نفي صفة الله تبارك وتعالى , فهذه

هي الحال الثانية التي ذكرها الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين –رحمه الله تعالى- ,أن يذكر اللازم فلا يلتزم به ؛ يقول: هذا ليس لازم كلامي انا لا التزم به.

أمَّا الحال الثالثة التي ذكرها الشيخ –رحمه الله تعالى- **: أن يكون اللازم مسكوتا عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لازمه وبطلانه أن يرجع عن قوله، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم,** إلا إذا كان لازم قوله الحقَّ فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه فإن لازم الحقِّ حقٌّ ويجوز أن يضاف إليه يقال نعم هذا يلزم من كلامه إذا علم من حاله أنَّه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره ؛ وكثيرٌ ما يضيفه النَّاس الى مذهب الأئمة في هذا الباب .

أمّا إذا كان لازم قوله الذي ليس بحقٍّ ؛ فلا يجب التزامه إذ اكثر ما فيه أنَّه قد تناقض ؛ وقد ثبت أنَّ التناقض واقع من كل عالم غير النبيّن عليهم الصلاة والسلام ؛ ثمّ إن عرف من حاله أنَّه يلتزمه بعد ظهوره له فقد يضاف إليه؛ وإلا فلا يجوز أن يضاف إليه قولٌ لو ظهر له فساده لم يلتزمه ؛ لكونه قد قال ما يلزمه وهو لا يشعر بفساد ذلك القول ولا يلزمه .

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى – في مجموع الفتاوي20/ 217 : ولو كان لازم المذهب مذهباً للزم تكفير كل من قال عن الاستواء وغيره من الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة، فإن لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون شيء من أسمائه وصفاته حقيقة اهـ.

وهذا الذي قال بأنَّ الاسماء مجاز ؛ وأنَّها لا معنى لها ؛ وأنَّها مجرد اسماء بلا معنى ؛ هو قول المعتزلة وسبقهم الجهمية الى نفي اسماء الله تبارك وتعالى ؛ وعليه استناداً الى هذا القول ؛ تكون الصفات كالاسماء عدماً ؛ وهذا يؤدي للقول بعدم الخالق عز وجل ؛ لذلك العلماء يقولون :من عطّل فقد عبد عدماً ومن شبه فقد عبد صنماً ؛ والحقيقة من ذهب الى نفي الصفات ونفي الأسماء والقول بأنَّ الأسماء مجاز هم الفلاسفة؛ وصل الامر بهم لوصف الله عز وجل بأنَّه وجودٌ مطلق لا ذات له ولا صفة ,و الباطنية من الاسماعلية ونحوهم ؛ أتوا ببدعة العقل الكلّي والنفس الكلّية ؛ عقل كلّي ونفس كلّية تحمل اسماء الله تبارك وتعالى وتحمل صفات الله تعالى ؛ واسماء الله تعالى وصفاته ليس لله تعالى اسم عندهم ولا صفة .

وبناءً على نظرية المثل والممثول فقالوا : ما من حدود سماوية إلا يقابلها حدودٌ ارضية ؛ فهذه الاسماء والصفات التي حملتها الحدود السماوية من العقل الكلّي والنفس الكلّية يحملها في الارض الائمة ؛ ويزول العجب عندما نسمع قول شاعرهم(ابن هانئ الاندلسي) عندما دخل على المعز العبيدي قال له:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

فهؤلاء هذا حالهم مع صفات الله تبارك وتعالى ؛ ينفونها ويجعلون الله تبارك وتعالى بلا اسمٍ ولا صفةٍ فهم يعبدون عدماً .

أمّا بالنسبة للأشعرية والماتردية ممن تأول صفات الله تبارك وتعالى ؛ ولا أعني بالتأويل الصحيح ؛ وإنَّما ما اطلقوا عليه هم تأويلاً وهو تحريفٌ كما نبهت الأفاضل الى ذلك سابقاً ؛فهو تعطيلٌ للصفة وتأويلٌ للمعنى , فإنَّ هؤلاء عندما تأولوا صفة اليدِ بالقوة أو بالقدرة أو بالنعمة ؛ فلازم صنيعهم إنكار

صفة اليد الذي اثبتها لله تبارك وتعالى , وإنكارُ ما أثبته الله لنفسه كأنَّه ردَّ الخبر الذي في الكتاب أوالخبر الذي في السنة ؛ هذا الصنيعة أو الفعل كفرٌ ؛لكنَّ المُؤول هنا لا يكفر تبعاً للقاعدة السابقة إلا إن بين له المخالف من خالفه لازم قوله وما يؤول إليه من تكفير قائله فالتزم به بعد زوال كل الشبهات المانعة من التكفير .

وكذا من يفسر استواء الرّبّ تبارك وتعالى بالاستيلاء ؛ وقد مرّ معنا أنَّ الاستيلاء في اللغة لا يطلق إلا أن يكون للرّبّ تبارك وتعالى مضادُّ ومغالِبٌ ؛ فعند من كان العرش حتى استولى الرّبّ تبارك وتعالى عليه فلازم هذا القول كفرٌ؛ لأنَّ الاستيلاء لا يكون إلا بعد التغلب على المنازع ؛ والقول بوجود منازع لله تبارك وتعالى في ملكه كفرٌ؛ لكنَّ صاحب هذا القول كسابقه لا يكفر طبقاً للقاعدة السابقة التي قررها شيخ الإسلام–رحمه الله تعالى- ؛ إلا إذا بين له المخالف لازم قوله فالتزم به على التفصيل السابق بعد زوال كل الشبهات المانعة من التكفير .

وأهل البدع لاقترابهم وتناقضهم قد يفرّ الواحد منهم من اللازم الحق ليقع في اللازم الباطل ؛وهو يظنُّ في ذلك السلامة ؛كالقدريّ يفر من لازم كونه الله تعالى يضل من يشاء؛ فيقع في لازم كونه يقع في ملكه ما لا يشاء, وكذلك منكر الصفات يفرّ من التشبيه بزعمه فيقع في التعطيل والذي يقوده الى التعطيل الكامل ؛ وقد قلت لكم قبل قليل ايها الافاضل : أنَّ من عطل فقد مثّل أولاً ؛وأنَّ من عطل الرّبّ تبارك وتعالى عن اسمائه وصفاته ؛ المعطل يعبد عدماً كما أنَّ الممثّل يعبد صنماً.

فهذا ملخص الكلام الذي أتم به الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله تعالى – تلك القاعدة الجليلة ؛ التي ذكرها في دلالات اسماء الله تبارك وتعالى وتقدس .

والشيخ – رحمه الله تعالى – قد تطرق إلى موضوع الإلحاد في أسماء الله تعالى ؛ وكيف يقع الإلحاد في الأسماء, والإلحاد أيّها الأفاضل معناه في اللغة / الميلُ عن شيء الى شيء بحق أو باطل ولا يكاد يستخدم إلا في الباطل , ولا يكاد الإلحاد يستخدم إلا بالباطل .

والإلحاد في الأسماء حذّر منه ربّنا تبارك وتعالى؛ في قوله سبحانه: **{ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ}**

والإلحادُ في الأسماءِ / يكون بالميل بها عمّ يجبُ فيها؛ ما الواجب علينا في الأسماء ؟ تقدّم أنَّ نثبتها؛ أن نثبت أنَّ هذه من أسماء الله تعالى ؛ أن نثبت ما تضمنته من المعاني ؛الصفات ؛ أن نثبت حكمها ومقتضاها ؛ كما مرّ هذا معنا في محاضرةٍ سبقت ؛إذن الإلحاد الذي يقع في أسماء الله تعالى ليس نوعاً واحداً ؛ بل هو أنواعاً متعددة ؛ كما نبه الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى –

من أنواعه أن **ينكر شيئاً منها** ؛ينكر من هذه الأسماء ؛ يقول :هذه ليست من اسماء الله كصنيع الجهمية الذين انكروا أسماء الله تعالى وزعموا بأنّها مجازٌ وليس حقيقة , كذلك المعتزلة الذين اثبتوا أسماء مجرّدة لا معنى لها ؛فانكروا ما دلت عليه من الصفات والأحكام ؛ وإنَّما كان هذا إلحاداً لوجوب الإيمان بالأسماء؛ لأنَّ الله أثبتها لنفسه في كتابه ؛ ولأنَّ رسوله ﷺ أثبتها لربَّه تبارك وتعالى ؛ كذلك منَّ الإيمان بالأسماء الإيمانُ بأحكامها؛ بحكمها ؛ ومقتضاها فمن أنكر الصفات الفعلية التي لله تبارك وتعالى وزعم أنَّ ما يتعلق بمشيئته تبارك وتعالى وإرادته منفيٌ عنه ؛ فلا شكَ أنَّه قد وقع في الإلحاد في الأسماء , ومن أنكر ما دلت عليه من الاحكام والصفات اللائقة بالله تبارك وتعالى؛ فإنكار شيء من ذلك ميلٌ بالأسماء عمّا يجب فيها .

والنوع الثاني من أنواع الإلحاد في الأسماء / **أن يجعلها دالةً على صفاتٍ تشابه صفات المخلوقين**, كما فعل أهل التشبيه من الكرّامية وغيرهم ؛لأنَّ التشبيه معناً باطل لا يمكن ان تدل عليه النصوص ؛ النصوص آتت بإثباتٍ مع تنزيه ؛ فالله تبارك وتعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ }** كما اخبر عن نفسه جل وعلا,

فجعلها دالة على التشبيه ميلٌ بها عمّا يجب فيها .

النوع الثالث **/أن يسمي الله تبارك وتعالى بما لم يسم به نفسه** , فالاسماء كما قلنا في قاعدة مرّت توقيفية لابد أن تكون من الكتاب؛ من صحيح السنة ؛ فما اخبر به الرّبّ تبارك وتعالى عن نفسه ؛ وما اخبر عنه رسوله ﷺ يسمّى الله به , أمّا أن يأتي العبد ويسمي الرّبّ تبارك وتعالى بما لم يسمي به نفسه فهذا إلحادٌ في اسماء الله ,كتسميت النصارى له اباً ؛ وتسميت الفلاسفة له بالعلة الفاعلة ؛ وسيأتي بعد قليل توضيح المراد بالعلة الفاعلة عند الفلاسفة ؛ كما قلت للأفاضل : أسماء الله توقيفية ؛ فتسميت الله تعالى بما لم يسمي به نفسه ميلٌ بالأسماء عمّا يجب فيها , كما أنَّ هذه الأسماء التي سمُّوهُ بها هي نفسها باطلة ومعانيها باطلة ينزّه عنها الرّبُّ تبارك وتعالى وتقدس , ففي قول الله تبارك **{ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ }** في هذه الآية وعيدٌ شديدٌ من ربّ العالمين تبارك وتعالى للذين يلحدون في اسمائه ,

فقد ذكر أهل العلم أنَّ من الإلحاد في اسماء الله عز وجل تسميتهُ بما لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ,

يقول الإمام البغويُّ –رحمه الله تعالى –:قال أهل المعاني الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يتسم به، ولم ينطق به كتاب الله، ولا سنة رسول ﷺ , وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله تعالى – قد قال أهل التفسير من الإلحاد في اسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة , إذن الآن فهمنا كيف كان إلحاداً ؛ تسميت الله بما لم يسمي به نفسه , وقد قلت : إنَّهم سمّوه بأسماء ينزّه عنها الرّبَ تبارك وتعالى من ذلك تسمية الفلاسفة بالعلة الفاعلة ,

العلة التي ذكرها الشيخ - رحمه الله - العلة الفاعلة / هي كل ما يصدر عنه أمرٌ اخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام غيره إليه ؛فيكون علةً لذلك الأمر ؛ ويكون الامر معلولا له ؛ هذا مفهومٌ يوناني ابتكره ارسطو طاليس؛ ثم وصل الى العلم الاسلامي عندما ترجمة كتب الفلاسفة ؛فأخذ به المتفلسفة كابن سينا وغيرهم ؛

وارسطو طاليس قسّم العلل الى اربعة /

1- **الى علة مؤثرة فاعلة** , هذه التي اشار إليها الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله – التي يسمي بها الفلاسفة الرّبّ تبارك وتعالى.

2- **والى علة مادية .**

3- **والى علة صورية.**

4- **والى علة غائية** ,والغائية واضحة أنَّها الغاية التي من اجلها وجد الفعل المختار ,

5- والمثال الذي مثل

به عندما قسَّم العلل الى اربع , صنم الرخام قال النحاة عندما نحت هذا الصنم ؛ النحاة هو علته المؤثرة ؛ لانَّه هو الذي ابتكره والذي صنعه باستقلال فجعل النحاة هو العلة المؤثرة , والرخام الذي صنع منه الصنم قال : هذه العلة المادية يعني صنع من مادة , وشكل الصنم كيف صار بعد النحت قال : هذه العلة الصورية ؛ لماذا صنعوا هذا الصنم كما يفعل الكفار في بلادهم يصنعون لبعض من يعظمونه تمثالاً أو صورة العلة الغائية تخليد ذكرى هذا الشخص كما يزعمون الذي نحت الصنم على صورته ؛ فهذه أنواع العلل الأربعة , وللأسف أن المتأخرين من المتكلمين كالرازي والتفتازاني ونحوهم ,تابعو الفلاسفة في استخدام لفظ العلة, وقد نبهت قبل قليل الى أنَّ الاسماعلية وهي فرقةٌ باطنية تابعوا الفلاسفة ايضاً ؛ عندما زعموا أنَّ الله تعالى وتقدس وتنزّه عن قولهم ؛ أنَّه فوق متناول العقل وأنَّ العقل عاجزٌ عن ادراك كنهه أو معرفة صفته ؛ من اجل ذلك نفوا عنه تبارك وتعالى جميع اسمائه وصفاته زاعمين أنَّ هذا تنزيه له سبحانه عمّا لا يليق به , فالله تعالى عندهم ليس هو الخالق ولا الرازق ولا المحيي ولا المميت ولا نحو ذلك ,وهذا المعتقد في الله عز وجل هو معتقد المتفلسفة كابن سينا ونحوهم , ابن سينا كما يعلم الافاضل هو عبارة عن اسماعيلي باطني ملحد؛ دخلت عليه الفلسفة فزادته اغراقاً في الإلحاد .

هؤلاء جعلوا للذّات الإلهية ماهية بسيطة كما قالوا مجردة عن أي شيء يمكن أن يؤدي الى تحقق الوجود الخارجي ؛ أو حتى يجعلها معقولة في الذهن ؛ وهذه الذّات التي اثبتوها لا يتحقق وجودها حتى في الاذهان ؛ لا يعيها الذهن ولا يعقلها فهي والمعدوم سواء , والمخلوقات كما يعلم الافاضل تتصف بصفات ولا يقال بأن هذه الصفات تجعلها متعددة أو مركبة فكيف إذا اتصفت العظيم الخالق تبارك وتعالى بصفات الكمال والجمال .

والمتفلسفة واشباههم ممن نحا نحوهم من الاسماعلية وغيرهم حين سئلوا كيف خالق الله عز وجل هذه المخلوقات وليس له صفة يخلق بها كما زعمتم ؟

قالوا: ليس هو الذي باشر خلقها ؛وإنَّما خلقت بواسطة العقل الكلّي الذي ابدعه الله واعطاه جميع اسمائه وصفاته , فيقولون : هذا من العقل الكلّي ومنه انبثقت النفس الكلّية أو ما اطلق عليه التالي أو المبدع الثاني , واعطى الاسماعلية للوح صفات القلم نفسها وهي اسماء الله الحسنى وصفاته العلى , وقد نبهت قبل قليل الى أنَّهم يقولون بنظرية؛ تعرف بنظرية المثل والممثول . ويقولون ما من حدود سماوية إلا يقابلها حدود ارضية ؛ فالاسماء والصفات التي حملتها النفس الكلّية والعقل الكلّي يقابلهم على الارض من يقوم بحملها وهم أئمتهم ؛ فأئمّتهم يقومون بحمل أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته.

النوع الرابع من انواع الإلحاد في الاسماء/ **أن يشتقّ من اسمائه تعالى يشتق منها اسماء للاصنام** كما فعل المشركون في اشتقاق العزة من العزيز واشتقاق اللات من الاله ؛ على احد قولي المفسرين وهو ما قال به ابن عباس رضي الله عنهما ؛ فسموا بهذه الأسماء التي اشتقوها من اسماء الله تعالى سموا بها اصنامهم واسماء الله كما يعلم الافاضل ؛مختصة به سبحانه ؛تليق به جل وعلا؛ فهذه اسماء له لا تطلق على احد سواه ؛ تحمل معاني كاملة ؛ لا يمكن أن يكون في المخلوقات أو للمخلوقات اسماءٌ تماثلها أو تدانيها ؛ فهو الله الذي له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات وما في الأرض, وكما اختص ربّنا تبارك

وتعالى بالعبادة وبالألوهية الحقَّ ؛ وبأنَّه يسبح له ما في السماوات وما في الأرض ؛ فهو مختصٌ بأسمائه الحسنى ؛ فتسميت غيره بها على الوجه الذي يختص به ربّنا تبارك وتعالى ؛ ميلٌ لهذه الاسماء عمّا يجب فيها .

هذه الأنواع التي ذكرها الشيخ - رحمه الله تعالى – وقوع الإلحاد في الأسماء ؛ وهذه الأنواع كلها محرمه ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى هدّد الملحدين الذين يلحدون في اسمائه بقوله **{ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }**

بارك الله فيكم ؛ وجزاكم الله خيراً ؛ نسال الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما تعلمنا ؛وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يزيدنا علماً بمنّه وفضله إنَّه جواد كريم , واخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده رسوله نبينا محمد أفضل صلاة واتمَّ تسليم والحمد لله ربّ العالمين.

المحاضرة التاسعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد أ عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا ،

وبعد

فحياكم الله أيها الأخوة ولأخوات في المحاضرة التاسعة من مادة الأسماء والصفات.

والمحاضرات السابقة كانت استعراضا وشرحا لقواعد الأسماء التي ذكرها العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله في كتابه القواعد المثلى، وكان فيها مقدمات عن الأسماء والصفات وعن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع هذه النصوص التي أخبر الله تبارك وتعالى فيها عن نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ؛ أخبر عن أسماء الله تعالى وعن صفاته تبارك وتعالى.

وهذه المحاضرة سيكون الحديث فيها بحول الله تعالى عن صفات الله تعالى، وسأتكلم فيها وفي المحاضرات القادمة بإذن الله عن جملة من القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى في صفات الله تعالى، ولا زال المرجع لنا هو كتابه رحمه الله القواعد المثلى.

وبين يدي هذه القواعد أذكر الإخوة والأخوات وفقهم الله تعالى ببعض ما مر معنا في المحاضرة الأولى عندما كنا نتكلم عن منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، قلنا بأن الاعتقاد لا يؤخذ إلا من الكتاب والسنة، فالاعتقاد يؤخذ عن الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة إنما هو على ما في الكتاب والسنة، لذلك الاعتقاد مأخوذ من الكتاب والسنة وفق فهم سلف هذه الأمة رحمهم الله تعالى. وما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ. والصفات من جملة العقيدة فهي أيضا تؤخذ من الكتاب والسنة، فصفات الله تعالى توقيفية كما قلنا في أسمائه تبارك وتعالى.

يقول الإمام السجزي رحمه الله ناقلا اتفاق الأئمة على ذلك، يقول **" وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفا "**، أي لا تؤخذ إلا من الكتاب ومن السنة وهذا معنى عبارات الأئمة أن الله تبارك وتعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى **" لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث "**

ويقول الحافظ بن عبد البر المالكي رحمه الله، يقول عن ربه تبارك وتعالى **" فلا يصفه ذو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ "**

فقد تأملنا أيها الإخوة أن كلام الأئمة بحمد الله تعالى مؤتلفٌ وليس مختلفا، فكلهم اتفقوا على أن الصفات كأسمائه تبارك وتعالى توقيفية. فالأصل في باب الأسماء والصفات ألا يسمى الله تعالى أو يوصف إلا بما في الكتاب والسنة، لا نتجاوز الكتاب والسنة.

وهذه الصفات التي أتى بها الكتاب وجاءت في صحيح السنة تُجرى على ظاهرها المعروف وهذا معنى قول الأئمة رحمهم الله تعالى عن نصوص الصفات **" أمروها كما جاءت بلا كيف "**، فالقران الكريم أنزل بلغت عربية فصيحة لتعقله الأمة وتتدبره؛ قال ربنا تبارك وتعالى عن القرآن الكريم **{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ }** وقال سبحانه **{ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }**، فوجب فهمه وفهم ما أخبر عنه من صفات الله تبارك وتعالى على ما يقتضيه ظاهر هذا اللسان؛ اللسان العربي، و إلا لما كان ثمت فرق بين أن يكون القرآن باللغة العربية أو بغيرها من اللغات.

ولنتأمل قول الإمام الشافعي رحمه الله يقول **" القرآن عربي ويقول الأحكام فيها** -في القرآن- **على ظاهرها وعمومها "** والظاهر المراد هو ما يتبادر إلى الذهن الصحيح والعقل السليم من المعاني العربية التي تختلف بحسب السياق وبحسب ما يضاف إليه الكلام، فتختلف اليد التي أضيفت إلى الخالق المتصف بصفات الكمال والمنعوت بنعوت الجلال عن اليد المضافة إلى المخلوق الناقص الفقير بذاته.

اسمعوا معي ماذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عندما بين المقصود بالظاهر يقول رحمه الله **" ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم تلك اللغة، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام "** إذن يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام. ما معنى هاتين الجملتين ؟

مراده رحمه الله تعالى بقوله عن الظاهر **" قد يكون ظهوره بمجرد الوضع "** أي لا يحتاج فهمه إلى نظر في تركيبه، كالغضب في قوله تعالى **{ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ }**، فالغضب معلوم معناه في لغة العرب ولا يحتاج فهمُ معنى الغضب إلى نظر في تركيبه، فالغضب هو الغضب كيفما صرفته، لكن إذا أضيف الغضب إلى الخالق المتصف بصفات الكمال والمنعوت بنعوت الجلال فإنه يختلف عن الغضب المضاف إلى المخلوق الناقص الفقير بذاته كما قلت قبل قليل، أما مراده رحمه الله بقوله عن الظاهر **" وقد يكون بسياق الكلام "** أي ما يفهم حسب السياق وحسب تعلق الكلام بما قبله أو ما بعده، كالمراد بالنظر في قول الله تعالى **{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }** الآن تأملوا **{ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }** ، فإذا كان النظر متعلقا بـ : إلى فيحمل على المعاينة بالأبصار كما قال أهل اللغة بخلاف: نظر فيه ، أو أنظرني ، كان لازما لم يكن متعديا، فهنا تعدى بـ إلى فالنظر يحمل على المعاينة بالأبصار دون بقية الاستعمالات لدلالة السياق والتركيب عليه . اتضحت عبارة ابن تيمية رحمه الله تعالى ؟

فالمراد بالظاهر كما قال الحافظ الذهبي رحمه الله **" المراد بظاهرها أي لا باطن لألفاظ الكتاب والسنة غير ما وضعت له "**؛ اللغة العربية وضعت هذه الكلمة لهذا المعنى فهذا هو المراد بالظاهر. فيقرأ القرآن ويفهم ويعقل ويتدبر معناه على ما يقتضيه ظاهر اللغة التي نزل بها وما دلت عليه هذه اللغة، يقول ربنا تبارك وتعالى **{ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}**، قال السجزي رحمه الله تعالى -أبونصر السجزي- وقد تقدم قوله قبل قليل له قول آخر، يقول **" الواجب أن يعلم أن الله تعالى إذا وصف نفسه بصفة هي معقولة عند العرب والخطاب ورد بها عليهم بما يتعارفون بينهم ولم يبين سبحانه أنها بخلاف ما يعقلونه ولا فسرها النبي ﷺ لمّا أداها** - لما بلغها للأمة - **بتفسير يخالف الظاهر** – قال - **فهي على ما يعقلونه "**

إذن المعنى كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى لما سئل عن صفة الاستواء قال **" الاستواء معلوم "** أي أن المعنى معلوم في لغة العرب فلماذا التكلف والبحث عن معان أخرى لا تمت إلى حقيقة معنى الاستواء بصلة ؟ !

فلا يمكن أيها الإخوة الأفاضل تدبر وتعقل ما جاء في القرآن الكريم من صفات الله تعالى بدون فهم - على ما يقتضيه ظاهر اللسان العربي - معاني الصفات، فمعاني الصفات معلومة، عندما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى عندما قال عن الاستواء أنه معلوم قال علماء أهل السنة **" هذه قاعدة ذهبية مطردة تسري على جميع صفات الله تعالى "** فكل صفات الله تعالى معلومة لكن كيفية هذه الصفات بالنسبة لنا مجهولة، لها كيفية لكننا لا نعلمها.

اسمعوا معي إلى ما قاله الإمام البغوي رحمه الله تعالى، الإمام البغوي رحمه الله تعالى بعد أن أثبت جملة من صفات الله عز وجل قال **" فهذه ونظائرها صفات لله عز وجل ورد بها السمع "** ما المراد بالسمع ؟ النصوص السمعية؛ قول الله، قول رسوله ﷺ، ما الواجب اتجاه هذه النصوص؟ قال **" يجب الإيمان بها وإمرارها على ظاهرها "**، يعني المعنى المعروف لدى العرب **" معرضا فيها عن التأويل، مجتنبا عن التشبيه ، معتقدا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات خلقه كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق "**

وقذ أشرنا سابقا إلى قاعدة ذهبية رد بها ابن تيمية على من أنكر الصفات وأثبت لله تعالى ذات تليق به فقال لهم **" القول في الصفات كالقول في الذات "**.

فنصوص الصفات لها مدلول واضح بين معلوم في لغة العرب، لو صرفنا مدلولات نصوص الصفات عن ظاهرها الذي تبادر منها لكان فهم القرآن في غاية التعسير مع أن الله تبارك وتعالى قد أخبر سبحانه وتعالى أنه يسر القرآن، فهو مفهوم معناه ميسر تدبره ميسر تعقله، فلو أنا صرفنا مدلولات نصوص الصفات عن ظاهرها الذي تبادر منها لكان فهم القرآن في غاية التعسير، ولَكُنَّا قد كلفنا أن نحمل النصوص على معاني غريبة عنها يعني عن هذه المعاني التي نزل بها القرآن، لا تمت إلى المراد بصلة ولا تقرب منه قيد أنملة، لذلك قال السلف رحمهم الله تعالى **" أمروها كما جاءت بلا كيف "**؛ أي أجروها على ظاهرها اللائق بالله سبحانه وتعالى، اللائق بجلاله، بعظمته، ولا تصرفوها عن هذا الظاهر المراد اللائق بالله تبارك وتعالى.

يقول الحافظ أبو عمر بن عبد البر المالكي رحمه الله تعالى، يقول **" أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز "**

إذن نصوص الصفات تمر على ظاهرها ويوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام نفيا وإثباتا، فيثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وينفى عنه جل وعلا ما نفاه عن نفسه، نثبت له ما أثبته لنفسه ولا ننفي عنه سبحانه وتعالى صفات الكمال التي وصف بها نفسه أو التي وصفته بها رسله عليهم الصلاة والسلام، لأننا لو نفينا عن ربنا تبارك وتعالى صفات الكمال لجعلناه كالجمادات التي لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر، فلا تكلم عابديها ولا تهديهم سبيلا ولا ترجع إليهم قولا ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا.

وقد قلت للأفاضل وفقهم الله تعالى في المحاضرة الأولى أن منهج أهل السنة والجماعة أنهم لا يكتمون ما وصف الله به نفسه أو وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام لعلمهم أن من كتم ذلك فقد كتم ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب؛ لو أنه فعلا هذا دخل في الوعيد الوارد في الآية الكريمة قال ربنا تبارك وتعالى **{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}.**

وكما لا ننفي ما أثبته الله ورسوله من الصفات ولا نكتم ذلك كذلك لا نمثل ما أثبتناه من صفات الله تعالى بصفات المخلوقات، هذه أيضا من الأمور التي نبهت عليها في المحاضرة الأولى وأنبه عليها الآن بين يدي ذكر قواعد الصفات.

وقد أشرت وقلت للأفاضل وفقهم الله تعالى: هناك مخلوقات لم نرها ولها كيفية لكن هذه الكيفية تختلف عن كيفية المخلوقات التي رأيناها، وقد ذكرت لكم من الأمثلة التي ضربها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى نعيم الجنة، عندما ذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما **" ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء "**؛ مع أن نعيم الجنة مخلوق ونعيم الدنيا مخلوق لكنه ليس مماثلا لما نشاهده من هذا النعيم الذي نراه في الدنيا، فإذا كان هذه الفرق بين مخلوق ومخلوق فكيف برب العالمين الذي هو أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق ؟ وكل مخلوق فهو أشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق.
سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبير.

فنحن لا نمثل صفات الله تبارك وتعالى بصفات مخلوقاته، بل صفاته تبارك وتعالى تليق به جل وعلا تناسب كماله وجلاله وعظمته وقدرته وقهره جل وعلا وسائر صفات كماله، ومن مثل صفات الله بصفات المخلوقين كما قال العلماء يقع في أربعة محاذير :

1- مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين.

2- جعل ذلك هو مفهومها وعطله.

3- نفى تلك الصفات بغير علمه.

4- وصف الرب تعالى بنقيض تلك الصفات.

فوقع في محاذير سيأتي التنبيه عنها بحول الله تعالى بالتفصيل في محاضرات ستأتي.

هذا ما أردت بيانه باختصار بين يدي القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه.

القاعدة الأولى التي ذكرها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى؛ قال:

صفات الله تعالى صفات كمال.

وقد ذكر رحمه الله تعالى تحت هذه القاعدة جملة من الصفات، وقال **" هذه الصفات وسائر صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجو، كالحياة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر والرحمة والعزة والحكمة والعظمة والعلوّ وسائر صفاته تبارك وتعالى الثابتة له جل وعلا في كتابه أو**

في سنة رسوله ﷺ " وقد ذكر رحمه الله تعالى آية مع هذه الصفات يقول الله تبارك وتعالى فيها **{ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ }.**

والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى، أو الوصف الأجمل أو الوصف الأكمل كما ذكر ذلك المفسرون، ولو أن الإخوة أمعنوا النظر وقابلو بين هذه القاعدة وبين القاعدة التي تقدمت في أسماء الله تعالى وهي أن أسماء الله تعالى كلها حسنى، بلغت في الحسن غايتها وكمالها وجمالها، فلا أكمل ولا أجمل منها، كذلك صفات الرب تبارك وتعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فالله تبارك وتعالى له المثل الأعلى، له الوصف الأعلى جل وعلا.

هناك صفات يتصف بها المخلوق منها الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر، لكن شتان بين صفات الخالق وصفات المخلوق؛ صفات المخلوق صفات ناقصة، محدودة، حياته لها بداية ولها نهاية ويعتريه بين بدايتها ونهايتها النوم الذي هو أخو الموت، وتصيبه الآلام والأوجاع والأمراض والأوصاب وكلها من منغصات الحياة ومنقصاتها، فليست عنده حياة، حتى هذه الحياة المحدودة حياة ناقصة تليق بضعفه ونقصه، بخلاف ربنا تبارك وتعالى فهو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، ولا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه وتعالى، وهو سلام، من أسماءه السلام، فهو سلام من كل نقص من كل ضعف من كل ما يوهم نقصا، فالله تبارك وتعالى له الصفات الكاملة، أما الصفات التي في المخلوق فهي ناقصة، فحياة الله تبارك وتعالى صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كذلك علمه جل وعلا قد أحاط بكل شيء علما، وعلمه لا يسبق بجهل، وعلمه لا يطرأ عليه نسيان أو غفلة أو ذهول كما هو الحال بالنسبة للمخلوق، فعلمه كامل سبحانه وتعالى، علمه صفة كمال لانقص فيه بوجه من الوجوه، علمٌ كاملٌ قد أحاط تبارك وتعالى بكل شيء، ولا أحد يتصف بعلم كالعلم الذي يتصف به الرب تبارك وتعالى، فعلمه على وجه الكمال وله المثل الأعلى؛ الوصف الأعلى في هذه الصفة وفي سائر الصفات.

ولعل الأفاضل وفقهم الله تعالى قد انتبهوا إلى ما أشرت إليه في محاضرة سبقت وهو الاشتراك اللفظي بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وقد ذكرت لكم أن هذا الاشتراك قبل أن تضاف الصفة؛ فقبل أن تضاف الصفة إلى الله أو قبل أن تضاف الصفة إلى المخلوق ثمت اشتراك، لكن هذا الاشتراك كما نبهت لا وجود له في الأعيان، لا وجود له في الخارج، وإنما يتصور الإنسان في ذهنه هذا الوجود دون أن يكون مشاهدا أو موجودا في الأعيان، لكن إذا أضيف، لو قلنا صفة العلم، العلم قبل أن يضاف في الأذهان، لكن إذا أضيف بالنسبة للمخلوق: علم زيدٍ، علم المخلوق، فإنه يناسبه، وإذا أضيف العلم إلى الله تبارك وتعالى فإنه يناسب كماله سبحانه وتعالى، علم - كما قلت قبل قليل - لم يسبق بجهل ولا يطرأ عليه نسيان كما قال ربنا **{ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى }.**

فعلم الرب تبارك وتعالى ليس مسبوق بجهل سيحانه لذلك بعض العلماء يقول: الله تعالى لا يوصف بالمعرفة وإنما يوصف بالعلم، لأن المعرفة مسبوقة بالجهل وأما العلم فعلم الله تعالى غير مسبوق بجهل وغير منته فلا يطرأ عليه جهل ولا يطرأ عليه نسيان.

وقس على صفة العلم سائر صفات الله تبارك وتعالى، فكلها بهذه المثابة من الكمال المطلق.

وقد دل على كمال الصفات أدلة كما نبه الشيخ رحمه الله تعالى، أدلة السمع وأدلة العقل وأدلة الفطرة، كل هذه الأدلة كلها دلت على أن صفات الله تبارك وتعالى هي صفات كمال، وذكر الشيخ رحمه الله دليل

السمع فقال **" وأما السمع فمنه قوله تعالى { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } "**

ولا شك أن الأفاضل قد عرفوا من المحاضرات السابقة ما المراد بالدليل السمعي، قلت الدليل السمعي يقال له أيضا الدليل النقلي، فهو ما قال الله تبارك وتعالى وما قال رسوله ﷺ، فالمراد بالدليل السمعي آيات من كتاب الله تعالى أو أحاديث صحيحة من سنة رسول الله ﷺ، فالشيخ رحمه الله بهذه الجملة **" أما السمع فمنه "** يريد رحمه الله أن يقول بأن الكتاب والسنة قد دلا على أن الله تبارك وتعالى موصوف بصفات الكمال.

وذكر رحمه الله جملة من الصفات، لكن هذه الصفات التي ذكرها رحمه الله تعالى لا يفهم من ذكره لها الحصر في هذه الصفات، فصفات الله تبارك وتعالى ليست محصورة في هذا العدد المعين الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى. صفات الله تبارك وتعالى قلنا عندما تكلمنا عن أسماء الله تعالى أنها غير محصورة بعدد يعلمه المخلوق، فالله تبارك وتعالى له أسماء سمّى بها نفسه؛ منها ما أنزله في كتابه ومنها ما علمه رسوله ﷺ ومنها ما استأثر به في علم الغيب عنده، وقد قلت للأفاضل إن أسماء الله تعالى قد تضمنت صفات، فدل على أن صفات الله تعالى أيضا غير محصورة بعدد يعلمه المخلوق، فصفات الله تبارك وتعالى لا حصر لها ولا انتهاء في عدد يعلمه المخلوق.

أما الصفات، فقد نبه العلماء على أن بابها أوسع من باب الأسماء فهي أكثر من باب الأسماء، والله تبارك وتعالى موصوف بجميع الكمالات، لكن هذه الصفات كما قلنا في الأسماء صفات توقيفية، فليس لنا أن نصف الله تبارك وتعالى من عند أنفسنا كما أنه ليس لنا أن نسمي الله تبارك وتعالى من عند أنفسنا فكل ذلك بابه توقيفي كنا نبه العلماء على هذا، **فالأسماء توقيفيه والصفات توقيفية**.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى دليل العقل الدال على كمال صفات الرب تبارك وتعالى، وذكر توجيه هذا الدليل يقول **" إن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة، إما صفة كمال وإما صفة نقص "**، يعني كل موجود وجوده حقيقي، وطالما هو موجود وجودا حقيقيا خارجيا لا ذهنيا فلا بد أن تكون له صفة، إما صفة كمال أو صفة نقص، بالنسبة للرب تبارك وتعالى صفة النقص وصفات النقص منزه عنها جل وعلا، فهو سلام قدوس سبحانه، فوصفه بالنقص باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، فكونه موصوف بصفة نقص باطل في حقه تعالى لأنه الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تبارك وتعالى بطلان ألوهية الأصنام لأنها متصف بصفات النقص، لأنها متصفه بصفات العجز، قال سبحانه **{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ}**، الآن من لا يستجيب له، عدم الاستجابة هذا نقص، والله تبارك وتعالى كيف تدعون هذه الآلة وهي لا تستجيب لكم **{ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }**، لا يعلمون بدعائكم ولا يسمعون إذا دعوتم فهذا نقص فكيف تعبد هذه الناقصة المعبودات الناقصة، وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى **{ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }** فهم لا يخلقون شيئا، فهذا نقص، فهي معبودات عاجزة لا تخلق شيئا، إما أن تكون جمادات أو يكون مخلوقا عاجزا، فكيف يتخذ معبودا من دون الله تبارك وتعالى و**{ وَهُمْ يُخْلَقُونَ }**؛ هم محتاجون إلى خالق، فكيف يستحقون، فكيف يستحقون العبادة وهم مخلوقون عاجزون عن خلق أنفسهم وعن خلق غيرهم؛ **{ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }** هذه كلها صفات نقص يستدل بها على بطلان عبادة من عُبد، وبطلان عبادة ما عبد من دون الله تبارك وتعالى كائنا من كان، فهذا ينطبق، هذا الوصف على المعبودات التي عبدت من دون الله تعالى سواء

كانت جمادات أو كانت غير جمادات، فكل ما سوى الله تبارك وتعالى مخلوق غافل عاجز ناقص لا يقضي حاجته، فلا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يجيب ولا يسمع، وهذه صفات يشترك فيها كل ما سوى الله تبارك وتعالى، لذلك لا يستحق العبادة لا الصالحون ولا الطالحون على حد سواء، فلا فرق بين من عبد صالحا أو عبد طالحا، وقد قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو يحتج على أبيه **{ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا }**، فأنت يا أبتِ تعبد معبودات ناقصة لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنك شيئا؛ لا تدفع عنك شيئا من الأمور التي تأتيك، من النوائب التي تصيبك، فقد استدل الخليل عليه السلام بذلك على نقص المعبود فإذا كان المعبود ناقصا فهو لا يستحق العبادة، لذلك الدليل العقلي يدل على أن المعبود بحق له الصفات الكاملة سبحانه وتعالى التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

وإبراهيم الخليل عليه السلام قد احتج على قومه بنحو حجته على أبيه قال لهم **{ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** إذن العقل السليم الذي سلم من الشبهات، من لوثات علماء الكلام التي أفسدت عقولهم وبقي على سلامته وصراحته يدل على أن الله سبحانه وتعالى موصوف بجميع الكمالات وأن العبد ليس له أن يحدد أو يعين الصفات.

لكن إذا عُرض على العقل السليم ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الكمال فإنه يسلم فيُثبت، فيوافق ولا يخالف، فالعبد ليس له أن يعين صفة لله تبارك وتعالى أو يحدد صفة ليست في الكتاب ولا في السنة، لكن أصحاب العقول السليمة كما قلت إذا سمعوا بصفة في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله ﷺ سلّموا فأثبتوا ووافقوا ما في الكتاب والسنة ولم يخالفوا، وأثبتوا لله تبارك و تعالى صفات الكمال.

وغرضي من الإشارة هذه؛ أنبه إلى أن العقل لا يكون دليلا أصليا مستقلا نثبت به صفات الله تبارك وتعالى، وإنما العقل في هذا الأمر الغيبي إذا جاءه النص فإنه يسلم فيثبت لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه وما أثبته رسوله، فصفات الله تعالى إنما تثبت بالكتاب والسنة ولا يتجاوز الكتاب والسنة والعقل يوافق ولا يخالف كما نبهت قبل قليل.

فدليل العقل كما قلت للأفاضل لا يكون دليلا أصليا مستقلا نثبت به الصفات، بل صفات الله تبارك وتعالى، إنما تثبت بالكتاب والسنة لا نتجاوز الكتاب والسنة، والعقل السليم يوافق ولا يخالف كما قلت.

أما الأدلة الفطرية؛ فقد أشار إليها الشيخ رحمه الله تعالى، والأدلة الفطرية هي التي تحصلها الفطرة بنفسها؛ إما أن تكون: ضرورية أو استدلالية.

- **<u>فالأدلة الفطرية الضرورية:</u>** هي المحصلة في أصل الفطرة؛ يعني لا تحتاج إلى استدلال، بل تلزم نفس المخلوق ولا تنفك عنها، فيجد هذا في نفسه كما هو دليل العلوّ، فهو دليل فطري، فالعبد إذا دعا ربه تبارك وتعالى وجد في نفسه حاجة؛ يطلب الله تبارك وتعالى في العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، كما قال أبو جعفر الهمذاني يحتج على أبي المعالي الجويني عندما أنكر العلو والاستواء وقال لطلابه **" كان الله ولا مكان وهو الآن على ما كان "**، فقام له هذا التلميذ أبو جعفر الهمذاني رحمه الله وقال له **" يا أستاذ خلينا من الاستواء أو من العرش وذكر العرش لكن أخبرنا عن هذه الحاجة التي يجدها العبد في نفسه؛ ما قال واحد منا: يا الله، إلا وجد في نفسه حاجة تطلب الله تعالى في العلو لا تلتفت يمنة ولا يسره "**، فضرب الجويني رأسه وقال **" حيرني الهمذاني حيرني "**، فهذا الدليل دليل فطري لكنه دليل ضروري موجود في أصل الفطرة فهو لا يحتاج إلى استدلال، بل هذا الدليل يلزم نفس المخلوق ولا ينفك عنها.

- وهناك دليل فطري أخر يقال له **الدليل الفطري الاستدلالي** يستدل بالملاحظة التي تكون بالموجودات بما يقتضي أو بما تقتضيه الضرورة اللازمة للنفوس، والحقيقة؛ الأدلة الأولى الفطرية الضرورية فيها غنيه عن الثانية، لأنها تعرف ربها بدون الثانية، ولولا ذلك لما عرفت أن الأدلة دالة عليه، إلا أن معرفتها معرفة عامة كمعرفة كمال صفات الله تبارك وتعالى في الجملة.

وأما الأدلة الاستدلالية فتكتسب نوع تفصيل كمعرفة حكمة الله تعالى ونحو ذلك.

الشيخ رحمه الله تعالى ذكر دليل الفطرة الدالة على كمال صفات الرب تبارك وتعالى، وبين أن الله تبارك وتعالى فطر العباد وجبلهم على اعتقاد أنه كامل في ذاته وفي صفاته وفي أسمائه لا نقص فيه، وأنه تعالى وتقدس **{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }**، فليس كمثله شيء في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وإن كان دليل الفطرة كما قلت في دليل العقل ليس له أن يعين الصفات أو يحددها، فالصفات إنما تأخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لكنه يؤمن بكمال الله تعالى في ذاته وفي صفاته.

ثم قال الشيخ رحمة الله تعالى **" ثم إنه قد ثبت للحس والمشاهدة أن للمخلوقات صفات كمال وهي من الله تعالى "**، فمعطي الكمال الله عز وجل هو الذي منح صفات الكمال لهذه المخلوقات التي اتصفت بصفات الكمال، لكن انتبهوا أيها الأفاضل الكمال بالنسبة للمخلوق كمال نسبي وليس كمالا مطلقا، فالله تبارك وتعالى هو الذي أعطى المخلوق صفات الكمال، فمعطي الكمال أولى به، أولى بالكمال، لأن الذي أعطى صفات الكمال لخلقه، لأن الذي منحنا شيئا من العلم وإن كان قليلا كما قال ربنا **{ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }** ومنحنا الحياة والسمع والبصر والكلام، هذه صفات، صفات كمال، فالإنسان الذي يعلم والانسان الذي يسمع والانسان الذي يبصر والانسان الذي يتكلم أكمل من الذي لا يعلم أكمل من الذي لا يسمع من الذي لا يبصر من الذي لا يتكلم، فالذي يسمع ويبصر أكمل من الذي لا يسمع ولا يبصر وهكذا...، فالله تبارك وتعالى هو الذي أعطى خلقه هذه الصفات وهي صفات كمال، إذن فهو أعلى سبحانه وتعالى في صفاته، فمعطى الكمال أولى بالكمال، فكماله هو الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد سبحانه وتعالى وتقدس.

والشيخ رحمه الله تعالى يقول **" ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال "** وفرق بين الحس والمشاهدة وإن كان المعنى متقاربا، لكن الحس أشمل لأن الحس يشمل الحواس؛ يشمل السمع والبصر واللمس والذوق والشم هذه يقال لها الحواس الخمس، وبهذه الحواس يدرك الانسان المدركات بالسمع المسموعات، وبالبصر المرئيات، وباللمس الملموسات، وبالذوق والشم... لكن المشاهدة أخص والحس أشمل وأعم.

فأخبر رحمه الله تعالى أنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تبارك وتعالى، قال رحمه الله **" فمعطي الكمال أولى به "** سبحانه وتعالى، فالله تبارك وتعالى له الكمال المطلق الذي لا يشاركه به أحد لأنه كما أخبر عن نفسه **{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }.**

بارك الله فيكم ووفقكم لما يحب ويرضى.

وأصلي وأسلم على أفضل خلق الله نبيا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة العاشرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه

وبعد

فحياكم الله أيها الأخوة والأخوات في المحاضرة العاشرة من مادة الأسماء والصفات

والحديث في هذه المحاضرة موصول عن القاعدة التي تكلمنا عنها في المحاضرة السابقة وهي أن صفات الله تبارك وتعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، وقد استعرض الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى جملة من الأدلة ثم وصل إلى دليل الفطرة فقال : وأما فلأن النفوس السليمة مجبولة أي أنها مطبوعة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته ، وهذ الفطرة تبقى على حالها إذا لم يصرفها صارف خارجي كأن يهود أو ينصر أو يمجس كما في الحديث الذي أخرجه الشيخان في الصحيحين عن رسولنا ﷺ أنه قال :(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه وقرؤا إن شئتم **{ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ }**

فقد أخبر الصادق المصدوق أن الأبوين يهودان المولود أو ينصرانه أو يمجسانه وفي رواية عند الأمام مسلم ويشركانه بمعنى يجعلوه أو يجعلاه مشركا ، فالمؤثرات الخارجية هي التي تغير الفطرة وتصرفها لذلك يقول عليه الصلاة والسلام كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء وإنما الذي يغيرها أنتم مجتمعة الأعضاء فلو أنكم قطعتم أعضائها أنتم فعلتم هذا حتى تكونوا أنتم كما قال ﷺ في رواية حتى تكونوا أنتم تجدعونها ، فكل مسلم كل إنسان تلده أمه على القطرة ، وأبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه أما إن كانا الوالدان إن كانا مسلمين فإنه يبقى مسلما لأن هذه هي الفطرة التي فطرة الله تبارك وتعالى عليها فلو أتت مؤثرات خارجية غيرت الفطرة ، كذلك الفطرة تغير من قبل من يجهم المولود فيجعله جهميا لا يصرف لله تبارك وتعالى صفة من الصفات التي لأثبتها لنفسه والتي أثبتها له رسوله ﷺ فالأصل أن الفطرة تبقى ما لم يطرأ عليها طارئ من خارجها فتتغيروا الفطرة التي تقتضي محبة الله وتعظيمه وعبادته ، فإذا انصرفت الفطرة عن هذا المفهوم إلى محبة المخلوق كمحبة الخالق أو إلى عبادة المخلوق أو إلى صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى أو إلى تعظيم المخلوق تعظيما لا يليق إلا بالله تبارك وتعالى دل على أن الفطرة قد تغيرت وتلوثت بشبه خارجية والفطرة كما قال الشيخ رحمه الله هل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته ؟ فمن علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بالربوبية والألوهية والله تبارك وتعالى قد فطرها على ذلك عظمته وأحبته وعبدته وخضعت له هذا مالم تتغير ما لم تأتي كما قلنا صوارف خارجية تقوم بتغييرها وتشويهها ، ثم قال الشيخ رحمه الله وإذا كانت الصفة نقصا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى ، الله تعالى منزه كما قلت للأحباب وفقهم الله تعالى منزه عن كل نقص فهو تبارك وتعالى لا يجهل ولا ينسى ولا يموت كما قال سبحانه وتوكل على الحي الذي لا يموت فلا تتوكل وتعتمد على الذي يموت لأن الحي الذي يموت حياته ناقصة كحياتك ، فأنت لو اعتمدت عليه وتوكلت عليه اعتمدت على حي بحياة مثل حياتك حياته حياة ناقصه وتركت الحي الذي لا يموت كذلك ربنا تبارك وتعالى لا يجهل ولا ينسى ولا يعجز سبحانه وتعالى وهو منزه عن العمى والصمم وعن سائر صفات النقص وهذا أمر واضح بين كما مر معنا سابقا ، ولا يصل الإنسان إلى ترك المعبود بحق المتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل نقص ويذهب إلى مخلوق مثله إلا إذا تغيرت فطرته ، فإذا فسدت الفطرة تغيرت فإنه يتوكل ويعتمد على حي بحياة ناقصة

مثل حياته ، ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى قول موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون حين سأله **{ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ }** فأجابه موسي عليه السلام قائلا **{ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى }** فذكر له أن علم الله تعالى هو العلم الكامل الذي لا يسبق بجهل ولا يطرأ عليه نسيان أما غير الرب تبارك وتعالى فإنه يضل ويجهل وينسى وفي النسيان غفلة وذهول وهذا منزه الله تبارك وتعالى عنه لكمال علمه جل وعلا ، كذلك ذكر الشيخ آية أخرى تدل على كمال صفات الرب تبارك وتعالى وهي قوله سبحانه **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ }** ومن هنا من شيء لستغراق النفي أي لا يعجزه أي شيء ، وهذا دليل على كمال قدرته تبارك وتعالى ، والكامل في قدرته ليس عاجزا ويفعل ما يريد سبحانه وتعالى ، وذكر الشيخ أيضا قول الله تبارك وتعالى **{ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ }** أي أنه تبارك وتعالى يسمع السر والنجوى وزيادة على ما يسمع سبحانه وتعالى الملائكة يكتبون أفعال عباده قال **{ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ }** فالله تبارك وتعالى يسمع سبحانه وتعالى ومع ذلك وكل ملائكة يكتبون وفي هذه الآية ذكر كمال سمعه سبحانه وتعالى فسمعه ليس كسمعنا يسمع السر والنجوى ويستوى عنده تبارك وتعالى الجهر والخفوت كما قال سبحانه **{ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ }** فالسر والخفوت عنده تبارك وتعالى سيان وهذا دليل على كمال سمعه فهذه صفات ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى من كتاب ربنا تبارك وتعالى تدل على كمال الصفة وأنه لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، فهو يقرر ما تقدم في عنوان القاعدة ثم ذكر قول رسولنا ﷺ في المسيح الدجال إنه أعور ، ـعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ويقول ﷺ وإن ربكم ليس بأعور وأشار إلى عينيه وفيه إثبات العينين لله تبارك وتعالى فهو متصف بكل كمال جل وعلا ومنزه عن كل نقص وقد وضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هاتين العلامتين اللتين ذكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الأعور الدجال فقال في مجموع فتاوى هذا ادعى الربوبية يعني الدجال ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه النبي ﷺ إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وقال واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت فذكر علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس ، يقول شيخ الإسلام لعلمه ﷺ بأن من الناس من يضل فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يسمون الحلولية والاتحادية ،

أقول: وليس في هذه الإشارة تشبيه عين الرب سبحانه وتعالى بعين المخلوق إذ ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى ولكنها إثبات للحقيقة فالإشارة إلى العينين دليل على إثبات عينين حقيقيتين لربنا تبارك وتعالى كما أشار ﷺ إشارة حسية إلى العلو في خطبة الوداع في خطبة حجة الوداع والحديث مخرج في الصحيحين لما سأل الصحابة في آخر الخطبة فقال لهم وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال : بإصبعه السبابة اللهم يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد ، اللهم اشهد ثلاث مرات يشير إلى ربنا تبارك وتعالى الذي هو فوقنا فوق السماوات فوق كل شيء ، يشير إليه ويشهده عليهم على أصحابه رضي الله تعالى عنهم يشهدهم بأنهم قد شهدوا له ﷺ بأنه بلغ رسالة ربه وأدى الأمانة ونصح الأمة ، فأيضا دليل على إثبات العينين لله تبارك وتعالى المتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل نقص وعيب . ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى اعني الشيخ ابن عثيمين رحمه الله وقال النبي ﷺ أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا يشير إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه المخرج في الصحيحين يقول فيه أبو موسى كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال النبي ﷺ أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا ، فأثبت ﷺ بهذال الحديث أن الله تبارك وتعالى سميع وأنه تعالى قريب قرب يليق به فهو سبحانه قريب في علوه وهو عليم في دنوه فهو علي له صفة العلو وهي صفة ذاتية ثابته لا

تنفك عن الله تبارك وتعالى وعلوه سبحانه وتعالى فوق خلقه واستوائه على عرشه لا يمنع قربه ومعيته لخلقه المعية اللائقة به والقرب اللائق به فهو مع جميع خلقه يسمع كلام كل واحد منهم ويعلم ما في نفسه وهو مع كل داع ومستغيث به لكن هذه المعية معية بعلمه بإحاطته بتدبيره سبحانه وتعالى ، ففيها إثبات صفات الكمال لرب تبارك وتعالى فهو متصف بالصفت التي لا تكون لأحد سواه ، جل وعلا ، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالى **{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }** فأثبت الله تعالى لنفسه يدين اثنتين كما أثبتهما لنفسه في آية أخرى عندما قال لإبليس **{ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ }** ففي قوله تبارك وتعالى **{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }** وفي قوله سبحانه وتعالى **{ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ }** إثبات يدين اثنتين لله تبارك وتعالى فكيف يجيب من يزعم أن اليد في حق الله تعالى هي القدرة أو النعمة عن هاتين الآيتين .

هل يقولون **{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }** أي نعمتاه ف لله تعالى نعمتان فقط أم نعمة ؟ تبارك وتعالى لا تعد ولا تحصى ،**{ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ }** وهل لله تبارك وتعالى قدرتان أم له القدرة الباهرة الكاملة المحيطة بكل شي فقوله بل يداه مبسوطتان وقوله لما خلقت بيدي صفتان لا قدرتان ولا نعمتان هما يدان ليستا كأيدينا تليقان بالله تبارك وتعالى لا نعلم كيفيتهما لأننا لا نعلم كيفية ذاته سبحانه وتعالى فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، وإذا كنا قد عجزنا عن إدراك حقيقة الرب سبحانه وتعالى وقلنا العجز عن الإدراك إدراك كما نقل عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فاعترافنا بالعجز عن إدراك حقيقة الله تعالى هو الإدراك كذلك اعترافنا بالعجز عن إدراك حقيقة صفاته تبارك وتعالى هو فهو الإيمان فنؤمن بما أثبته لنفسه وما أثبت له رسوله ﷺ دون أن نخوض في كيفية هذه الصفات التي أثبتها الله ورسوله ومحاولة إدراك كيفية الصفات بعد عجونا عن إدراك حقيقة الذات محاولة فاشلة وهذه المحاولة هي التي أدت بالناس إلى إحدى نتيجتين إما التشبيه وإما التعطيل فالمشبهة قالوا أثبت الله لنفسه الصفات في كتابه وأثبت له رسوله ونحن لم نكلف أن نعقل أكثر مما نعقل في أنفسنا فالسمه كالسمع والبصر كالبصر والعلم كالعلم إلى آخر الصفات فزعموا أن الله لا يمكن أن يكلفنا بما لا نعقل وإنما نعقل هذه الصفات التي نعقلها في أنفسنا فشبهوا صفات الله تعالى بصفات خلقه وبالتالي شبهوا ذات الله تعالى بذوات خلقه هذه محاولة الإدراك ، أما النتيجة الثانية فهي التعطيل والنفي فالمعطلة قالوا قد وصف الله نفسه بهذه الصفات فإثبات هذه الصفات يؤدي إلى التشبيه إذا من المخرج كما زعموا قالوا المخرج من هذا المأزق يكون في نفي هذه الصفات حتى ننزه الله تعالى لأن تنزيه الله تعالى واجب وإثبات هذه الصفات يؤدي إلى التشبيه فنفوا صفات الباري جل وعلا ، أما من عجز عن إدراك الكيفية فقد انتهى إلى حدهما من قطع الطمع عن إدراك الكيفية فقد انتهى إلى حده ووقف عند قواه بارك وتعالى ليس كمثل شيء فأثبت لله تعالى يدين لا كأيدينا بل يدين تليقان به سبحانه تبارك وتعالى بكماله ، ثم قال الشيخ رحمه الله وقوله **{ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }** فهؤلاء وصفوا الله تعالى بالنقص وقتلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأتاهم التهديد والوعيد الشديد من الله تبارك وتعالى بسبب ذلك لأنهم وصفوه تعالى بالنقص وتجرؤا على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، قال الشيخ رحمه الله نفسه عما يقولون به من النقائص فقا **سبحانه { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ }** فسلم على أنبيائه رسله عليهم الصلاة والسلام لسلامة طريقتهم في وصفهم ربهم تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في الصفات العلى اللائقة به تبارك وتعالى وقال سبحانه **{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ }** فنزه نفسه تبارك وتعالى عما يصفونه به من النقائص فدل على أن أوصافه جل وعلى كلها أوصاف كمال لا نقص فيها بوجه من

الوجوه . وقال الشيخ رحمه الله وإذا كانت الصفة كمال في حال ونقص في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق كأنه رحمه الله تعالى يبين أن الصفات التي تكون كمال في حال ونقص في حال فإنها لا تثبت لله تعالى على سبيل الإطلاق ولا تنفى عن الله تبارك وتعالى على سبيل الإطلاق فلا تثبت له إثبات مطلقا ولا تنفى عنه نفيا مطلقا بل لابد من التفصيل فتثبت في الحال التي تكون فيها كمالا وتمتنعوا في الحال التي تكون فيها نقصا كما قال الشيخ رحمه الله فيها كمالا وتمتنعوا في الحال التي تكون فيها نقصا ، وذلك كما قال الشيخ رحمه الله كالمكر والكيد والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد وتكون نقصا في غير هذه الحال ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله تعالى **{ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }** وقوله **{ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا }** وقوله **{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ }** وقوله **{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ }** وقوله **{ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ }** فهذه الصفات التي تكون كمال في حال ونقص في حال آخر ممتنعه أن تطلق على الله تعالى على سبيل الإطلاق في حال الإثبات أو في حال النفي بل تكون في باب المقابلة لأن صفات النقص كلها ممتنعة في حق الرب تبارك وتعالى ولا يجوز وصفه بها جل وعلا كالموت والعجز والنوم وغيرها من صفات النقص التي نزه الله سبحانه نفسه عنها لأنه تبارك وتعالى مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه فيجب تنزيه الله تعالى عن كل ما فيه نقص وعيب وثم قاعدة مهمه شرع فيها المؤلف رحمه الله عندما تكلم عن هذه الصفات التي أشرت إليها المكر والكيد والخداع والاستهزاء فقال العبارة التي قرأتها عليكم إذا كانت الصفة كمالا في حال ونقص في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق ، إذا فهمنا م ن كلامه رحمه الله تعالى أن صفات الكمال كلها تثبت لله تبارك وتعالى التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم تثبت لله تعالى على اطلاقها ، وصفات النقص التي نزه الله تبارك وتعالى نفسه عنها ونزهه رسوله ﷺ فإنها تنفى عن الله تعالى على سبيل الإطلاق ،

إذن، الآن مر معنا مر أمران:

* أمر أول صفات كمال تثبت على سبيل الإطلاق ،

* الأمر الثاني صفات نقص تنفى على سبيل الأطلاق ،

* لكن هناك صفات من صفات الأفعال ، وصف الله تبارك وتعالى نفسه بها وهذه الصفات قد تمدح في حال وتذم في حال أخرى إذا فيها كمال في حال وفيها نقص في حال أخرى فتستعمل هذه الصفات كما جاءت ولا يقاس عليها غيرها، فتستعمل إذا كانت دالة على الكمال ليس فيها نسبة الظلم ولا الكذب، أما إذا كانت تتضمن الظلم وتتضمن الكذب فالله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، إذن لا تثبت لله تعالى إثباتا مطلقا ولا تنفي عنه تبارك وتعالى نفيا مطلقا.

وقد مثل لها الشيخ رحمه الله بجملة من الصفات؛ مثلا الكيد لا ينفى عن الله تعالى نفيا مطلقا ولا يثبت له إثباتا مطلقا، وكذلك المكر والخداع والاستهزاء، فهذ الصفات وصف الله تبارك وتعالى نفسه بها في بعض المواضع في مواضع، أثبتها لنفسه تدل على الكمال وعلى القدرة وعلى العلم وهي بعيدة عن الظلم والكذب فيجوز إثباتها في هذا الموضع إي في الموضع الذي تدل فيه هذه الصفة على الكمال؛ على كمال

علمه تبارك وتعالى وعلى كمال قدرته وعلى أنه منزه عن الظلم والكذب، ففي هذه المواضع في هذا الموضع تثبت هذه الصفات له.

إذن لابد من التفصيل في هذه الصفات؛ فنقول: يجوز إثباتها في حال، ما هو الحال؟ الحال التي تكون فيها كمال فدلت على سعة علم الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلى أنه منزه عن الظلم والكذب فتثبت له تبارك وتعالى بهذه القيود وتمتنع في الحال التي تكون فيها نقصا لأن المكر في الأصل بالنسبة للمخلوق لا يخلو من ظلم أو كذب؛ ففي هذه الحال لا تثبت لله تبارك وتعالى وإنما تكون هذه الصفة كمالا صفة المكر إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن الذي عامل الفاعل بمثلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله وأشد، فعندما مكر اليهود بنبي الله عيسى عليه السلام أرادوا الفتك به مكر الله بهم وهو خير الماكرين فألقى الشبه على من سعى في الفتك به فقتل ورفع الله تبارك وتعالى عبده ونبيه ورسوله وكلمته عيسى عليه السلام إليه فسلم من مكرهم. إذن؛ اليهود أرادوا أن يصلوا الشر والإيذاء إلى عيسى عليه الصلاة والسلام في خفية وبغتة ، فأوصل الله تبارك وتعالى إليهم ما يسوؤهم في خفية كما فعلوا، أي فعل فعلا يناسب فعلهم وحالهم فسلم عبده ورسوله عيسى عليه السلام من مخططاتهم ومؤامراتهم وقتل من سعى في الإيقاع به؛ من حاول الفتك به، حيث ألقى عليه الشبه. فهذا نوع من المكر يثبت في موضعه كما جاء في مقابلة مكر الماكرين لأنه يدل على أن الله تبارك وتعالى عليم بمؤامراتهم ومخططاتهم وأنه تبارك وتعالى قادر على أن يفشل مخططاتهم حتى لا يفعلوا شيئا وأنه تبارك وتعالى قادر على أن يوصل إليهم ما يسوئهم من حيث لا يشعرون. وهذا كله كمال وليس فيه ظلم وليس في ذلك كذب، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وما فعله الله تبارك وتعالى بمن حاول الفتك بعيسى عليه السلام مثلا وما يفعله سبحانه وتعالى بكل المخادعين والماكرين والذين يكيدون بأوليائه من المرسلين وأتباعهم، ما يفعله الله تبارك وتعالى بهؤلاء ليس بظلم أبدا بل مقابل فعلهم، ففعلهم ظلم ورد الله تبارك وتعالى لذلك الكيد وذلك المكر وذلك الخداع ليس بظلم وليس فيه كذب بل يدل على سعة علم الله تعالى وعلى قدرته الباهرة وأنه لا يعجزه شيء.

فالمكر إذن يكون كمالا ومحمودا إذا وقع على من يستحقه، ويكون ظلما وعدوانا في غير هذه الحال، لهذا لم يتصف الله تبارك وتعالى لم يصف نفسه سبحانه بالمكر إلا على سبيل المقابلة بالعقاب وذلك للدلالة على أن الله تعالى قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد كما في قوله تعالى لنبيه ﷺ **{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }**

فقابل الله تبارك وتعالى مكر الكفار السيء بمكره نصرة لرسوله ﷺ. هذا بالنسبة للمكر.

وكذلك الكيد؛ قال الله تعالى **{ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ }** فأسند الكيد إلى نفسه في مقابل كيد إخوة يوسف الذين كادوا بالظلم والكذب؛ كذبوا حين زعموا أن الذئب أكل يوسف، وآذوا يوسف وظلموه، وآذوا والدهم فقابل الله تبارك وتعالى كيدهم فكاد ليوسف عليه السلام ومكنه في الأرض ومكنه من إخوته فجعله عزيزا في مصر وجعل إخوته يحتاجون إليه وخلص منهم أخاه في قصة صواع الملك بطريقة منظمة من الله تبارك وتعالى، لذلك أسند الأمر إلى نفسه سبحانه وتعالى بقوله **{ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ }** فالله تبارك وتعالى دبر ليوسف هذا الذي فعله ووفقه لفعله وهو ليس بظلم وإنما ما فعله إخوة يوسف بيوسف هو الظلم.

فما يتضمن الظلم أو الكذب فالله تبارك وتعالى منزه عنه، وما ليس كذلك وفيه تأييد لأوليائه، لأنبيائه ورسله فهو كيد، وهذا في حقه تبارك وتعالى خير وكمال، لأنه تبارك وتعالى لم يخفَ عليه شيء من

تدبيرهم ومن تآمرهم عندما خططوا لقتل يوسف أو جعله في غيابت الجب وزعموا ما زعموا حتى ظلموا ذلك الذئب وزعموا أن أكل يوسف، كل هذا لم يخفَ على الله تبارك وتعالى وكاد ليوسف فقال سبحانه **{ كذلك كدنا ليوسف }** ، فكل من المكر والكيد والخداع ألفاظ معانيها متقاربة، والله تبارك وتعالى يرد المكر يرد الكيد يرد الخداع بفعل مناسب لذلك الفعل الذي فعلوه، فهو من الله تبارك وتعالى عدل خال من الظلم ومن الكذب بخلاف صنيع أعدائه الذين ظلموا وكذبوا. فهذه الصفات التي وصف الله تبارك وتعالى بها نفسه على سبيل المقابلة تكون كمالا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها أنها حين إذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه باسم فعله وأنه عالم بما فعل عدوه قبل أن يفعل، وتكون نقصا في غير هذه الحال مثلما صدر من اليهود ومثلما صدر من إخوة يوسف ومثلما صدر من الكفار والمشركين الذين يخادعون الله وهو خادعهم.

لهذا لم يذكر الله تبارك وتعالى بهذه الصفات على سبيل الإطلاق؛ فلم يصف نفسه بالمكر والكيد والخداع على سبيل الإطلاق، إنما ذكرها في مقابل من يعاملونه ويعاملون رسلهم وأوليائه بمثلها كقوله تعالى **{ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }.**

وليس لنا أن نطلق الفعل يمكر في حق الله تعالى بغير مناسبة وبدون مقابلة. إذن لابد أن تكون كما جاءت في كتاب الله تبارك وتعالى أن تكون بمناسبة وبمقابلة، وكذا لا يجوز أن نصوغ اسما من أسماء الله تعالى من هذا الفعل فنجعل من أسمائه تبارك وتعالى الماكر أو الكائد المخادع - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - هذا لا يجوز لأن أسماء الله تبارك وتعالى كلها توقيفية، وأسماء الله تبارك وتعالى كلها حسنى وهذه ليست بحسنى، وغاية ما فيها أن تدل على الكمال أحيانا، وما يدل على الكمال أحيانا وعلى النقص أحيانا لا يكون من الأسماء الحسنى، لذلك لا تأخذ الأسماء من هذه الأفعال فعلينا أن ننتبه إلى هذا الأمر انتباها شديدا.

قال المؤلف رحمه الله تعالى في آخر كلامه عن هذا الأمر، صفات المقابلة ، قال **" ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال { وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } "** فقال تبارك وتعالى **{ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ }** ولم يقل سبحانه وتعالى، لم يقل: فخانهم، فهو لم يذكر سبحانه وتعالى هذه الكلمة في مقابلة صنيعهم، ما هو السبب ؟ لأن الخيانة صفة ذم مطلقا، فالخيانة خدعة في مقام الائتمان؛ فلان أمنك فخنته، وهي ليست كالأفعال السابقة، فالأفعال السابقة التي تقدم ذكرها قد يكون فيها مدح وقد يكون فيها ذم كما قدمت التفصيل في ذلك، لكن الخيانة مذمومة دائما فهي صفة ذم مطلقا لأنها في مقام خيانة الائتمان مطلقا.

والمؤلف رحمه الله بين هذا وقال **" وبذا عرف أن قول بعض العوام خان الله من يخون منكر فاحش يجب النهي عنه "**، وبعض العوام يقولون: فلان ظلمنا الله يظلمه، فهذا قول منكر وفاحش فلا يجوز أن ينسب الظلم إلى الله تبارك وتعالى على أي وجه كان لأنه صفة ذم مطلقا، والله تبارك وتعالى قد أخبر عن نفسه **{ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا }** وقال كما روى عنه رسوله ﷺ **" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا "**، فكون الإنسان يقول: فلان ظلمني الله يظلمه أو فلان خاننا الله يخونه؛ هذا منكر وكل هذا لا ينبغي أن يذكر فهو فاحش من القول، ولا يقاس على الأفعال التي وردت على سبيل المقابلة التي ذكرتها لكم سابقا وهي المكر والكيد والخداع والاستهزاء؛ فهذه وردت على سبيل المقابلة وقد قلت لكم إنها قد تكون كمالا في حال وقد تكون نقصا في حال أخرى؛ فتكون كمالا إذا كانت

في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها فحينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصا في غير هذه الحال.

وقلت للأفاضل: انتبهوا إلى أمرين:

- الأمر الأول: ليس لنا أن نطلق الفعل بمكر يكيد يخدع يستهزئ في حق الله تبارك وتعالى بغير مناسبة وبدون مقابلة.
- وكذلك لا يجوز أن نصوغ لله تبارك وتعالى اسما من هذه الأفعال؛ فلا نقول، كما قلت قبل قليل: لا نقول من أسمائه تعالى الماكر أو الكائد أو المخادع أو المستهزئ؛ هذا لا يجوز لأن أسماء الله تعالى توقيفية، ولأن أسماء الله تعالى كلها حسنى وهذه ليست بحسنى؛ فغاية ما فيها أنها تدل على الكمال أحيانا وتدل على النقص أحيانا وما يدل على الكمال أحيانا وعلى النقص أحيانا فلا يكون من الأسماء الحسنى. لذلك لا تأخذ الأسماء من هذه الأفعال.

هذا ما بينه الشيخ رحمه الله تعالى في هذه القاعدة الأولى من قواعد الصفات، وذكرته لكم مع شيء من الإيضاح والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

المحاضرة الحادية عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين ، نبينا محمد و على آله واصحابه اجمعين .

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة الحادية عشرة من مادة الاسماء والصفات، وكنا قد انتهينا في المحاضرة الماضية من قاعدة من القواعد التي وضعها أهل السنة و الجماعة في صفات الله تبارك وتعالى؛ وهي أن صفات الله سبحانه وتعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

ومن القواعد التي ذكرها أهل السنة في باب الصفات أن: **صفات الله تعالى توقيفية**؛ وهذه الكلمة قد مرت مع إخوتي الأفاضل وفقهم الله تعالى في محاضرة مضت، عندما تكلمنا عن قواعد الأسماء وقلنا ان اسماء الله تعالى توقيفية. فصفات الله تعالى كأسمائه توقيفية.

وقد عرفنا معنى توقيفية، لأن هذه الكلمة مرت معنا مرار فهي موقوفة على الكتاب والسنة، والله تبارك وتعالى قد أوقفنا في كتابه على صفاته تبارك وتعالى، وكذلك رسولنا ﷺ اوقفنا في سنته على صفات ربه تبارك وتعالى، فصفات الله تعالى محبوسة على الكتاب والسنة، لا نتجاوز فيها القران والسنة كما نبه على هذا سلف الامة، لأن الله تعالى أعلم بنفسه سبحانه وتعالى وبما يستحقه من صفات الكمال، أعلم من غيره، ورسوله ﷺ أعلم الناس بربه، فهو يخبرنا بما أخبره به ربه تبارك و تعالى، فهو لا ينطق عن الهوى { إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى }، وقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن صفات الله تعالى توقيفية؛

قال الحافظ ابن عبد البر المالكي رحمه الله تعالى _ ينقل الاجماع على ذلك_ قال **" أهل السنة مجمعون على الاقرار بصفات الواردة كلها في القران والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز ."**

فهذا إجماع نقله الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى؛ صفات الله تعالى توقيفية، وأهل السنة أقروا بكل ما ورد في كتاب الله تبارك وتعالى وفي سنة رسول الله ﷺ، وآمنوا به وحملوه على الحقيقة لا على المجاز.

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر **" وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه، او سنة رسوله ﷺ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير، فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. "**

وكلامه رحمه الله تعالى دقيق في محله، فهو يقول ليس لنا أن نصف الله تبارك وتعالى من عند انفسنا، لأن الله تعالى بالنسبة لنا غيب، وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فليس هناك أشياء مماثلة له حتى نشبه الله تعالى بها فهو ليس كمثله شيء، لذلك قال **" فلا يصفه ذوي العقول إلا بخبر ".** من أين يأتي الخبر ؟ من الكتاب والسنة؛ فقال **" ولا خبر في صفات الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ لذلك ما أثبته الله عز وجل لنفسه أو أثبته له رسول ﷺ وجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف ".**

وهذا قد مر معنا عندما عرفنا توحيد الأسماء والصفات.

وليس الأمر مقتصرا على باب الإثبات بل كذلك في باب النفي؛ فما نفاه الله جل وعلا عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وجب نفيه مع إثبات كمال ضده على الوجه الأكمل لأن النفي المحض ليس فيه مدح ولا ذمّ إلا إذا تضمن إثباتا.

وهذه الجملة الأخيرة التي قرأتها عليكم في باب النفي؛ أننا ننفي عن الله تبارك وتعالى كل ما نفاه عن نفسه فعندما يقول سبحانه وتعالى عن نفسه **{ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ }** فننفي عنه السِّنة والنوم، وعندما يقول تبارك وتعالى عن نفسه **{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ }** فننفي عنه الموت تبارك وتعالى.

كذلك ما نفاه عنه رسوله ﷺ وجب نفيه.

لكننا في باب النفي لا نقتصر كما صنعت المعتزلة وأشباهها عندما نفت عن الله تبارك وتعالى أمورا، نفتها نفيا مجردا، لأن النفي الوارد في كتاب الله في حق الله تعالى أو الواردة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الله تعالى ليس نفيا محضا.

ما معنى ليس نفيا محضا ؟

أي **ليس نفيا مجردا**، لأن النفي المحض ليس فيه مدح ولا ذم إلا إذا تضمن إثباتا.

إذن، كل نفي في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله ﷺ نفاه الله تعالى عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ فليس نفيا محضا يعني ليس نفيا مجردا، بل يتضمن كمال ضده على الوجه الأكمل، وهذه المسألة سنشير إليها بعد قليل بحول الله تعالى، وقد قلت لكم النفي المحض ليس فيه مدح إلا إذا تضمن إثباتا.

بقيت مسألة نشير إليها قبل التفصيل، وهي الألفاظ التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة لا بنفي ولا إثبات؛

مر معنا قبل قليل في باب الإثبات نثبت كل ما في الكتاب والسنة، وفي باب النفي ننفي كل ما في الكتاب والسنة، لكن هناك ألفاظ استعملها أهل الكلام ، لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، لا بنفي ولا بإثبات فما موقفنا منها في حال مناظرة أهل الكلام إذا ناظرناهم ؟

لو أننا نفينا هذه الألفاظ قد ننفي معنىً حقاً أرادوه أو أثبتناها قد نثبت معنى باطلا أرادوه، لذلك يجب التوقف في الألفاظ نفيا وإثباتا، إذا الألفاظ مجملة لا تستخدم نفيا ولا إثباتا، **وإنما يستفصل عن معناها وعن مراد قائلها بها؛ فإن أراد بها معنى حقا قُبِل لكننا لا نقبل اللفظ لأن اللفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله، وإن أراد بها معنى باطلا رد عليه وجب رده**، ما السبب؟

نرد المعنى ونرد اللفظ، معنى لأن المعنى باطل، ولأن اللفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن أمثلة الألفاظ المجملة: لفظ الجِهة ولفظ الحيّز ولفظ الجسم وغيرها من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقا وباطلا.

لعل الأمور الثلاثة التي ذكرتها قد اتضحت للأفاضل وفقهم الله تعالى؛ قلنا:

- **صفات ثبتت في الكتاب والسنة،**
- **وصفات نفيت في الكتاب والسنة،**
- **ألفاظ مجملة لم تستعمل في الكتاب ولا في السنة لا بنفي ولا بإثبات.**

بينت الموقف من هذه الأمور الثلاثة .

وأعود بإخوتي الأفاضل بما ذكره الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى، لأنه عندما قال أننا **" نتقيد بما في الكتاب والسنة ولا نتعدى ذلك ولا نشبه ولا نمثل ولا نقيس "** ختم بجملة هي قاعدة من قواعد أهل السنة وهي آية كريمة في كتاب الله تبارك وتعالى أخبر الله تبارك وتعالى بها عن نفسه في قوله **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**

ولابد من وقفة مع هذه الجملة، مع هذه الآية القرآنية لأن الأئمة يذكرونها دائما ويقول العلماء إنها أصل قرآني يقوم عليه معتقد أهل السنة والجماعة في باب الصفات، فمعتقد السلف رحمهم الله تعالى في باب الأسماء والصفات يقوم على هذا الأصل القرآني، **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**

استنادا إلى هذه القاعدة التي في كتاب الله تعالى يقول أهل السنة: إن الله تبارك وتعالى أخبر عن نفسه أنه سبحانه ليس كمثله شيء بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله.

إذن أهل السنة يثبتون لله تعالى الصفات التي أثبتها لنفسه، والتي أثبتها له رسوله ﷺ لكنهم يقولون إن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، فليس فيما وصف الله به نفسه، وليس فيما وصفه به رسوله ﷺ تمثيلا، وهذا المعنى مستفاد من قول الله تعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }.**

وعلى هذا المعنى يدور كلام السلف رحمهم الله تعالى في باب الصفات، لأن الكلام في الصفات من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات.

فكما أنه لا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه، كذلك لا يجوز تمثيلها بصفات خلقه، إذن لا يجوز أن ننفي الصفات، لكننا إن أثبتناها لا نمثلها بصفات خلقه، لأن الله تبارك وتعالى أخبر عن نفسه ليس كمثله شيء.

والآن السؤال في قوله تعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}** ما هي المماثلة المنفية ؟

فهمناها عندما نقلت لكم قول السلف فيها، في المراد بها قبل قليل، ما هي المماثلة المنفية ؟

تعني أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

هذه المماثلة هل معناها نفي الصفات عنه ؟

الجواب : لا، ليس معناها نفي الصفات، بل معناها نفي المماثلة في الصفات، أي أن الله تعالى له صفات لذلك ذكر سبحانه تعالى فقال **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }..**

إذن الله سميع؛ له سمع، وبصير؛ له بصر، وهو متصف بالصفات التي ليس كمثله شيء فيها سبحانه وتعالى.

إذن ليس معنى الآية نفي الصفات، بل معناها نفي المماثلة في الصفات، فالله له صفات لكن ليست مثل صفات المخلوقين.

ولو أن الأفاضل تأملوا في الآية لوجدوها ذات شقين:

▪ **أحدهما:** قوله تعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}** وفي هذا رد على كل من مثل وشبه .

▪ **والثاني: { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** وفيه رد على من عطل

لذلك هذا الأصل القرآني **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** يرد على طائفتين؛

- يرد به على الممثلة
- ويرد به على المعطلة

فكما لا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، كذلك لا يجوز تمثيل هذه الصفات بصفات المخلوقين.

لذلك هذه الآية أو هذا الأصل القرآني أو هذه القاعدة التي انطلق منها أهل السنة والجماعة جمعت أساسين من أسس الصفات، تكلمت عنهما في المحاضرة الأولى، **التنزيه** و**الإثبات** فـ **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}** تنزيه **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** إثبات .

▪**{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}** رد على أهل التشبيه والتمثيل.

▪**{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** رد على أهل النفي والتعطيل.

وربنا تبارك وتعالى موصوف بصفات الكمال، منزه عن كل نقص وعيب، فهو موصوف بالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، وهو منزه عن الموت والجهل والعجز والصمم والعمى والبكم، وهو سبحانه لا مثل له في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن كل نقص وعيب؛ قدوس، سلام، هذه أسماؤه سبحانه وتعالى، تمتنع عليه النقائص والعيوب بأي وجه من الوجوه، وهو سبحانه لا مثل له في شيء من صفات كماله، بل الأحد ،الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

فهو منزه عن كل نقص ومستحق لكل كمال.

لو سألتُ الأفاضل وفقهم الله تعالى عن ماذا ينزه الله تبارك تعالى ؟

فأقول: ينزه ربنا سبحانه وتعالى في قوله **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}**

1- **تنزيهه عن النقص المناقض لكماله،**
2- **وتنزيهه في كماله عن أن يكون له مثل.**

إذ، الأمر الأول: تنزيهه عن النقص المناقض لكماله.

الثاني: تنزيهه في كماله عن أن يكون له مثلٌ، فليس كمثله شيء .

فنفي النقائص عن الله تبارك وتعالى من لوازم اثبات صفات الكمال، فمن ثبت له الكمال التام المطلق، انتفى عنه النقصان المضاد للكمال .

وهنا ظهرت وسطية أهل السنة والجماعة بحمد الله تعالى في باب الأسماء والصفات بسبب قيام مذهبهم، على هذا الأصل القرآني، فـ **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** هذه الوسطية؛ وسط بين قول الممثلة وقول المعطلة ، لأن **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}** رد على أهل التمثيل **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** رد على أهل التعطيل.

والممثل يقيس الله بخلقه، والمعطل ينفي ما أثبته الله لنفسه.

أما سلف الأمة رحمهم الله الذين انطلقوا من هذا الأصل فلم يقيسوا، ولم ينفوا، بل أثبتوا مع التنزيه، لأن قول الله **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** يرشدهم إلى أن الصفات الثابتة له جل وعلا لا تثبت له على حد ما يثبت لمخلوق أصلا، بل تليق به.

ومن هنا كان السلف رحمهم الله وسطا بين الفرق في باب الأسماء والصفات، فوحدوا الله تعالى ووصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع النقائص، وعن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات، نزهوه عن جميع صفات النقص، وأثبتوا له تبارك وتعالى كل صفات الكمال .

وقد نبهت قبل قليل قلت: **إن النفي الوارد في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله ﷺ ليس نفيا محضا؛** ليس نفيا مجردا؛ ليس مجرد نفي، وإنما **كل نفي يُثبت كمال ضده على الوجه الأكمل**، وهذا من الأصول التي سار عليها أهل السنة والجماعة في باب الصفات .

فهذه قاعدة من قواعد الصفات، أن نصوص الصفات جاءت بالنفي الذي يتضمن كمال ضده، أو إثبات كمال ضده.

والمستعرض للنصوص التي في الكتاب والسنة والتي تتكلم عن صفات الله تعالى نفيا أو إثباتا يجد بأن هذه النصوص إذا جاءت بالإثبات أتت بالتفصيل؛ فصلت، وإذا نفت عن الله تعالى أجملت،

إذا أثبتت لله تعالى فصلت، وإذا نفت عن الله أجملت واختصرت، وهذا معنى قولهم **إن نصوص الصفات التي في الكتاب والسنة جاءت بالإثبات المفصل والنفي المجمل .**

ومن الأصول التي سار عليها أهل السنة في باب الصفات اتباع طريقة القرآن والسنة، في إثبات الصفات ونفيها وهي هذه الطريقة، **التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي غالبا.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى **" ومن أبلغ العلوم الضرورية أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله وأنزل بها كتبه مشتملة على الإثبات المفصل والنفي المجمل، قال الله تبارك وتعالى في الإثبات { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } { وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } { وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } { وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } ولو قرأنا في اخر سورة الحشر تفصيلٌ في إثبات الصفات والأسماء لربنا تبارك وتعالى، وآيات كثيرة في كتاب الله لا تكاد تحصى إلا بكلفة كلها تتكلم عن إثبات الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى، لكننا لو بحثنا عن نصوص النفي لرأينا الإجمال فيها وهي قليلة ،** _ النصوص التي فيها النفي _ **يقول الله تبارك وتعالى عن نفسه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ} ويقول عن نفسه { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ } ويقول عن نفسه {**

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } ونحو ذلك من الأدلة الدالة على نفي النقائص والعيوب عن الله تبارك وتعالى على وجه الإجمال ".

إذن؛ النصوص الشرعية نصوص الكتاب والسنة أتت بالإثبات المفصل وبالنفي المجمل، **والحكمة في ذلك** كما قال أهل العلم انه **كلما كثرت نصوص الإثبات وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال وجمال الموصوف بها - وهو الله تبارك وتعالى- ما هو أكثر وأعظم، بخلاف النصوص المنفية، فكلما أجمل فيها كان ذلك أبلغ في تعظيم الموصوف وأكمل في تنزيهه تبارك وتعالى.**

وقد يأتي التفصيل في النفي ولكنه قليل جدا مقارنة بنصوص الإثبات، فلو جاء التفصيل في النفي، فهو لأسباب منها:

- السبب الأول: بيان عموم كمال صفات الله تبارك وتعالى؛ كما في الآيات السابقة؛ الآيات التي قرأتها عليكم **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } { وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } { وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } { وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ }** فهي تفصيل في إثبات الأسماء والصفات لربنا تبارك وتعالى، فقد يأتي التفصيل في النفي لكنه قليل مقارنة لنصوص الإثبات،
قلت: وذلك لأسباب منها :
- **السبب الأول: بيان عموم كمال الله تبارك وتعالى** كما في الآيات السابقة ،ما هي الآيات السابقة ؟ التي قرأتها عليكم **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}** فالآن، إثبات كمال الله تعالى؛ له الصفات الكاملة له الأسماء الحسنى، التي لا يماثله فيها أحد أبدا، فهذا يدل على كمال الله تعالى على عموم الكمال ، على أن الصفات كلها صفات عليا، صفات كاملة، على أن الأسماء كلها أسماء حسنى قد بلغت في الحسن غايته.
لذلك هذه من الأسباب؛ عندما يأتي النفي لبيان عموم كمال الله تعالى كما في قوله تبارك وتعالى **{وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}**؛ لم يكن له مكافئٌ ولا مضاهي، كذلك في قوله **{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}** هل تعلم له مساميا ؟ فكلها تدل على عموم كماله تبارك وتعالى، وهذا من الأسباب التي ترد نصوص النفي لأجلها؛ بيان عموم كمال الله تعالى.
- **كذلك دفع توهم النقص في كمال الله تعالى؛** كما في قوله سبحانه **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ }** فأخبر سبحانه وتعالى أنه لم يخلق السماء والأرض عبثا ولَم يخلقها لهوا بدون فائدة كما ظن ذلك بعض الكفرة؛ **{ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ }** فدفع التوهم - توهم النقص - لو وجد من قِبَلِ من يريد أن يثبت له النقص فإن ربنا تبارك وتعالى يدفع هذا التوهم في آيات ينفي فيها عن نفسه سبحانه وتعالى أنه قد خلق السموات والأرض عبثا أو أنه خلقها لهواً بدون فائدة.

فطريقة القران الكريم أيها الأفاضل في النفي والإثبات كما قلت لكم هو التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي، ونصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة قد أتت بنفيٍ مجملٍ وإثباتٍ مفصلٍ، وربنا تبارك وتعالى جمع فيما وصف أو سمى به نفسه بين النفي والإثبات؛ فأخبر في كتابه عن نفسه أنه حيٌّ قيوم عليم قديرٌ سميعٌ بصيرٌ عزيزٌ حكيمٌ وغير ذلك من أسمائه، يرضى ويغضب، يحب ويسخط، خلق واستوى على عرشه ونحو ذلك..

أما في النفي فقال عن نفسه **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}** هل تعلم له سميا فأجمل في النفي وفصل في الإثبات.

والمؤمن بصفات الله تعالى المعتصم بالكتاب والسنة لابد أن يكون إيمانه بالصفات مبنيا علي هذين الأصلين؛ **الإثبات المفصل والنفي المجمل.**

وقد قلت للأفاضل قبل قليل: كلما كثرت صفات الكمال الثبوتية مع تنوع دلالاتها كلما ظهر من كمال الموصوف بها وهو الله جل وعلا ما هو أكثر، وكلما أجمل النفي كان أدل علي التنزيه من كل وجه.

والحق أن من أبلغ العلوم الضرورية التي ينبغي أن نتعلمها أن الطريقة التي بعث الله تعالى بها أنبياءه ورسله وأنزل بها كتبه مشتملة على الإثبات المفصل والنفي المجمل.

فالله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بما يقتضي الكمال من إثبات أسمائه وصفاته علي وجه التفصيل والنفيَ على طريق الإجمال للنقص والتمثيل، فأخبر الرسل سبحانه وتعالى وعلمهم أن يصفوه بصفات الكمال، وأخبر عن نفسه أنه بكل شيءٍ عليمٌ وعلى كل شيءٍ قديرٌ وأنه سميعٌ بصيرٌ وأنه جل وعلا يحب ويبغض ويتكلم ويرضى ويغضب، ووصف الرسلُ عليهم الصلاة والسلام ربهم بأنه حيٌّ منزه عن الموت، عليمٌ منزهٌ عن الجهل قديرٌ قويّ عزيزٌ منزّه عن العجز والضعف والذل واللُّغوب، سميع بصيرٌ منزّه عن الصّمم والعمي، غنيٌّ منزّه عن الفقر، جواد منزّه عن البخل، حكيم حليم منزّه عن السفه، صادقٌ منزّه عن الكذب إلى سائر ما أخبروا به عن كمال ربهم تبارك وتعالى.

وما ورد في القرآن والسنة من إثبات صفات الله تعالى فقد ورد في التوراة وغيرها من كتب الله تعالى فهو أمرٌ اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأهل الكتاب في ذلك كالمسلمين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فالإنجيل قبل أن يحرف والتوراة قبل أن تحرف، نصوص الصفات فيها كلها إثبات مفصل ونفي مجمل، فهذه هي الطريقة التي سلكها الرسل عليهم الصلاة والسلام وقد اكتفى بهذه الطريقة أتباع الرسل فصنعوا كصنيع الرسل واقتدوا بما في الكتاب والسنة من التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي بخلاف طريقة أعداء الرسل ومن ابتدع في دين الله ولَم يقتفِ منهج الرسل أتى طريقة المبتدعة الذين أتوا بالنفي المفصل والإثبات المجمل؛ فنفوا عن ربنا تبارك وتعالى صفات الكمال التي أثبتها لنفسه، وأثبتوا لربنا تبارك وتعالي ما لا يوجد إلا في الخيال.

إذن الآن طريقة متناقضة تماما مع طريقة الرسل وأتباعهم أتى طريقة المبتدعة الذين ابتدعوا في باب الأسماء والصفات، فلم تكن طريقتهم موافقة لطريقة الرسل وأتباعهم لأن طريقة الرسل وأتباعهم كما قلت الإثبات المفصل والنفي المجمل، أما طريقة المبتدعة فقد أتت بعكس؛ هذا أتت بنفي مفصل وإثبات مجمل.

0وأضرب لكم أمثلةً من أقوال المبتدعة التي فصّلوا فيها في النفي،

- **وصفوا ربنا تبارك وتعالى بالسُّلوب:**

بالسُّلوب: السالب ضد الموجب، يعني وصفوه بالنفي؛ نفوا عنه تبارك وتعالى الصفات على وجه التفصيل، فقالوا :لا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء، ولا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا له كلام يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته، ولا له حياة ولا علم ولا قدرة ولا غير ذلك، ولا يشار إليه ولا يتعين، ولا هو مباين للعالم، ولا حالٌّ فيه، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، إلى أمثال هذه العبارات السلبية التي لا تنطبق إلاّ على المعدوم، ولو أردت أن تتحدث وتصف معدوما فليس بإمكانك أن تأتي

بأبلغ من هذه العبارات، هذا بالنسبة لتفصيلهم في النفي، وإذا أرادوا الإثبات أثبتوا شيئا مجملا يجمعون فيه بين النقيضين، ويقدرون مالا وجود له إلا في الخيال .

أضرب لكم مثالا بصنيع المعتزلة ومن اتبعهم من أهل الكلام:

قد قلت لكم سابقا وأعود وأكرر؛ قلت أن المعتزلة أثبتوا لله تعالى أسماءً مجرّدة دون ما تضمنته من صفات، لذلك ينفون؛ إذا قالوا عليمٌ يقولون عليم بلا عِلم، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، فجعلوها كالأعلام المحضة المترادفة ليس لها معنىً، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفة.

فهل هذه الطريقة تشبه طريقة الرسل وتقترب منها أو هي بعيدة عنها كما بين المشرق والمغرب ؟

انتبهنا لهذه المسألة ؟

إذن، عند الإثبات: عندهم إجمال في الإثبات، وعند النفي: عندهم تفصيل في النفي، بخلاف طريق الرسل، لذلك أقول للأفاضل وفقهم الله تعالى شتان ما بين طريقة الرسل وطريقة مخالفيهم.

وطريقة الرسل كما قلت للأفاضل تفصيل في الإثبات وإجمال في النفي.

وقد ذكرت لكم سابقا أن النفي الذي في الكتاب والسنة ليس نفيا محضا، بل صفات النفي التي في الكتاب والسنة تتضمن كمال ضدها، وقلت لكم أن النفي المحض ليس فيه مدح، والمدح إنما يكون في الأمور الثبوتية لا في الأمور العدمية، وقد مرَّ معنا الأمور العدمية الذي سلكها مخالفو الرسل: ليس داخل العالم، ليس خارج العالم، ليس فوق، وليس تحت، ليس يمين، وليس يسار، ليس أمام وليس خلف، ليس متصلا بالعالم، ليس بائنا عنه، ليس داخلا فيه، ليس خارجا عنه... حتى في الاسماء التي أثبتها المعتزلة أثبتوها كما قلت دون ما تضمنته من الصفات، فطريقتهم طريقة مخالفة لما في الكتاب والسنة، ومخالفة لطريق الرسل ولما عليه أتباع الرسل كذلك. وإنما يحصل المدح بالعدم إذا تضمن ثبوتا، **ومن هنا كانت النصوص التي في الكتاب والسنة والتي هي نصوص النفي ليس فيها النفي مجردا، وإنما نفي يتضمن كمال الضّد،** فالنفي المحض المجرد عدم محض كما قال العلماء والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلا عن أن يكون مدحا أو كمالا، لأن النفي المحض يوصف به المعدوم و الممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، **فما يُنفى عن الله تعالى يُنفى لتضمن النفي الإثبات.**

إذن الصفات السلبية ليس فيها بنفسها مدح ولا توجب كمالا للموصوف إلا إذا تضمنت أمرا وجوديا، ولهذا عامة ما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه من النفي متضمن إثبات المدح.

وأنا سأذكر لكم أمثلة وأضرب لكم مثالا بآية الكرسي، التي في سورة البقرة:

هذه الآية العظيمة التي هي أعظم آية في كتاب الله تعالى كما في الصحيح، اشتملت على عدد من صفات النفي المتضمنة لكمال ضدها، من ذلك قول الله تبارك وتعالى عن نفسه **{ لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ }**؛ نفي السِّنة والنوم عن الله تعالى ليس نفياً محضاً، ليس نفياً مجرّداً، فالذي لا ينام دليلٌ على كمال حياته؛ الذي لا تأخذه السّنةُ - وهي مقدمات النوم وما قبل النوم – فضلا عن أن يأخذه النوم فهو حيّ متّصف بالحياة الكاملة، فنفي السنة والنوم يتضمن كمال حياة الربّ وكمال قيّوميته سبحانه وتعالى؛ لذلك قال قبلها **{ اللَّهُ**

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ } لأن النوم والسِنة الذي هو النعاس الذي يتقدم النوم مضاد لكمال الحياة، إذِ النوم أخو الموت كما لا يخفى عن الاخوة السامعين وفقهم الله تعالى.

كذلك لو قرأنا في هذه الآية العظيمة نجد أن الله تبارك وتعالى قد أخبر عن نفسه فيها **{ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ }** لا أحد يشفع عند الله تعالى إلا إذا أذن الله تعالى له، بخلاف ملوك الدنيا فإن الشافع يأتي يشفع دون أن يطلب الإذن في الشفاعة أولاً، وهذا في قوله تعالى **{ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ }** يتضمن كمال ملكه جلَّ وتعالى وتقدَّس، ويتضمن تمام ملكه، فالشفاعة كلها له، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

كذلك إذا قرأنا وصفه تعالى نفسه بهذه الصفة -صفة النفي- بأن عباده لا يحيطون بشيءٍ من علمه، فإن هذا النفي يتضمن كمال علمه جل وعلا وكمال إحاطته ، لأن علمه لو كان محدودا لأحيط به لكن لا يحيطون بشيءٍ من علمه، ولا بشيءٍ من علمه فهذا دليل على كمال علمه تبارك وتعالى وإحاطته.

وشبيه بقوله تعالى **{ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ }** قوله تعالى **{ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ }** فإنه يقتضي أيضا كمال علمه تبارك وتعالى، وأنه لا تخفى عليه خافية من الأمور. إذن، نفي العزوبِ مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات وفي الأرض.

كذلك وصف الله تبارك وتعالى نفسه في آية الكرسيّ بصفة نفيٍ وهي قوله **{ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ }** أي: لا يُكْرِثُه ولا يُثْقِلُه حفظ السموات والأرض؛ حفظهما: الضمير يعود على السموات والأرض، فحفظهما لا يكرثه ولا يثقله سبحانه وتعالى ولا يعجزه. هذا دليل على أي شيء ؟

دليل على كمال قدرته تبارك وتعالى، وعلى تمامها بخلاف قدرة المخلوق على الشيء، فالمخلوق لو قدِر على شيء فإنه يقدر عليه بنوع كِلفة ومشقة، وهذا نقص في قدرة المخلوق وعيب في قوته، بخلاف قدرة الرب تبارك وتعالى فانه لا يعجزه شيء، فقدرته كاملة سبحانه وتعالى.

كذلك في آيات اخرى يقول ربنا تبارك وتعالى **{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ }** هنا نفيٌ، نفى سبحانه وتعالى مس اللغوب، واللغوب : هو التعب والإعياء.

فخَلقَ السموات والأرض في ستة أيام ولم يتعب سبحانه وتعالى، ولم يسترح، لأن اليهود يقولون إنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام فتعب واستراح في اليوم السابع، فردَّ الله تبارك وتعالى عليهم يقول **{ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ }** قدرته كاملة سبحانه وتعالى لا يمسه تعب ولا إعياء، فكمال قدرته ونهاية قوته وليس كخلقه الذين يلحقهم النصب، والملل، والكلل عندما يعملون فإنهم يتعبون، أما ربنا تبارك وتعالى فإن قدرته كاملة.

ومن الآيات القرآنية التي جاءت فيها صفة نفيٍ تضمنت كمال ضدها قوله تبارك وتعالى عن نفسه **{ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ }** **والإدراك أيها الأفاضل ليس الرؤية، بل" الإحاطة "**

هذه الآية استدل بها المعتزلة على نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، لكنّ هذه الآية ليست حجة لهم بل هي حجة عليهم، وهي تردُّ عليهم، **لأن الله تعالى ما نفى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، والإدراك شيء زائد عن الرؤية.**

وتأملوا في قول الله تعالى عن موسى عليه السلام ومن معه عندما خرجوا من مصر واتَّبعهم فرعون بجنوده قال سبحانه وتعالى **{ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ }** الآن تأملوا(**تَرَاءَى**) تفاعلَ؛ يعني كل جمع رأى الجمع الآخر، لكنَّ هذه الرؤية كانت رؤية من بعيد **{ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ }** سيصلون إلينا ويحيطون بنا، ماذا قال موسى عليه السلام ؟

{ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } إذن، هل وقعت الرؤية ؟ هل حصلت ؟

الجواب :حصلت، لكنَّ الإدراك لم يحصل لأن الله تبارك وتعالى منع جنوده أن يحيطوا بموسى عليه السلام ومن معه، كذلك ربّنا سبحانه وتعالى تراه الأبصار لكنَّها لا تدركه لعظمته تبارك وتعالى فهذا يقتضي كمال عظمته جلَّ وعلا بحيث ان الأبصار لا تحيط به وان رُئِيَ.

والمُلاحظ أيها الأفاضل أن الله تعالى نفى الإدراك الذي هو الإحاطة في قوله **{ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ }** ولم ينفِ مجرد الرؤية، وهذا دليل على كماله سبحانه، والمعدوم لا يُرى، وليس في كونه لا يُرى مدحٌ، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً، وإنما المدح في كونه لا يُحاط به وان رُئِيَ، كما أنه لا يُحاط به وإن عُلِم، فكما أنه إذ عُلم لا يُحاط به علما، فكذلك إذا رُئيَ لا يُحاط به رؤية.

كذلك الآيات التي تقدمت وتكلمتُ عنها بشيء من التفصيل التي فيها نفي المِثْلِ والكُفْءِ عنه تبارك وتعالى في قوله **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}** وفي قوله **{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}** وفي قوله **{ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }** فهذا يقتضي أن كل ما سواه تبارك وتعالى عبدٌ مملوك له، وذلك يقتضي من كماله مالا يحصل، كمالٌ مطلق إذ كان سبحانه وتعالى ليس له نظيرٌ، وليس له مشارك في الصنع، لو كان له نظير مستغنٍ عنه، أو كان له مشارك في الصنع لكان نقصا في الصانع .

فعُلم أن الله تبارك وتعالى له الكمال المطلق سبحانه فيما أثبته لنفسه، وفيما نفاه عن نفسه، فما أثبته جلَّ وعلا لنفسه يُنزَّه عن مماثلته لصفة غيره، وهذا يدل على أن صفاته تبارك وتعالى صفات كمال، وما نفاه ربنا عن نفسه فإنه يتضمن كمال ضِدِّه كما بيّنَّا، وذكرنا الأمثلة من كتاب الله تعالى، فالله تبارك وتعالى له الكمال، وصفاته تبارك وتعالى كاملة، فالكمال له تبارك وتعالى في النفي وفي الإثبات.

هذا ما أردتُّ بيانَه في هذه القاعدة.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلَّم أفضل صلاة وأتمّ تسليم.

والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الثانية عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحاب

ه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فحيَّاكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة الثانية عشرة من مادة الأسماء والصفات.

وسيكون الكلام بإذن الله تعالى في هذه المحاضرة عن قواعد جديدة في صفات الله تبارك وتعالى.

ومن القواعد التي سأبدأُ الحديث عنها قاعدةٌ يقول فيها أهل السنة والجماعة: **إن باب الصفات أوسع من باب الأسماء**

فباب صفات الرب تبارك وتعالى أوسع من باب أسمائه سبحانه وتعالى، لأن أسماء الله تعالى الثابتة له في الكتاب والسنة مشتقة من صفاته، وكل اسم من أسمائه المباركة سبحانه وتعالى متضمن لصفة كما سبق بيان ذلك في قواعد الأسماء، وليس كل صفةٍ تكون اسماً لله تعالى أو يشتق لله تعالى منها اسمٌ، لأن ذلك كما قلت للأفاضل -حفظهم الله- مبناه على التوقيف؛ وقد قلت لكم إن أسماء الله تعالى توقيفية كما أن صفات الله تعالى توقيفية.

فأسماؤه سبحانه وتعالى أوصاف كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية؛ يقول:

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حمِّلت لمعاني

فكل اسم من أسماء الله تعالى التوقيفية متضمن لصفة، ومن الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى؛ لأن الصفات كما سأبين لاحقا تنقسم بالنظر إلى قيامها بذات الله تعالى وتعلقها بمشيئته سبحانه وتعالى إلى:

- **صفات ذاتية**
- **وصفات فعلية**

- أما **الصفات الذاتية:** فهي الصفات التي لا تنفك عن الذات، فهي قديمة قدم الذات، لم يزل الله تعالى وَلَا يزال متصفاً بها كالوجه واليدين والعين والقدم والأصابع والساق وغير ذلك مما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لم يزل الله تعالي متصفا بهذه الصفات أزلا وأبدا؛ فهذه يقال لها الصفات الذاتية.
- وهناك صفات يقال لها **الصفات الفعلية** وهي التي تتعلق بمشيئة الرب تبارك وتعالى؛ كنزوله واستوائه وإتيانه ومجيئه ومحبته ورضاه وغضبه والضحك والعَجَب ونحو ذلك من الصفات المتعلقة بالمشيئة؛ هذه كلها يقال لها الصفات الفعلية. وهي التي عناها المؤلف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بقوله **" ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها كما أن أقواله لا منتهى لها "**

فأفعاله تبارك وتعالى لا منتهى لها لأن الفعل كمال، والكمال يجب أن يكون دائما، فالله تعالى موصوف دائما وأبدا بالكمال، وهو جل وعلا وصف نفسه بأنه **{ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }** فيفعل ما يريد؛ يفعل أي شيء أراده؛ أي شيء أراده فعله سبحانه وتعالى، وهذا دليل على كماله جل وعلا.
وكذلك أقواله سبحانه وتعالى لا منتهى لها كما أخبر الله تعالى عن نفسه **{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** فكل شجرة على وجه الأرض لو جعلت أقلاما والبحر من بعده يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وهذه البحار كانت مدادا وكتب بكل ذلك، ما نفدت كلمات الله { **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** }.

وتأملوا أيها الأفاضل في قوله تبارك تعالى **{ كلماتُ }** سماها كلمات، فهي كلمات يتكلم بها سبحانه وتعالى وإذا أراد شيئاً قال له { كن } فيكون، ليست معنى قائما بنفسه، بذاته كما قال الأشعرية والماتريدية ومن وافقهم.
فكلام الله تعالى كلام، والكلام في لغة العرب: لفظ مفيدٌ، ولا يقال له كلامٌ إلا بعد أن تتكلم وتتلفظ به، وما في نفسك لا يسمى كلاما وإنما هو حديث نفس.
أخرج البخاري في الصحيح ومسلم في الصحيح عن أبي هُريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال **" إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم "**
قال قتادة **" إذا طلّق في نفسه فليس بشيء "** أورده البخاري في كتاب الطلاق وعقب بقول قتادة " إذا طلق في نفسه فليس بشيء" يعني إذا لم يتلفظ بالطلاق فلا يقع الطلاق دليل على أن حديث النفس لا يسمى كلاما.
وفِي رواية عن أبي هريرة يقول ﷺ **" إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم "**. وفِي رواية لمسلم **" إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به "**
فالله تعالى لا يؤاخذ الإنسان بحديث النفس حتى يتكلم به، فأنظروا إلى هذا الحديث أيها الأفاضل؛ **" حتى يتكلم به "** ففرّق نبينا ﷺ بين حديث النفس وبين الكلام؛ وسيأتي الحديث عن صفة الكلام في محاضرة قادمة بإذن الله تبارك وتعالى.

الآن، علينا أن نعلم أن **صفة الكلام باعتبار أصلها صفة ذاتية.**
قد مرَّ معنا تعريف الصفات الذاتية؛ فالله تعالى لم يزل متصفا بها، وهي صفة فعلية أيضا متعلقة بمشيئة الله تعالى؛ فالله تعالى يتكلم إذا شاء متى شاء كيف يشاء بما يشاء؛ خاطب آدم عليه السلام وخاطب نوحا عليه السلام وخاطب إبراهيم عليه السلام وكلم الله موسى تكليما وكلم نبينا محمدا ﷺ ليلة الإسراء والمعراج عندما فرض عليه الصلوات كما في الصحيح، ويكلم عباده في آخر كل ليلة عندما ينزل سبحانه يقول لعباده **((هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه))**، فيكلم أهل الجنة ويتكلم، وينادي يوم القيامة بصوت كما في الصحيح يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب؛ فهذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يتكلم.
وكلامه صفة ذاتية وصفة فعلية متعلقة بمشيئته؛ صفة فعلية متعلقة بمشيئته.
وهذه التي تتعلق بمشيئته يقال لها آحاد الكلام، وهذه الآحاد يحدث في وقت دون وقت؛ فيتكلم الله تعالى وقت ما شاء سبحانه، فإذا شاء تكلم ويخاطب سبحانه وتعالى من شاء ويتكلم بما يشاء.
وهذا الإحداث إحداث تكلم وخطاب وليس إحداث خلق؛ لذلك لا ينبغي أيها الأفاضل أن يلتبس علينا الأمر؛ إذا قيل صفة الكلام صفة ذات باعتبارٍ وصفةُ فعل باعتبارٍ آخر؛ فباعتبار أصل الكلام هي صفة ذات لأنها لا تنفك عن ذات الله فلم يكن الكلام ممتنعا عليه سبحانه وتعالى أبدا،

وهي باعتبار أفراد الكلام صفة فعل؛ فيقال فيها يتكلم ربنا تبارك وتعالى إذا شاء وقت ما شاء بما شاء فهي صفة فعل ـ كما قلت سيأتي الكلام مفصلا عن هذه الصفة بإذن الله تعالى ـ.

~ ومن الأمثلة التي ذكرها الشيخ رحمه الله للصفات الفعلية؛ المجيئُ والإتيان والاخذ والإمساك والبطش والإرادة والنزول وصفات كثيرة جدا وكل صفة من هذه الصفات دل عليها دليل من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله ﷺ قال تعالى **{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}** متى هذا المجيئُ ؟

يجيئ ربنا تبارك وتعالى يوم القيامة لفصل القضاء، إذن هل هو قديمٌ أو أنه يحدث يتعلق بمشيئته سبحانه؛ فهي صفة فعل.

وقال سبحانه **{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ }** وقال سبحانه **{ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ }** وقال جل وعلا **{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ}** وقال سبحانه **{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}** وقال **{ۗيُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }**

فهذه أدلة من كتاب الله تعالى على جملة من الصفات الفعلية؛ المجيئُ والإتيان والأخذ والإمساك والبطش والإرادة.

ومن سنة رسول الله ﷺ صفات كثيرة فعلية أيضا؛ منها صفة النزول التي دل عليها قول رسولنا ﷺ **" ينزل ربنا إلى السماء الدنيا "** والحديث في الصحيحين وهو مروي عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

•• وعندنا أهلَ السنة والجماعة لا فرق بين الصفات الواردة في الكتاب والصفات الواردة في السنة الصحيحة.

انتبهوا أيها الأفاضل لهذه المسألة

ينبغي التعليق عليها، لأن من المتكلمين من يصرفنا عن الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة؛ فيبدأ معنا بالحديث ويأخذ بدايةً حديث الآحاد أو خبر الآحاد ولو كان في صحيح البخاري أو في صحيح مسلم أو اتفق الشيخان رحمهما الله تعالى على هذا الحديث على إخراجه؛ فيقول: هذه من الآحاد فلا يستدل بها في باب العقيدة ولا يؤخذ بها في باب الاسماء والصفات.

ولا يكتفي بهذا، بل يتدرج معنا فيقول الأحاديث ولو كانت متواترة رواها جمعٌ غفير عن جمعٍ غفير عن جمعٍ غفير من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله ﷺ فيقول لا يجوز الاستدلال بها على العقيدة ولا يجوز الاستدلال بها في باب الاسماء والصفات.

لماذا ؟

قال: لأنها قد تكون ظنّية الدلالة رويت بالمعنى؛ لعل رسول الله ﷺ لا يريد هذا المعنى الذي فهمناه.

وإذا سلمنا له تجرأ علي جميع النصوص الشرعية ويصل بِنَا إلى كتاب الله تعالى وإلى آيات الذكر الحكيم فيقول عن الأدلة جميعها: الأدلة اللفظية جميعها لا يستدل بها في باب الأسماء والصفات ولا يستدل بها في باب العقيدة لأنها ظنيَّة وإنما نذكرها من باب الاستئناس بها والاعتباض بها لا من باب الاعتماد عليها.

ولو سألناه: ما العمدة في رأيكم في معرفة العقيدة ؟ أشيروا علينا، كيف نتعرف على المعبود بحق سبحانه وتعالى ؟ فأنتم قمتم بسد طريق معرفة الله تعالى من خلال نصوص الكتاب والسنة، فكيف نتعرف على أسمائه وصفاته جل وعلا إن لم يكن بالرجوع إلى ما قاله في كتابه وإلى ما أخبر عنه رسوله ﷺ ؟

هؤلاء استندوا في وصفه ومعرفته تبارك وتعالى على ما رأته عقولهم، ولقد علمتم أيها الأفاضل من خلال المحاضرة الماضية كيف تضاربت هذه العقول وكيف تفاوتت واختلفت وتناقضت؛ فعقل الجهمية لم يثبت لله تعالى شيئاً، وعقول المعتزلة أثبتت الأسماء جامدة مجردة عن المعاني لا تدل على الصفات، وعقول الأشاعرة قسمت الصفات إلى ما هو عقلي وما ليس بعقلي؛ فالصفات العقلية التي سموها صفات المعاني أثبتوها بحجة أن عقولهم أثبتتها والصفات الفعلية والخبرية التي في الكتاب والسنة أوَّلوها بحجة أن عقولهم نفتها.

فإلى عقل من نتحاكم أيها الأفاضل ؟ وإلى فهم من نصير إذا تركنا كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ؟ !

إنّ من ترك الكتاب والسنّة سيخوض في مستنقعات العقول، وسيقع في موقع زبالات الأذهان ولا يخرج منها بنتيجة، وهذا الخوض العقليّ هو الذي يقسّي القلوب ويبعد العباد عن معرفة ربهم تبارك وتعالى لأنّهم لم يأخذوا العقيدة من كتاب الله ولا من سنّة رسوله صلى الله عليه وسلّم.

وهذه الصفات التي ذكرها الشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى في هذه القاعدة جلّها من الصفات الفعلية، وأفعال الله تعالى لا نهاية لها فصفاته الله الفعلية تبارك وتعالى لا تُحصى، فيوصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا يُسمّى بها، ومن هنا كان **باب الصفات أوسع من باب الأسماء** كما قلت لكم في مُسمّى القاعدة.

ذكرت لكم جملة من هذه الصفات وأدّلتها، وذكرت لكم أدّلتها من الكتاب والسنّة؛ منها المجيء؛ هل يقال إن من أسماء الله تعالى الجائي ؟ ومنها الأخذ ولا يُسمّى الله تعالى بالآخذ، ومنها الإمساك ولا يُسمّى الله تعالى بالممسك، ومنها البطش ولا يُسمّى بالباطش، والنزول ولا يُسمّى بالنازل، ونحو ذلك..

ومن هنا قال العلماء **" الصفات بابها أوسع من باب الأسماء."** لأنّ الأسماء كما قلت لكم، التوقيفية مشتقة من صفات الله تعالى، إذن الأسماء عُرف أنّها مشتقة من أسماء الله تعالى، لكن هناك من الصفات ما لا يُؤخذ منه اسم لله تبارك وتعالى ومنها هذه الصفات الفعلية التي أشرتُ إليها أيّها الأفاضل فلا يُسمّى الله تبارك وتعالى بها، **لكن هل يُخبر عن الله تعالى بها ؟**

من المعلوم أنّ باب الإخبار يُتسامح فيه بما لا يُتسامح في باب الأسماء، ففرقٌ بين أن نقول هذا الاسم من أسماء الله تعالى الحسنى وبين أن نخبر عن الله تعالى بمعنى طيّب سليم.

أقول فرق أن نقول هذا اسم من أسماء الله لأنَه قد ثبت في كتاب الله تعالى أو في سنّة رسوله أنّه اسم من أسمائه، أو أن نخبر عن الله تعالى بمعنىً ليس فيه بأس؛ معنا سليم.

مثلا: الله تبارك وتعالى وصف نفسه بالإرادة **{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }** كما قرأت عليكم الآية سالفا، فالآن " مُريد " ليس من أسماء الله تعالى لكن لنا أن نخبر عن الله تعالى بأنّه مُريد؛ فنقول: الله مريد لكذا؛ ولهذا كما نقول الله يريد فنقول الله مُريد وهذا من باب الإخبار لا من باب التسمية.

إنتبهوا أيّها الأفاضل وفقكم الله تعالى.

كذلك الله تبارك وتعالى وصف نفسه بالكلام، فنقول: الله تعالى متكلّم؛ لا على أن متكلماً اسم من أسمائه الحسنى، لا. وإنما من باب الإخبار عن الله تعالى بأنه متكلم. فنخبر به – هذا الاسم – نخبر به عن الله تعالى ولا نسمي الله تبارك وتعالى به لأنه ليس من الأسماء الحسنى.

كذلك الصانع، وكثيراً ما يستعمل علماء الكلام لفظ الصانع بدل اسم الله تعالى الخالق، فيقولون: الله صانع هذا الكون؛ يريدون به أن الله تعالى هو خالقه سبحانه وتعالى.

كذلك القديم، يخبَر عن الله تعالى بأنه قديم، لكن القديم ليس من أسماء الله الحسنى، بل الاسم الذى دل على معنى أكمل عن معنى القديم هو اسم " الأول " الذى سمى الله تبارك وتعالى به نفسه في قوله **{ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ }** والذي سماه به رسوله ﷺ في قوله لربّه **" أنت الأول فليس قبلك شيء. "**

إذن؛ هذه الأسماء أقول لا بد أن الأسماء الحسنى لابد أن تكون توقيفية، أما باب الإخبار فقد قلت للأفاضل يُتسامح فيه ويُتوسع فيه بما لا يُتسامح في باب الأسماء الحسنى، لأن باب الأسماء الحسنى كما مر معنا سابقا باب توقيفيّ، أما في الإخبار فإذا صح المعنى جاز الإخبار به عن الله تبارك وتعالى كالأمثلة التي ضربتها للإخوة الأفاضل وفقهم الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى **" ويفرق بين دعائه سبحانه والإخبار عنه؛ فلا يدعى الا بالأسماء الحسنى وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيء، لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيء وإن لم يحكم بحسنه، مثل اسم: شيء وذات، وموجود إذ أريد به الثابت، وأما إذا أريد به الموجود عند الشدائد فهو من الأسماء الحسنى، وكذلك المريد والمتكلم، فإن الإرادة والكلام تنقسم الى محمود ومذموم فليس ذلك من الأسماء الحسنى بخلاف الحكيم والرحيم ونحو ذلك، فإن ذلك لا يكون إلا محمودا."**

وقال في موضع آخر -رحمه الله- يقول " فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى كما قال **{ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا }** وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال ليس هو بقديم ولا موجود، يعني لو قال المخالف ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك، فنقول في تحقيق الإثبات بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، واذا قيل ليس بشيء، نقول بل هو شيء، فهذا سائغ وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل يا شيء، إذ كان هذا لفظا يعم كل موجود، وكذلك لفظ ذات وموجود ونحو ذلك.. إلا إذا سمى بالموجود الذي يجده من طلبه كقول الله تعالى **{ وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ }** فهذا أخص من الموجود الذي يعم الخالق والمخلوق "

ومراد الشيخ رحمه الله تعالى، هذا التقييد، مراده هذا التقييد وليس مراده الإطلاق، فلا يسمى الله تبارك وتعالى بالموجود على سبيل الاطلاق، وإنما يخبر عنه تبارك وتعالى بذلك لأن ما يطلق عليه سبحانه وتعالى في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه في باب الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيا فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه تعالى هل يجوز أن يخبر عن الله تبارك وتعالى بغير أسمائه الحسنى التي سمى بها نفسه، قلنا بأن باب الإخبار عنه جل وعلا أوسع من باب التسمية؛ فإنه يخبر عنه بأنه شيء وموجود ومعلوم ومرادٌ ولا يسمى بذلك.

فتبين أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء وأن باب الإخبار عن الله تبارك وتعالى أوسع من البابين، من باب الأسماء ومن باب الصفات، لكن لا يخبر عن الله تبارك وتعالى إلا بمعنى حسن سليم.

ويخبر عنه تبارك وتعالى في مقابل الرد على أهل البدع؛ فلو نفوا عن الله تعالى كما تقدم لو قالوا ليس موجودا، نقول بل هو موجود، ليس ذاتا، بل هو ذات، ليس شيئا، بل هو شيء، ونحو ذلك.. فهو إخبار عن الله تبارك وتعالى نقتصر فيه على الحاجة تفهيم الناس، تيسير التعبير عن المعنى، إثبات معنى ينفيه أهل البدع، ذكرُ معنىً لنفي ما نسبوه لله تعالى من العيوب والنقائص..

ولا يتوسع في هذا الأمر لأنه خلاف الأصل؛ فيجوز الأخبار عن الله تعالى كما قلنا باسم حسن أو باسم ليس بسيء، فلا يكون ما يخبر به عن الله تعالى سيئاً.

ومر معنا في كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أنه لا يجوز دعاء الله تعالى بالمُخبَر به عنه؛ فلا يقال يا شيء، ويا موجود، ونحو ذلك..

فلا يدعى الله تبارك وتعالى إلا بأسمائه الحسنى كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى في قوله سبحانه **{ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ}.**

هذا ما يتعلق بالقاعدة الأولى التي أردت ذكرها في هذه المحاضرة.

وأتعرض الآن لقاعدة أخرى مر معنا معناها سابقا ونحن نتكلم عن أسماء الله تعالى وناسب أن نُفصِّل فيها هنا ونحن نتكلم عن صفات الله تبارك وتعالى.

هذه القاعدة ذكرها أهل السنة تحت عنوان: **إتفاق المسمَّيَيْنِ ليس هو التمثيلَ المنفيّ.**

مر معنا في المحاضرة الماضية أن ربنا تبارك وتعالى أخبر عن نفسه سبحانه أنه ليس كمثله شيء، وقلنا ليست الصفة هي المنفية وإنما المنفي هو المماثلة.

وهنا نتعرض لأمر أخر؛ هل اتفاق المسميين هو التمثيل المنفي؟

الجواب : لا.

ماهو التمثيل الذى يجب أن ينفى عن الله تبارك وتعالى؟

قلنا: إنها المماثلة التي تكون في الصفات أو في الأسماء أو في الأفعال أو في الذات، لأن الله تبارك وتعالى كما نص أهل العلم في تفسير هذه الآية: ليس كمثله شيء في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله.

وسبق ان أخبرت الإخوة الأفاضل أن لفظ التشبيه من الألفاظ المشتركة، وقلت في محاضرة مضت: ما من موجودين إلا ويجتمعان في شيء ويفترقان في شيء فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه آخر.

وأشرت إلى المعنى الكليّ الذي يوجد في الأذهان لا في الأعيان وتشترك فيه الأشياء، وقلت بأن النصوص الشرعية لم تنفِ ما في الأذهان؛ فإذا سمعت صفة (يَد) هكذا مطلقة دون أن تكون مضافة فإن المعنى الذي في ذهنك لليد يحتاج أن يضاف إلى شيء حتى يتبين المراد به.

فقلت بأن المعنى الكلي الذي تشترك فيه الأشياء يوجد في الأذهان لا في الأعيان.

وذكرت أمورا ثلاثة: قلت عندما كنا نتكلم عن الاسم - وهنا نتكلم عن الصفة وأمثل بالصفة - فإذا قلت الرحمة هكذا؛ فهذه صفة لكنها أطلقت فهي في الأذهان شيء، فإذا أضيفت إلى الخالق فإن الرحمة تناسب كماله سبحانه وتعالى، وإذا أضيفت إلى المخلوق فإن الرحمة تناسب ضعفه وعجزه.

ومن هنا قلت للأحبة وفقهم الله تعالى: إن الرحمة المضافة إلى الخالق لا تماثل الرحمة المضافة إلى المخلوق. وهذا معنى نفي المماثلة؛ فاسم الصفة رحمة ووجدت في الأذهان بهذا الاسم، لكن النصوص الشرعية لم تنفِ ما في الأذهان، ولم تقل إن هذا المعنى الكلي الذي يكون في الأذهان هو التشبيه والتمثيل الذي يجب نفيه، بل **الذي يجب أن ينفى هو ما يستلزم اشتراك الشيئين في ما يخص كل واحد منهما.**

فليس هناك التقاء بين رحمة الخالق وبين رحمة المخلوق إلا في الاسم فقط.

وهذا الاسم كما قلت يوجد في الأذهان لا في الأعيان، لأن هذه الصفة إذا أضيفت فإنها تكون وفق ما أضيفت له؛ تكون مناسبة لمن أضيفت له؛ فإذا أضيفت إلى الخالق فإنها تناسب الربّ تبارك وتعالى الإله المعبود بحق المتصف بصفات الكمال.

وإذا أضيفت إلى المخلوق فإنها تناسب العبد الضعيف الناقص العاجز المتصف بصفات النقص.

فشتان بين ما أضيف الى الخالق وما أضيف الى المخلوق.

لذلك يقول العلماء: ما يجب لله تعالى أو يمتنع عليه لا يجوز أن يشركه فيه مخلوق، بل ولا في شيء من خصائصه جلا وعلا.

إذن، التشبيه الممتنع إنما هو مشابهة الخالق للمخلوق في شيء من خصائص المخلوق أو أن يماثله في شيء - يعني المخلوق أن يماثل الخالق بشيء من صفاته -؛ فإن الرب تبارك وتعالى منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق أو أن يكون له مماثل في شيء من صفات كماله.

أما اتفاق المسميين فلا يقتضي التماثل مطلقا؛ الوجود: الله تبارك وتعالى موجود والمخلوقات موجودة. هل يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا؟ هل يلزم أن يكون وجود الخالق مثل وجود المخلوق ؟

الجواب : لا، بل وجود كلٌ يخصه، وجود الخالق يخصه، ووجود المخلوق يخصه. واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص ولافي غير ذلك.

فلا يقول عاقل إذا قيل إن العرش شيء موجود وإن البعوضة شيء موجود أن هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود. مع أن العرش مخلوق والبعوضة مخلوق لكن ليس هناك تماثل في خصائص هذا المخلوق ولا في خصائص هذا المخلوق، وإن كان هناك اتفاق في مسمى الشيء والوجود.

إذن، **الذهن فيه معنىً مشترك كلي يقال له الاسم المطلق**؛ فإذا قيل: هذا موجود وهذا موجود، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره مع أن الاسم حقيقة في كل منهما؛ وجود مخلوقين يشتركان في كونهما كل واحد منهما مخلوق وموجود لا يقتضي اشتراكهما في نفس الوجود أو في نفس الخلق في الخارج.

فالاشتراك في المعنى الكلي للوجود والخلق بين هذين المخلوقين اشتراك ذهني لا عيني، يمتنع أن يشترك مخلوقان في شيء موجود في الخارج بل كل موجود في الخارج فإنه مختص بذاته وصفاته القائمة به لا يشاركه غيره فيها البتة.

عندما نتكلم عن رجلين كل واحد منهما مخلوق، هذا إنسان مخلوق وهذا إنسان مخلوق، فهذا الإنسان شارك الإنسان الآخر في الإنسانية وشارك الانسان الآخر في كون كل واحد منهما مخلوق؛ فوقع التشابه في ذلك المعنى، وإلا فنفس الإنسانية التي لزيد لا يشاركه فيها عمرو وإنما يشتركان في نوع الإنسانية المطلقة لا في الإنسانية القائمة بكل واحد منهما، فلكل واحد منهما وجود يخصه. هذه الإنسانية المطلقة التي اشترك فيها إنسانان كما قلت في المحاضرة السابقة هي في الأذهان لا في الأعيان، ويَمتنع أن تكون في الأعيان؛ فهذا المخلوق الذي اشترك مع مخلوق مثله في مسمىً ما لم يشترك معه إلا في المعنى الكلي المطلق الذي يوجد في الأذهان فقط، وامتنع أن يكون الاشتراك في الأعيان مع أنه قد يشابهه، قد يساميه، قد يكافئه، هذا بين مخلوق ومخلوق اشتركا في اسم ولكل واحد منهما ما يخصه،

فما بالك بالخالق جل وعلا ؟.

الذي ليس كمثله شيء والذي ليس له كفوا أحد ولا مثيل له ولا سمي له سبحانه وتعالى.

فعُلم إذن أن مطلق الموافقة في بعض الأسماء والصفات ليس نوعا من المشابهة تكون مقتضية للتماثل والتكافؤ، بل كل موجودين لابد أن يتفقا في بعض الأسماء وفي بعض الصفات، ويكون الاشتباه بينهما من هذا الوجه؛ من قضية التسمية لا من قضية الحقيقة.

فمن نفى ما لا بد منه كان معطلا ومن جعل شيء من صفات الله مماثلا لشيء من صفات المخلوق كان ممثلا، والحق هو نفي التمثيل و نفي التعطيل، فلابد من إثبات صفات الكمال المستلزمة نفي التعطيل ولابد من إثبات اختصاص الله تبارك وتعالى بما يليق به على وجه ينفي التمثيل.

أقول: هذا الكلام ربما يحتاج إلى أمثلة لفهمه.

أضرب لكم مثالا: الله جل وعلا سمى نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، فاذا أضيفت هذه الأسماء إلى أو هذه الصفات إليه تكون مختصة به لا يشركه فيها غيره؛ إذا أضيفت إليه كما نقول في هذه المحاضرة وفي محاضرات سبقت، كل ما أُضيف إليه تبارك وتعالى فانه يليق به لا يماثله شيء من المخلوقات فيما اضيف له سبحانه وتعالى، وكذلك سمى الله تعالى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم ووصفهم بصفات أيضا مختصة بهم تضاف إليهم توافق في المسمى تلك الأسماء التي سمى بها نفسه وتوافق في المسمى تلك الصفات التي وصف بها نفسه. فالآن الموافقة في أي شيء ؟

في المسمى.

وقلت هذا يكون في الأذهان لا يكون في الأعيان، فاذا قطع عن الإضافة والتخصيص فهي موافقة في المسمى؛ مثال ذلك؛ الله تعالى سمى نفسه حيا فقال سبحانه وتعالى **{ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }** وسمى بعض عباده حيا فقال سبحانه **{ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ }** هل هذا الحي مثل هذا الحي ؟

الجواب: لا، ليس هذا الحي مثل هذا الحي، لأن الحي في قوله **{ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }** اسم له جل وعلا مختص به، والحي في قوله **{ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ }** اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان كما قلت إذا أطلق الاسم وجرد عن التخصيص؛ لم يضف إلى الله ولا إلى المخلوق. وهذه قاعدة مطردة في كل الأسماء والصفات، ينبغي الانتباه إليها لأن من المبتدعة من ينكر أن يوصف الله تعالى بصفة محتجا بأن هذه الصفة قد وُصف بها المخلوق فيقولون: لله يد، كيف يكون له يد والمخلوق له يد ؟ فلو أثبتنا له يدا جعلناها مشابهة ليد المخلوق.

واضح ؟

فالقضية إذن قضية اشتراك في المسمى، وهذا الاشتراك كما قلت لكم يكون في الأذهان ولا يكون في الأعيان.

فتبين لنا الآن أن الصفات وكذلك الأسماء لها ثلاث اعتبارات:

- **إما أن تكون مضافة إلى الرب تبارك وتعالى**؛ فإذا أضيفت إليه جل وعلا فإنها تضاف إليه على ما يليق به لا على ما يليق بالمخلوق؛ لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يوصف بصفة ما على ما يليق بالمخلوق لأن كل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص والله تعالى منزه عن كل نقص. هذا الاعتبار الأول أن تكون مضافة إلى الرب تبارك وتعالى.
- **الاعتبار الثاني أن تكون مضافة إلى العبد** فإذا أضيفت إلى العبد فإنها تضاف إليه على ما يليق بالعبد المخلوق ناقصة، هل تشبه صفات الرب ؟
الجواب: لا، لأن الله تعالى منزه عن كل نقص، وصفات المخلوق صفات نقص فالله تعالى منزه عن أن يتصف بصفة تليق بمخلوق.
- **الاعتبار الثالث أن تكون مطلقة لا تختص بالرب ولا بالعبد** فهذا هو المعنى الذي قلته للأفاضل؛ المعنى الكلي الذي لا وجود له في الخارج وإنما يقدره الذهن، فلو قيل حياة الله؛ صفة من صفات الله، علم الله، قدرة الله، كلام الله ونحو ذلك.. فهذه كلها صفات تليق بالله تعالى، ولو قيل حياة المخلوق وعلم المخلوق وقدرة المخلوق وكلام المخلوق فهذه صفات تليق بالمخلوق، هل تماثل صفات الخالق صفات المخلوق؟
الجواب لا، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء مع أن الاشتراك وقع في أي شيء ؟ انتبهنا ؟ وقع في المسمى حياة حياة، علم_علم، قدرة_قدرة، كلام_كلام، لكنها هذا الاشتراك في الذهن لا في العين لا في الخارج، أما في الخارج فإنما يكون مضافا فإذا أضيف الى الخالق فإنه مختص به تبارك وتعالى وبكماله، وإذا أضيف الى المخلوق فإنه مختص بالمخلوق يناسب ضعفه ويناسب عجزه؛ فاذا قيل علم العبد وقدرة العبد وكلام العبد فهذا كله مخلوق لا يماثل صفات الرب تبارك وتعالى.
أما إذا قلنا علمٌ، قدرةٌ، كلامٌ.. فهذا **مجمل مطلق** لا يقال عليه إنه مخلوق ولا يقال إنه غير مخلوق. أليس كذلك ؟ فهذا موجود في الذهن، ما اتصف به الرب من ذلك فهو صفة تليق به سبحانه، وما اتصف به العبد من ذلك فهو صفة تليق بالعبد.
فإن كان الموصوف هو الخالق فصفاته تليق به؛ غير مخلوقة.
وإن كان الموصوف هو العبد المخلوق فصفاته تليق به وهي مخلوقة.

فالقدر المشترك مطلق كليّ، لا يختص بأحدهما دون الآخر، فباطلاقه لا يقع الاشتراك فيما يختص به كل منهما، فإن ما يختص به أحدهما يمنع اشتراكهما فيه.

ولقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى النفَس في استخراج آيات كثيرة من كتاب الله تعالى دالّةٍ على أن الله تعالى سمى نفسه بأسماء وسمى بعض مخلوقاته بتلك الأسماء نفسها (نفس المسمّى) وسمى صفاته بأسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك، ومع ذلك بيَّن أنه لا تماثل بين أسماء الله وبين أسماء خلقه، ولا بين صفات الله وبين صفات خلقه، فلكُلٍّ ما يخصه ويناسبه، فتسمية الله تعالى نفسه: حيّاً ،حليما، سميعا، بصيرا، رؤوفا، رحيما ،مؤمنا، عزيزا ،جبارا، متكبرا ونحوِها ليست كتسمية بعض عباده بهذه الأسماء، فليس الحي الخالق كالحي المخلوق وليس الحليم الخالق كالحليم المخلوق وهكذا، بل لكل ما يخصُّه.

وكذلك وصف نفسه تبارك وتعالى بالعلم والقوة والارادة والمحبة والرضا والمقيت والغضب والمناداة والمناجاة والتكليم والتعليم والاستواء وبسط اليدين والإعطاء، وليست كوصف بعض خلقه بهذه الصفات.

فليست مناداة الله تعالى كمناداة المخلوق، ولا مناجاته كمناجاة المخلوق ولا يديه كيد المخلوق.

فما يختص به الخالق تبارك وتعالى فهو من خصائصه، وما يختص به المخلوق فهو من خصائص المخلوق، والله تعالى منزه على أن يوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوق كما قلت لكم- قبل قليل- إذ كل ما اختص بالمخلوق او كان من لوازم خصائصه فهو صفة نقص والله جل وعلا منزّه عن كل نقص.

فلابد كما قلنا في أول محاضرة من **التنزيه والإثبات** لابد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ومن نفي مماثلته لخلقه، فمن قال أن علم الله كعلمي أو قدرة الله كقدرتي أو كلامه ككلامي أو إرادته او محبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضبي، أو استواء الله كاستوائي او نزوله كنزولي او إتيانه كإتياني فهذا قد شَبَّه الله ومثّله بخلقه تعالى الله تعالى عما يقولون. وهو ضالٌّ، خبيثٌ، مبطلٌ، بل حَكَم العلماء على هذا القول بالكفر **" من شبه الله بخلقه قد كفر "** كما قال نُعيم بن حمَّاد رحمه الله تعالى.

ومن نفى وصف الله تعالى بما وصف به نفسه، من قال أن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ولا مشيئة ولا سمع ولا بصر ولا محبة ولا رضا ولا غضب ولا استواء ولا إتيان ولا نزول، فقد عطَّل الرب تبارك وتعالى عن صفاته العُلى وألحد في أسماء الله تعالى وآياته. وهو ضالٌّ خبيثٌ مبطلٌ كما قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى **" من أنكر أن الله تعالى في السماء فقد كفر "** فكفَّر صاحب المقالة أو كفَّر هذه المقالة؛ اعتبر هذه المقالة كفراً.

فمذهب الأئمة والسلف: **إثبات الصفات ونفي التشبيه بالمخلوقات**، **<u>إثباتٌ بلا تشبيهٍ وتنزيهٌ بلا تعطيلٍ</u>**، فلابد من إثبات بلا تمثيل ولابد من تنزيه بلا تعطيل.

فليس في اتفاق المُسمّيات تشبيه لله بخلقه ولا تمثيل لصفاته بصفاتهم.

أقول: هذا هو الأصل الذي أردتُ بيانه في هذه المحاضرة مع الأصل السابق، وقد ضلَّت في فهمه كل الطوائف وكل الفرق المنحرفة عن معتقد السلف رحمهم الله في باب الصفات.

وقد بيَّن كما قلت شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى هذه الحقيقة التي هي قاعدة تكلمنا عنها وهي أن **" اتفاق المسمَّيات في القدر المشترك لا يستلزم التشبيه "**

بيَّن هذه الحقيقة في أصليْن شريفيْن وفي مَثليْن مضروبيْن هما الأصلان والمثلان، وسيكون الكلام عن الأصليْن والمثليْن في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى .

اكتفي بما قلت في هذه المحاضرة

وأصلي وأسلم على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

المحاضرة الثالثة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فحياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة الثالثة عشر من مادة الأسماء والصفات.

والكلام في هذه المحاضرة تكملة لما تكلمت عنه في المحاضرة الماضية من أن اتفاق المسميات ليس هو التمثيل المنفي في باب الصفات؛ فالمسميات تتماثل لكن الحي كما قلت في المحاضرة الماضية ليس هو الحي، والعليم ليس هو العليم وكذلك بقية الأسماء وسائر الصفات.

فليس في اتفاق المسميات تشبيه لله بخلقه ولا تمثيل لصفاته بصفاتهم، وقد قلت للأفاضل في الدرس الماضي أن هذا هو الاصل الذي ضلت في فهمه كل الطوائف والفرق المنحرفة عن معتقد السلف في باب الصفات.

وقلت بأن شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله بين هذه الحقيقة؛ وهي أن اتفاق المسميات في القدر المشترك لا يستلزم التشبيه، **بيّن هذه الحقيقة في أصلين وفي مثلين.**

أما الاصلان

- فالأصل الأول: القول في الصفات كالقول في الذات.
- والأصل الثاني: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

وقد تكلم عن هذين الأصلين في سائر كتبه وتكلم في كتابه التدمرية بكلام أكثر مما تكلم عنهما في بقية الكتب.

وهذان الأصلان الغرض من إيرادهما إقامة الحجة على المخالف من مذهبه؛ فكأنك تقول للمخالف من فيك أُدينك بما فيك.

أما الأصل الأول؛ وهو القول في الصفات كالقول في الذات، فيخاطب به من يدخل ذات بلا صفات وهم الجهمية والمعتزلة؛ فمن الأصول التي يرد بها على منكري الصفات: القول في الصفات كالقول في الذات، فالله تبارك وتعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** كما أخبر عن نفسه سبحانه، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كانت له ذاتٌ حقيقة لا تماثل الذوات فكذلك الصفات التي اتصفت بها هذه الذاتُ صفاتٌ حقيقيةٌ لا تماثل صفات سائر الذوات.

هذا معنى هذا الأصل باختصار؛ الله تبارك وتعالى له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، كذلك الصفات التي اتصفت بها هذه الذات صفات حقيقية لا تماثل صفات سائر الذوات. وقد قلتُ: يُرَدّ بهذا الأصل على من أثبت ذاتاً بلا صفات، لأن أولئك عندما أثبتوا الذّات قالوا نثبتها على أنها ذاتٌ لائقة بالله تبارك وتعالى لا تماثل الذوات التي للمخلوقين لأن المخلوقين لهم ذوات، فقال لهم شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الأصل الذي ضربه لهم: إن قلتم هذا في ذاته، فلم لا تقولونه في صفاته ؟ فالقول في الصفات كالقول في الذات.

معلوم أيها الأفاضل أن الذاتين المختلفتين؛ إذا قالوا: الله تبارك وتعالى له ذات تليق به لا تماثل ذوات مخلوقاته، فمعلوم أن الذاتين المختلفتين يمتنع تماثل صفاتهما وأفعالهما، ما السبب ؟

لأن تماثل الصفات والافعال يستلزم تماثل الذوات، لأن صفة الموصوف تابعة للموصوف بها، وكذلك الفعل تابع الفاعل بل هو مما يوصف به الفاعل، فإذا كانت ذات الموصوف لا تماثل سائر الذوات كما قال من عطل الصفات فكذلك صفات هذه الذات لا تماثل صفات سائر الذوات.

يقول ابن تيمية رحمه الله موضحا هذا المعنى **" فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة الى موصوفها .**

فعلم الله وكلامه ونزوله واستوائه هو كما يناسب ذاته ويليق بها، كما أن صفة العبد كما يناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته الى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته، ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل كيف ينزل أو كيف استوى أو كيف يعلم أو كيف يتكلم ويقدر و يخلق ؟ فقل لهم: كيف هو في نفسه ؟

فإذا قال أنا لا أعلم كيفية ذاته، فقل له: وأنا لا اعلم كيفية صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف. "

وأعود بالأفاضل وفقهم الله تعالى إلى المحاضرة الماضية عندما تكلمت عن الاعتبارات الثلاث التي نتكلم فيها عن الصفات عند إطلاقها أو عند اضافتها، فقلت إما أن يكون مسمى الاسم أو مسمى الصفة مطلقا أو أنه يضاف الى الخالق أو أنه يضاف إلى المخلوق، وقلت للأفاضل عند إطلاقه وعدم إضافته لا يتصور وجوده في الأعيان بل هو في الأذهان.

لكن عند إضافته؛ فإذا أضيف الى الخالق تبارك وتعالى فإنه يناسب الخالق المتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل نقص، وإذا أضيف إلى المخلوق فإنه يناسب المخلوق الضعيف العاجز الموصوف بالنقص.

لذلك لكلٍّ ما يناسبه عند الإضافة، ومن هنا كما قال شيخ الإسلام كما قرات عليكم في العبارة الماضية **" فعلم الله وكلامه ونزوله واستوائه هو كما يناسب ذاته ويليق بها كما أن صفة العبد كما يناسب ذاته وتليق بها "**، لذلك – قال - **" نسبة صفاته تعالى إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته."**

فإذا أضيفت الصفات الى الرب تبارك وتعالى فهي الصفات الكاملة اللائقة به، وإذا أضيفت الصفات الى العبد المخلوق الضعيف العاجز، فهي الصفات الناقصة التي تليق به.

ومن هنا عندما أثبت المخالف ذاتا لله تعالى وقال لا تشبه الذوات، نقول له كما قال ابن تيمية: لماذا لا تفعل هذا في صفاته؟ وتقول إن صفات الله تبارك وتعالى التي أثبتها لنفسه هو سبحانه وأثبتها له رسوله ﷺ أعلم الناس به؛ لماذا لا تقول هذه الصفات التي في الكتاب والسنة تليق بالله تبارك وتعالى ولا تشبه صفات المخلوقين لأن القول في الصفات كالقول في الذات.

يقول شيخ الإسلام في موضع آخر**" فاذا قال السائل: كيف استوى على العرش ؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة) لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر و لا يمكنهم الإجابة عنه. "**

وكذلك إذا قال كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا ؟ قيل له كيف هو؟؛ - يعني كيف ذاته سبحانه وتعالى - فإذا قال أنا لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه وأنت لا تعلم كيفية ذاته ؟ وإذا كنت تقر بأن له ذاتاً حقيقية ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء؛ فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستوائه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواءهم.

فهذا هو أحد الأصلين الذين بنى عليهما شيخ الإسلام رحمه الله تعالى إثبات الحقيقة القائلة أن اتفاق المسميين ليس هو التشبيه - الأصل الذي تكلمنا عنه في المحاضرة الماضية - إتفاق المسمين ليس هو التشبيه أو ليس هو التمثيل.

فمن أقر أن لله تعالى ذاتاً حقيقية وأن للمخلوق ذاتاً حقيقية فقد تفطن الى القدر المشترك المطلق للفظ "ذات" ولكن عند الإضافة تكون على ما يليق بصاحبها، فكذلك الصفات نقول فيها ما قلنا في الذات؛ إذا أضيفت إلى الموصوف فهي على ما يليق به.

فهذا هو الأصل الأول أيها الأفاضل - وفقكم الله تعالى - الذى ذكره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وبنى عليه الحقيقة القائلة أن اتفاق المسميين ليس هو التمثيل المنفي في قول الله تعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }.**

بارك الله فيكم.

أما الأصل الثاني: فالأصل الثاني القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

هذا الأصل يخاطَب به من أثبت لله تعالى بعض الصفات ونفى عنه بقية الصفات؛ وهم الأشعرية والماتريدية، فيقال لهم: القول في الصفات كالقول في بعضها الآخر.

فمن اقر ببعض الصفات لله تعالى وأثبتها على الحقيقة؛ وقد ذكرت للأفاضل في محاضرة ماضية أن الأشعرية أثبتوا سبع صفات لله تعالى، قالوا: إن عقولنا قد دلتنا على إثباتها، وأطلقوا عليها اسم **صفات المعاني**؛ قالوا: هذه صفات دلت العقول على إثباتها. وذكرت للأفاضل أن هذه الصفات هي: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة؛ فهذه سبع صفات أثبتوها لله تعالى وقالوا هي صفات حقيقية تليق بالله تبارك وتعالى.

فهؤلاء أقروا بهذه الصفات وعمدوا إلى بقية الصفات وأوَّلوها محتجين بحجة من الحجج التي عندهم - وهي كثيرة -؛ إما حجة التشبيه أو حجة الجسم أو حجة التحيّز ونحوها من الحجج..

فيقال لهم **القول في ما أوّلتم كالقول في ما أثبتّم على الحقيقة**، إذ لا فرق بين ما أثبتّموه وبين ما أولتموه، فهذه صفات الله تعالى، الذي أثبتموه حقيقة الله تبارك وتعالى وصف به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله ﷺ في سنته. والذي أوّلتموه أو حرفتم معناه، كذلك الله تبارك وتعالى وصف نفسه به في كتابه ووصفه به أعلم الخلق به رسوله ﷺ في سنته. فلا فرق بين ما أثبتم وبين ما حرفتم معناه؛ أنتم تقولون الله حي بحياة- عليم بعلم- قدير بقدرة- سميع بسمع- بصير ببصر- متكلم بكلام- مريد بإرادة.. وتجعلون هذا كله حقيقة وتنازعون في بقية صفاته: فتنازعون في محبته، مع أن الله تبارك وتعالى يقول **{ يحبهم ويحبونه } { فسوف يأتِ الله بقوم يحبهم ويحبونه }** فأثبت لنفسه محبة. تنازعون في رضاه تبارك وتعالى، والله

تعالى يقول **{ لقد رضي الله عن المؤمنين }**. تنازعون في غضبه وهو يقول **{ وغضب الله عليهم }**. تنازعون في كراهيته وهو يقول **{ كره الله انبعاثهم }**.

إذن، آيات في كتاب الله تعالى أثبت الله تبارك وتعالى فيها الصفات هذه لنفسه، فجعلتهم هذا مجازا أو فسرتموه بالإرادة التي زعمتم أن عقولكم دلت عليها، أو فسرتموه ببعض مخلوقات من النعم والعقوبات.

فهذا تناقض لأنه لا فرق بين ما نفيتم وبين ما أثبتتم، فالقول في أحدهما كالقول في الآخر. هذه الإرادة التي أثبتموها لله تعالى؛ هل هي إرادة مثل إرادة المخلوقين ؟ ماذا سيقولون ؟

سيقولون : لا هذه إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به، فنقول لهم قولوا كذلك في بقية صفاته ، قولوا له محبة تليق به كما أن للمخلوق محبة تليق به، قولوا له رضى يليق به ، كما أن للمخلوق رضى يليق به ، له غضب يليق به كما للمخلوق غضبا يليق به، لماذا فرقتم بين هذه الصفات والصفات الأخرى قالوا لأن الغضب غليان الدم؛ دم القلب يغلي لطلب الانتقام، فيقال لهم: كذلك الإرادة ميل النفس، إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فيقولون: هذه إرادة المخلوق، نقول لهم: وكذلك الذي قلتموه هذا غضب المخلوق، والله تبارك وتعالى يغضب لا كغضب أحد من الورى سبحانه وتعالى، لأنه ليس كمثله شيء، فغضبه يليق به فليس كغضب المخلوق كما أن إرادته تليق به ليست إرادة المخلوق، وهذا يلزم في سائر صفاته؛ في سمعه، في بصره، في علمه في قدرته في كلامه، فإن نفى عنه الغضب والمحبة، والرضى ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين كما زعموا، فهذا أيضا منتفٍ عن السمع والبصر والكلام، وجميع الصفات التي أثبتموها، فإن قالوا لا حقيقة لهذا إلا بما يختص بالمخلوقين، فيجب نفيه عنه نقول لهم وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة ، فلماذا التفريق؟

فهذا الذي فرق بين بعض الصفات وبين بعضها الآخر يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته، إذا قال المعتزلي للأشعري: ليس لله إرادة ولا كلام قائم به، أليس هذا معتقد المعتزلة ؟

المعتزلة تقول الصفات لا تقوم بالذات ، لأنها لو قامت بالله تبارك وتعالى لأدى الأمر إلى التعدد ، وهذا ينافي أصلهم الأول ، احد أصولهم الخمسة ، التوحيد .

يقولون الصفات لا تقوم بالله تبارك و تعالى ولا تقوم إلا بالمخلوقات، فهو يرد على المعتزلي، ويقول هذه الصفات يتصف بها الله، ولا تكون كصفات المخلوقات، فهكذا يقول له المثبتون لسائر الصفات، من المحبة والرضى والغضب وغير ذلك من الصفات؛ يقولون له: لماذا لا تجعل القاعدة واحدةً في جميع الصفات، فالقول في جميع الصفات قول واحد؛ فلا فرق بين ما نفيت وبين ما أثبتت. فالقول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

هذا هو الأصل الثاني من الأصلين الذين بنى عليهما شيخ الإسلام رحمه الله تعالى إثبات الحقيقة التي نصّت على أن اتفاق المسميين ليس هو التمثيل المنفي عن الله تبارك وتعالى.

هذه المسألة التي بدأت الحديث عنها في المحاضرة الماضية.

فمن أقر بأن لله تعالى بعض الصفات وأثبتها على الحقيقة متفطّنا للقدر المشترك المطلق للفظ صفة، وجاعلا الصفة عند إضافتها على ما يليق بمن أضيفت إليه، فإن نفى الصفات الباقية أو أولها نقول له لا

فرق بين ما نفيته أو أولته وبين ما أثبته ، فهذه صفة لله ، وهذه صفة لله ، فكما اثبت هذه الصفات و قلت اثبتها لله على ما يليق به، كذلك أثبت باقي الصفات لله تبارك وتعالى و قل على " ما يليق بالله تعالى ".

هذا هو الأصل الثاني كما قلت للأفاضل من الأصول التي ذكرها شيخ الاسلام يبني عليهما إثبات الحقيقة التي نصت على أن اتفاق المسميين ليس هو التمثيل المنفي ، في قوله تعالى **{ ليس كمثله شيء }**. هذا الأصل الثاني .

وبقي عندنا المثلان؛ المثلان المضروبان المثل الاول: نعيم الجنة و المثل الثاني: الروح .

- **أما المثل الأول** : وهو نعيم الجنة فهذا مثل خاص بالأسماء، و شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ضرب نعيم الجنة مثلا للدلالة على أن اتفاق الأسماء في القدر المشترك لا يستلزم التمثيل والتشبيه؛ فنعيم الجنة مثل مضروب لبيان أن اتفاق الاسماء لا يستلزم التشبيه والتمثيل، وهو مثل خاص بالأسماء كما قلت للأفاضل وفقهم الله تعالى .

مضمون هذا المثل؛ نعيم الجنة: الله تبارك وتعالى أخبرنا عما أعد لعباده الصالحين في الجنة، من أصناف المطاعم والمشارب و المناكح والمساكن، فأخبرنا أن فيها لبنا وعسلا وخمرا وماء ولحما وفاكهة وحريرا وذهبا، وفضة وحورا، وقصورا... هذه كلها أسماء لمخلوقات أعدها الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما **" ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء "** . إذن؛ في أي شيء التشابه ؟ في التسمية ، في الدنيا لبن لكنه ليس كلبن الآخرة، مع أنه هذا الذي في الدنيا مخلوق والذي في الاخرة مخلوق،

في الدنيا عسل، لكنه ليس كالعسل الذي في الآخرة ، مع أن هذا الذي في الدنيا مخلوق والذي في الآخرة مخلوق، أيضا لحم فاكهة ، حرير ، ذهب ، فضة ، قصور ، الى آخر المخلوقات التي أعدها الله تبارك تعالى من أصناف النعيم لعباده الصالحين في الآخرة لكنها لا تتفق مع المخلوقات الموجودات في الدنيا إلا في التسمية فقط، أما في حقيقتها فإنها مختلفة تماما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما **" ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء "**.هذا الأثر عن ابن عباس رواه بسنده ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره في جامع البيان.

فالآن اختلاف بين المسميات وهي مخلوقة، رغم الاتفاق في الأسماء، لكن الحقيقة تختلف.

فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله تبارك وتعالى عنها موافقة في الأسماء فقط للحقائق الموجودة في الدنيا وليست مماثلة لها، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى؛ مخلوق مع مخلوق مختلفٌ تماما في الحقيقة، مع أن الاسم واحد أو المسمى واحد، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** سبحانه وتعالى؛ فأسماءه، صفاته.. ليس كمثلها شيء؛ ليس كمثلها شيء. فالخالق سبحانه أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق.

ومباينته لمخلوقاته تبارك وتعالى أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا (مخلوقات الآخرة لمخلوقات الدنيا).

قلنا: ليس بينهم إلا الأسماء؛ إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم، فعندما نقول إنسان إنسان؛ أمامكم في الدنيا؛ هذا إنسان هذا إنسان وهذا إنسان هذا طير من أقرب للآخر ؟ الإنسان إلى الإنسان أو الإنسان إلى الطير ؟ فهذا مخلوق مع مخلوق، فالمخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في

الاسم من الخالق إلى المخلوق، وهذا أمر بيّن واضح ، فإذا كانت المخلوقات في الجنّة توافق المخلوقات في الدنيا في الأسماء لكنّها لا توافقها في الحقائق، فالحقائق ليست كمثل الحقائق فكيف يكون الخالق المتصّف بصفات الكمال المنزّه عن كلّ نقص وعيب مثل المخلوق الضعيف المتصّف بالنقص الذي يصيبه المرض ويصيبه الألم وتصيبه البلوى وتعتريه النقائص ؟ فكيف نجعل المخلوق كالخالق ؟ أو نجعل الخالق كالمخلوق عند الموافقة في الاسم ؟ هذا أيضا مثل ضربه شيخ الإسلام يريد أن يدلل به على أنّ اتفاق المسميات ليس هو التمثيل المنفي في قول الله تعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }.**

هذا هو المثل الأوّل.

- **المثل الثاني** هو الروح: وهذا المثل كما قال العلماء خاص بالصفات، وهذا المثل كما قلت في المثل الأوّل ضرب شيخ الإسلام الروح مثلا يدلل به على أنّ الاتفاق في اسم الصفة لا يستلزم التشبيه والتمثيل.

ومعنى هذا المثل أنّ هذه الروح التي توجد فينا والتي إذا فارقت البدن صارمن كانت فيه ميتا، وهي ممّا حارت فيه العقول **{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }** توصف بصفات متعددة، في حديث البراء بن العازب أنّ الملائكة يحملونها عندما تخرج من المؤمن تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء؛ تخرج بسهولة ويصعد بها. وصفت بصفات متعددة؛ من الوجود والحياة والقدرة والسمع والبصر والصعود والنزول وصفات أخرى كثيرة... وهي مخلوقة؛ روحٌ مخلوقة موصوفة بهذه الصفات ومع ذلك فالعقول قاصرة عن معرفة كيفيتها وعن تحديدها، لأنهم لم يشاهدوا لها نظيرا؛ الروح ما أحد رآها، لم يشاهدوا لها نظيرا.

فإذا كانت الروح المخلوقة موصوفة بهذه الصفات لا تماثل شيئا من المخلوقات؛ ما نستطيع أن نقيسها بشيء من المخلوقات، و كما قلت العقول عجزت عن معرفة كيفيتها وعجزت عن تحديدها؛ فالخالق تبارك وتعالى الذي **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** أولى بمباينته ومخالفته لمخلوقاته مع اتصافه بأسمائه وصفاته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعدما ذكر ولوج الروح في البدن وخروجها منه وقت الموت شيئا فشيئا " لا تفارقه كما يفارق الملك مدينته التي يدبرها " يقول رحمه الله **" والناس لما لم يشهدوا لها نظيرا** " لم يعرفوا لهذه الروح نظيرا فإذا كانت الروح المخلوقة هذه الموصوفة بهذه الصفات – ليس لها نظير؛ يقول شيخ الإسلام **" والناس لما لم يشهدوا لها نظيرا عسر عليهم التعبير عن حقيقتها "** لم يستطيعوا ان يعبروا عن حقيقتها **" وهذا تنبيه لهم على أن رب العالمين لم يعرفوا حقيقته ولا تصوروا كيفيته سبحانه وتعالى، وأن ما يضاف إليه من صفاته هو ما يليق به ﷻ. والصعود الذي توصف به الروح لا يماثل صعود المشهودات"** فالمشهودات التي نراها بأعيننا؛ هذه المخلوقات، إذا صعدت من مكان إلى مكانٍ فرغ منها المكان الأول – فارقت المكان الأول بالكلية – وحركتها إلى العلو حركة انتقال من مكان إلى مكانٍ، لكن حركة الروح بخروجها وعروجها ليس كذلك، فالآن هذه مخلوقات تتحرك وتنتقل من مكان إلى مكان نراها بأعيننا، والروح مخلوقة تتحرك وتعرج وتخرج وحركتها وعروجها وخروجها ليس كحركة المخلوقات التي نراها. فهذا مباينة؛ مفارقة؛ اختلاف.. فهذه المباينة بالنسبة لمخلوق مع مخلوق؛ فما بالك بالخالق جل وعلا مع المخلوق ؟.

فالرب تبارك وتعالى إذا وصف نفسه بالنزول أو الاستواء على العرش لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة؛ حتى يقال – كما قال من نفى الاستواء ونفى نزول الرب تبارك وتعالى – يقولون: هذا يستلزم تفريغ مكان وشغل مكان آخر.

فإذا كان الروح في صعودها وفي نزولها لا يلزم هذا فيها فكيف برب العالمين تبارك وتعالى ؟ الذي **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** والذي ليس كمخلوقاته.

الروح مخلوقة؛ الإنسان عندما ينام روحه تفارق بدنه لكنه يبقى فيه حياة وإن كان يوصف بالموت الأصغر؛ لأن النوم كما يعلم الأفاضل موت أصغر، تفارق الروح البدن لكنها ليست مفارقة بالكلية.

لذلك، إذا كان هذه الروح المخلوقة لا نستطيع أن نتصور كيفيتها ولا كيفية نزولها وصعودها فكيف برب العالمين تبارك وتعالى ؟

فإذا قلنا إنه ينزل سبحانه وتعالى كما أخبر رسوله ﷺ؛ كما أخبر أعلم الناس به؛ رسولنا ﷺ عن نزوله بأحاديث كثيرة في الصحيحين رواها جمع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فهل نقول: لا، النزول يستلزم كما قال من نفى النزول تفريغ مكان وشغل مكان آخر ؟

فإذا كان من نفى صفات الروح، الآن انفِ هذه الأشياء عن الروح، جاحدا ومعطلا لها، ومن مثلها بمن يشاهده من المخلوقات جاهلا ممثلا لها بغير شكلها، وهي مع ذلك ثابتة بحقيقة الإثبات ومستحقة لما لها من الصفات، فالخالق سبحانه وتعالى أولى أن يكون من نفى صفاته جاحداً معطّلاً، ومن قاسه به جاهلاً به ممثلاً.

وهو سبحانه وتعالى ثابت بحقيقة الإثبات مستحق لما له من الأسماء والصفات.

فلا يجوز نفي ما أثبته الله تعالى ورسوله ﷺ من الأسماء والصفات بحجة الاتفاق في المسميات.

واضح أيها الأفاضل ؟

هذا مراد شيخ الإسلام رحمه الله تعالى من إيراد الأصلين والمثلين؛ لا يجوز نفي ما أثبته الله تعالى وأثبته رسوله ﷺ من الأسماء والصفات بهذه الحجة، كما لا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات؛ الضلال الآخر الذي وقعت فيه الممثلة عندما لم يتصوروا من صفات الرب تبارك وتعالى إلا ما يرونه أمامهم من صفات المخلوقات.

فهذا لا يجوز وهذا لا يجوز، وهذا ضلال وهذا ضلال.

فالاتفاق في المسمى لا يلزم منه الاتفاق في الصفات أو الاتفاق في الأسماء.

الاتفاق في المسمى ليس هو التمثيل والتشبيه المنفي عن الله تبارك وتعالى، فإن ما ثبت لما لا نشاهده من المخلوقات من الأسماء والصفات كالروح؛ لها أسماء وصفات، ليس مماثلاً لما نشاهده منها، وهذا مخلوق و مخلوق؛ فكيف برب العالمين سبحانه وتعالى الذي هو أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق.

وكل مخلوقٍ فهو أشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق.

سبحان الله وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

فتبين أيها الأفاضل مما تقدم أن اشتراك المسميات والموصوفات في القدرِ المشترك في الأمر العام المطلق لا يستلزم التشبيه والتمثيل. وعلم بذلك أن إثبات صفات الكمال لله تبارك وتعالى على ما يليق به جل وعلا وفق منهج السلف رحمهم الله في الإثبات؛ **إثباتٌ بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل** ليس من التشبيه والتمثيل في شيء.

فلا يصح نفي الصفات؛ لا كلها ولا بعضها بشبهة التشبيه أو التمثيل.

هذا ما أراد شيخ الإسلام رحمه الله وتعالى في التدمرية، وكما قلت في سائر كتبه تكلم عن هذين الأصلين وعن هذين المثلين؛ أراد شيخ الإسلام رحمه الله تعالى من ضرب هذين الأصلين وذكر هذين المثلين أن يُبين رحمه الله تعالى أن اتفاق المسميات ليس فيه تشبيه الله تعالى بخلقه ولا تمثيلٌ لصفات الله تعالى بصفات خلقه، بل هذه الصفة إذا أضيفت فإنها تناسب من أضيفت إليه؛ - وهذه كلمة كررتها أمام الأفاضل وفقهم الله وتعالى مرارا - فالصفة إذا أضيفت إلى الخالق تبارك وتعالى فإنها تليق به؛ تناسب كماله، وإذا أضيفت إلى المخلوق ناسبت ضعفه، ناسبت نقصه.. فكل واحدٍ وفق ما أضيف له.

سمع الله تعالى ليس كسمعنا، فهو تبارك وتعالى يقول عن نفسه **{ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}** فالله تعالي يستوي عنده الجهر والخفوت؛ سبحانه وتعالى يعلم حديث النفس؛ ما حدَّثنا به أنفسنا. فهذا دليل على أن سمعه تبارك وتعالى هو السمع الكامل الذي يليق به؛ عائشة رضي الله تعالى عنها مع رسول الله ﷺ ومعه خولة تجادله في زوجها وتشتكي إلى الله وعائشة الصبية رضي الله تعالى عنها تسمع بعض حديثها ويغيب عنها البعض الآخر وتقول **" تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، أنزل من فوق سبع سموات { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} ".**

سبحانه وتعالى وتقدس.

هذا ما أردت بيانه لإخوتي الأفاضل وفقهم الله تعالى في هذه المحاضرة.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله علي نبينا محمد وسلم تسليما كثيرا

والحمد لله رب العالمين

المحاضرة الرابعة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه و سلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة الرابعة عشر من مادة الأسماء و الصفات.

والحديث في هذه المحاضرة عن قاعدة جديدة من قواعد الصفات، ذكرها العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى في كتابه القواعد المثلى.

هذه القاعدة يقول فيها رحمه الله:

" صفات الله تعالى تنقسم الى قسمين: ثبوتية و سلبية.

فالثبوتية ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك... فيجب إثباتها لله تعالى حقيقةً على الوجه اللائق به بدليل السمع و العقل.. إلى آخر القاعدة."

المؤلف رحمه الله يقول **" صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين ثبوتية و سلبية "**

وهذا التقسيم تقسيم استقرائي؛ مر معنا كلمة " استقرائية " أيها الأفاضل، مرت معنا في محاضرة مضت، استقرأنا نصوص الكتاب و السنة؛ تتبعنا ما في الكتاب و السنة، فوجدنا أن صفات الله تبارك وتعالى المذكورة في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ إما ثبوتية أو سلبية.

إما أثبت الله لنفسه أو أثبت له رسوله أو نفى عن نفسه أو نفى عنه رسوله، فالتي أثبتها لنفسه **{ الله لا إله إلا هو الحي القيوم }**، التي نفاها عن نفسه **{ لا تأخذه سنة و لا نوم }**،

و قد مرت معنا الصفات السلبية و سيكون لنا حديث موجز عنها بحول الله بعد الانتهاء من الصفات الثبوتية.

فلنبدأ **بالصفات الثبوتية**؛ وهي كما قال الشيخ رحمه الله تعالى **" صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه "** وهي التي أثبتها الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله و قوله على لسان رسوله أثبتها الله لنفسه في كتابه أثبتها الله لنفسه على لسان رسوله؛ لأن **" أو"** هنا: حرف عطف، إشارة إلى أن الصفات التي ثبتت في السنة إنما هي مثبتة من عند الله تبارك و تعالى، و رسول الله ﷺ لا يتكلم من عند نفسه؛ فإما أن يصف الله نفسه في كتابه الذي أنزله على رسوله أو يوحي إلى رسوله وحيا فيصف الرسول ربه تبارك وتعالى بما أوحاه الله إليه، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وهذا معنى قول الشيخ رحمه الله **" ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله "**

إذن؛ **العمدة في إثبات الصفات: كتاب و سنة؛** لا قياس و لا استحسان، فليس لأحد أن يقيس أو يستحسن في هذا الباب؛ باب توصيفي، فلا يصف الله أعلم من الله ولا يصف الله من خلقه أعلم من رسول الله ﷺ، الصفات إذن محصورة في الكتاب و السنة، لذلك كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى أيام المحنة إذا شددوا عليه في السؤال وعذبوه وطلبوا منه أن يقول بقولهم - الجهمية والمعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن- فكان يقول **" لا يُتجاوز الكتاب و السنة "**، وهاته العبارة مأثورة عن الإمام رحمه الله تعالى أيام المحنة **" لا يُتجاوز الكتاب و السنة "** في هذا الباب؛ باب مقصور على الكتاب و السنة.

ومن أمثلة الصفات الثبوتية التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى: الحياة، العلم، القدرة، الاستواء على العرش، النزول إلى السماء الدنيا، الوجه، اليدان، ونحو ذلك...

فهذه الصفات و سائر الصفات الثبوتية عندنا أهل السنة و الجماعة لا فرق بينها، فلا نفرق بينها كما فرّق من فرّق، و قد علمنا من فرّق في المحاضرة الماضية.

ثم قال المؤلف رحمه الله **" فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع و العقل "**

قد بينت للأفاضل سابقا أن المراد بالسمع أو الدليل السمعي : الدليل الخبري؛ الدليل النقلي؛ كلها مترادفاتٌ المراد بها آيات من كتاب الله تعالى أو أحاديث صحيحة من سنة رسول الله ﷺ.

ثم استدل المؤلف رحمه الله بدليل السمع؛ قال **" وأما السمع فمنه قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا } "**

الآية التي ذكرها **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ }**.الآية.

هذه الآية **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا }** ما معنى هذا الكلام ؟

الله تعالى ناداهم باسم الايمان وبصفة الإيمان، وقال **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا }** ثم قال لهم **{ آمِنُوا }**

ما معنى آمِنوا ؟

قال المفسرون: اثبتوا على إيمانكم، اثبتوا على الإيمان؛ كما يقال للرجل الواقف: قف حتى أرجع إليك؛ أي اثبت مكانك واقفا، وليس هذا من تحصيل الحاصل، بل هذا من تكميل الكامل وتقديره وتثبيته والاستمرار عليه كما يقول المؤمن في كل ركعة يركعها في صلاته **{ اهدنا الصراط المستقيم }**، أي يا ربّ استمر بنا ولا تعدل بنا إلى غير الصراط المستقيم، يا ربّ بصرنا فيك، ياربّ زدنا هدىً وثبتنا عليه.

فالمراد **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا }** المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك إلى الممات.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى مفسرا هذه الآية **" فإن قيل: فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؛ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟**

فالجواب أن لا. ولولا احتياجه ليلا ونهارا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإن العبد مفتقرٌ في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصُّره وازدياده منها

واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق.

فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر اليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ}

فقد أمر الذين آمنوا بالايمان، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، والله أعلم " انتهى كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من تفسيره.

إذن؛ معنى هذه الآية **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا }** أثبتوا على الإيمان، قوّوا إيمانكم؛ فالإيمان يضعف ويقوى، يزيد وينقص. فإذا أمر المؤمن بالإيمان فإنما المراد الثبات على الإيمان وأن يقوّي إيمانه وأن يتعاهد إيمانه ويتعاهد ما نقص منه.

قال سبحانه **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ}**

الكتاب الذي أنزل من قبل: المراد به جنس الكتب المنزلة، والكتاب الثاني؛ **{ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ }** اسم جنس يشمل التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

فالمؤمنون يؤمنون بالكتب السابقة؛ وهذا من أركان الإيمان؛ فنؤمن بالكتب السماوية بأنها من الله تعالى لأن كلام الله تعالى ليس القرآن فقط، بل الكتب السماوية كلها من كلام الله تعالى، والقران من كلام الله تعالى.

وكلام الله لا نفاد له كما مرَّ معنا في محاضرة سبقت.

والسؤال الذي يطرح نفسه أيها الأفاضل وقد يدور في أذهانكم هو: ما وجه استدلال المؤلف رحمه الله بهذه الآية على الايمان بصفات الله تعالى؛ **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ} ؟**

<u>أمورٌ ثلاثة.</u>

هل تذكرون في محاضرة سبقت، كانت في المحاضرات الأولى؛ قلت لكم إن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بصفاته ؟

فكل مؤمن مطلوب منه أن يُؤْمِن بالله؛ أن يُؤْمِن أن الله معه بعلمه يراه، ويسمع كلامه، ويعلم ما يخطر بباله، ما يحدّث به نفسه، يعلم منه كل شيء، لا يخفى عليه من أمره شيء، فهو عليم سميع بصير.

فإذا آمنت بالله عليك أن تؤمن بصفاته التي أخبر بها؛ أخبر عنها في كتابه أو أخبر عنها رسوله ﷺ، وكذلك الايمان برسوله لأنه الذي أوصل إلينا وعرَّفنا على أسماء ربنا وصفاته ﷻ.

كذلك الإيمان بالكتاب؛ فكون محمد ﷺ رسول الله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله وهو الله عز وجل، وقد أخبر ﷺ عن ربه أنه ينزل في كل ليلةٍ، وأنه يفرح بتوبة التائبين، وأنه يعجب، وأنه يضحك، وغير ذلك... فهذا كله يجب الإيمان به.

كذلك الإيمان بالكتاب الذي نزَّل على رسول الله يتضمن الإيمان بكل ما جاء في هذا الكتاب من صفات الله تعالى بما في ذلك صفة الاستواء، صفة المجيئ، صفة الإتيان، صفة الوجه، صفة اليدين، وسائر الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه.

فلذلك المؤلف رحمه الله تعالى أورد هذا الدليل من السمع؛ يبيّن أن هذا الدليل دل على إثبات الصفات، الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه يجب علينا أن نثبتها لله تعالى. لأن هذا من مقتضى إيماننا بالله ربا، وبمحمد رسولا، وبالقران كتابا منزلا من عند الله تبارك وتعالى.

ثم قال **" أما العقل، فلأن الله أخبر بهذه الصفات عن نفسه، وهو أعلم من غيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا "**

فكل العقلاء يؤمنون هذا الإيمان، كل عاقل يؤمن أن الله أعلم، وأصدق وأحسن حديثا، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد؛ فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادرا ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العِيّ بحيث لا يفصح بما يريد.

فإذا كنت تتهم المخبر الذي أخبرك بأن فيه جهلا أو اتهمته بالكذب، أو اتهمته بالعيّ، - والعيٌّ كما قلت : هو العجز عن البيان بحيث لا يفصح بما يريد فربما يتخبط و يقول ما لا يريد - فكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله عز وجل، إذ ليس من عاقل يخطر بباله حصول الجهل في حق الله تبارك وتعالى إلا الرافضة قاتلهم الله في معتقد البَدَاء؛ الذي أجازوا في حق الله تعالى الجهل وأنه لا يعلم بالأمر إلا بعد وقوعه.

فالمسلم ينزه ربه تبارك وتعالى عن هذه العيوب؛ الجهل و الكذب و العيٌّ، ينزهه عنها بقلبه ولسانه، لذلك الرب تبارك وتعالى وهو أصدق حديثا، أصدق قيلا وأحسن حديثا وأعلم بما أثبته لنفسه من غيره، يحب أن نقبل خبره على ما أخبر به، و هكذا نقول فيما أخبر به النبي ﷺ عن الله تبارك وتعالى، فإن نبينا ﷺ لا يقبل لا ينطق عن الهوى، وهو أعلم الناس بربه وأصدقهم خبرا وهذا ما شهد له به أعداؤه.

لا شك أنكم سمعتم الحديث الذي أخرجه الشيخان في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال " لما نزلت { وأنذر عشيرتك الأقربين } خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا ؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكن بين يدي عذاب شديد "**

فشهد له أعداؤه " ما جربنا عليك كذبا "، فالأمر كما قال الشاعر:

ومناقبٌ شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداءُ

ورسولنا ﷺ أنصح الناس إرادة و أفصحهم بيانا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه؛ إذا كان الأمر كذلك؛ أنصح الناس إرادة أفصحهم بيانا؛ وجب قبوله على ما هو عليه دون تأويل أو دون تحريف، والله تبارك وتعالى هو الموفق.

هذه هي القاعدة الأولى التي أردت بيانها، وهناك قواعد أخرى سأشير إليها.

القاعدة الثانية التي سأتكلم عنها اليوم هي التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى أيضا فقال:

" الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية. "

ثم تكلم؛ عرف بالذاتية، والفعلية، وبيَّن أن من الصفات ما يكون ذاتيا فعليا في وقت واحد.

فالشيخ رحمه الله تعالى في هذه القاعدة يتكلم عن الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو أثبتها لنفسه على لسان رسوله ويبين أنها تنقسم من حيث تعلقها بالله تبارك وتعالى إلى قسمين إلى ذاتية وفعلية.

- دعونا نبدأ **بالصفات الذاتية:**

الصفة الذاتية ما هي ؟

الصفة الذاتية هي صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى، قديمة قدم الذات لا تنفك عن الذات العليّة؛ لم يزل الله ولا يزال الله متصفا بها سبحانه وتعالى.

كالعزّة والحكمة والعلوّ والعظمة والوجه واليدين والعينين وغيرها من صفات الذات.

ولنأخذ مثالاً من هذه الصفات؛ نأخذ واحدة من هذه الصفات، وهي صفة العلو:

• **صفة العلو:** صفة ذاتية، علو الله تبارك وتعالى على خلقه صفة ذاتية؛ لم يزل الله سبحانه ولا يزال متصفاً بالعلوّ، فهو في علو حتى في وقت نزوله إلى سماء الدنيا؛ إذن هي صفة ذاتية لا تنفك عن الذات أبداً. وحتى في حاله مجيئه وإتيانه لفصل القضاء يوم القيامة لا يزال في علوّه سبحانه، وهذا يحار فيه العقل ولا يحيله، لأن الصفة التي تناسب الله تبارك وتعالى؛ تناسب كماله لا يتصف بها أحدٌ من خلقه.

فالإنسان في عقله لا يتصور أن العبد ينزل ويبقى في علوٍّ، بل يتحول من علوٍّ إلى سُفْلٍ، أما ربنا تبارك وتعالى فالعلوّ كما قلت صفة ذاتية لا تنفك عن الذات أبدا؛ فالله تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال متصفا بها، فهو في علوٍّ حتى وهو ينزل إلى سماء الدنيا، وهو في علو حتى عندما يجيئ ويأتي لفصل القضاء يوم القيامة، وهذا كله كما يليق بجلاله وعظمته.

وقد قلت للأفاضل: هذا لا يتصف به أحد من خلقه سبحانه، لذلك عندما نثبت له الصفة؛ صفة تليق به لاتشبه صفات المخلوقين.

- والنوع الثاني من الصفات التي أشار إليها الشيخ رحمه الله تعالى: **الصفات الفعلية:**

والصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى؛ إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعل، فهي متعلقة بالمشيئة؛ كالنزول إلى السماء الدنيا، فهو ينزل متى شاء سبحانه وتعالى؛ كالإتيان، كالمجيئ؛ فهو يأتي متى يشاء **{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْر }** المجيئ **{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}**

إذن؛ صفةٌ فعلية تتعلق بمشيئة الله تبارك وتعالى؛ ولنأخذ مثالاً على الصفات الفعلية بصفة الاستواء:

• صفة الاستواء صفة فعل: لأن الله تبارك وتعالى أخبر أنه استوى على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض؛ قال **{ ثم استوى على العرش }** في ست آيات في كتاب الله تعالى.

بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام استوى، فوقع الاستواء بعد خلق السموات والأرض، و" ثم" كما يعلم الأفاضل تفيد الترتيب، فوقع الاستواء لما شاء سبحانه، وقد اقتضت حكمته ذلك، فخص العرش بالاستواء؛ استوى عليه لحكمة يعلمها وهي خافيةٌ علينا لا نعلمها.

كذلك ينزل سبحانه وتعالى متى شاء وكما يشاء وكما يليق به، كذلك نزوله لحكمة يعلمها سبحانه.

وهنا أريد من الأفاضل أن ينتبهوا [كل صفة تعلقت بمشيئة الله تعالى فهي صفةٌ فعلية، وهي تابعةٌ لحكمته سبحانه.

والحكمة قد تكون معلومةً لنا وقد نعجز عن إدراكها، لكننا نعلم علم اليقين أن الله تبارك وتعالى لا يشاء شيئاً إلا وهو موافقٌ للحكمة، كما قال سبحانه {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}

بأي شيء ختم الآية ؟

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}

فأفعاله تبارك وتعالى؛ صفاته الفعلية تابعة لحكمته جل وعلا]

والنزول والمجيء والاستواء والفرح والضحك والغضب، كل ذلك من الصفات الفعلية، لأن الله تبارك وتعالى يغضب سبحانه؛ وقد جاء في حديث الشفاعة الذي أخرجه الشيخان في الصحيحين - حديث طويل - يقول فيه الصادق المصدوق ﷺ **" يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنوا منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم عند ربكم ؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول آدم عليه السلام: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، ويذكر ذنبه، ثم يقول: اذهبوا إلى نوحٍ، فيأْتون نوحا فيقولون له: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبدا شكورا، ويطلبون منه ما طلبوا من آدم عليه السلام، فيجيبهم نوحٌ: ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله.-** ويطلب منهم أن يَأْتُوا نبيّا بعده حتى يَأْتُوا إلى النبي محمد ﷺ- **يقول ﷺ " فيأْتوني فأسجد تحت العرش فيقال: يامحمد ارفع رأسك، واشفع تشفع وسَل تعطه "**

وأريد من إخوتي الأفاضل حفظهم الله تعالى أن يتأملوا في هذا الحديث، فهذا كلام قاله كل نبي كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، وكل نبي اعتذر عن الشفاعة بدءًا من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، وكلهم يقول **" ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله. "**

فإثبات هذه الصفة؛ صفة الغضب هي عقيدة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وإثبات صفة الغضب دل لهاَّ الكتاب وصحيح السنة.

لكنَّ الاشعرية كما مر معنا في محاضرة مضت أوّلت صفة الغضب خشية التشبيه؛ احتجت بأن الغضب غليان دم القلب، ولا يليق بالله، إذن قالوا ليس الغضب على ظاهره وليس هذا المراد من هذه الصفة لأنهم يقولون: المراد لازمها إرادة الانتقام، يقولون: المراد لازم هذه الصفة فأوَّلوها بالإرادة، قالوا لازم الغضب الانتقام، وقالوا لازم الرحمة الإنعام، ولازم المحبة الإحسان.

فكل هذه الصفات أوّلوها بصفة الإرادة، ولو سُئلوا فقيل لهم كما قلت لكم في المحاضرة الماضية: ماهي الإرادة؟

أليست الإرادة هنا في هذه الصفات التي أولتموها، أليس الإرادة ميل القلب وميل النفس إلى ما تحب أو إلى من تحب أن تنفعه أو تضره في المحبة والغضب والرحمة ؟

فهم يقولون: لا، لا ليست هذه الإرادة، هذه إرادة المخلوق، فنقول الذي أولتموه: غليان دم القلب هذا غضب المخلوق، فلماذا لم تقولوا، يقولون :لا هذه إرادة تليق بالله تبارك وتعالى، فليس بوسعهم إلا أن يقولوا في الصفات التي أثبتوها ومنها الإرادة هي إرادة تليق بالله، ويقولون: لله تعالى إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به. فيُقال لهم وكذلك غضبه تبارك وتعالى، له غضب يليق به كما أن للمخلوق غضبا يليق به، له رضا يليق به كما أن للمخلوق رضا يليق به.

فهذا المفرّق بين بعض الصفات وبعض، يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته. وهذا الأصل قد تقدم الحديث عنه في المحاضرة الماضية **[القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر].**

وذكر الشيخ رحمه الله تعالى أن **من الصفات ما يكون ذاتيا وفعليا**؛ ومثَّل بصفة الكلام:

- فالكلام من صفات الله تعالى الذاتية والفعلية.

إذن؛ صفة الكلام اجتمع فيها القسمان: الذاتية والفعلية، فالكلام من صفات الله الذاتية باعتبار نوع الكلام وأصل الكلام؛ فهو سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، ولم تحدث هذه الصفة له بعد أن لم تكن؛ لم يكن الكلام ممتنعا عنه تبارك وتعالى ثم تكلم، بل كونه متكلما من لوازم ذاته المقدسة سبحانه وتعالى؛ هذه الصفة قائمة للرب تبارك وتعالى من الأزل إلى الأبد، فهو موصوف بها أزلا وأبدا كما يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى. فهي صفة ذاتية بهذا الاعتبار.

وهي أيضا من صفات الله الفعلية باعتبار أفراد الكلام وآحاده، فهو سبحانه وتعالى يتكلم إذا شاء ومتى شاء وبما شاء، فالكلام يتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى.

اسمعوا إلى قوله تبارك وتعالى **{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }**

متى يقول كن، فيكون ؟

عندما يريده سبحانه.

هل الإرادة هنا وقعت أزلا ؟

لا. فإذا شاء شيئا سبحانه وتعالى قال له: كن، فيكون هذا لشيء الذي شاءه.

وهذا يدل على أن كلامه تبارك وتعالى متعلق بمشيئته سبحانه، فهو يتكلم متى شاء بما شاء.

وقد تكلم في فترات وأزمنة مختلفة، وكلّم من شاء من خلقه بما شاء متى شاء.

تكلم مع الملائكة عندما قال لهم **{ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ }**، قال لهم **{ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ}**، وهذا الكلام الذي تكلم به مع الملائكة هو غير الكلام الذي خاطب به آدم و زوجه عليهما السلام **{ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ }**

وكلامه تبارك وتعالى مع آدم وزوجه غير الكلام الذي خاطب به موسى ﷺ حين قال له **{.. يَا مُوسَىٰ *إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }**

وكلامه مع موسى ﷺ غير الكلام الذي كلم به وخاطب به نبينا محمد ﷺ ليلة المعراج في شأن الصلاة، لأن الله فرض عليه الصلاة خمسين صلاة في اليوم والليلة، وموسى ﷺ قال له " ارجع الى ربك فاسأله التخفيف "، فرجع إلى الله تعالى وسأله حتى خفف عنه من خمسين إلى خمس، ثم ناداه كما في الصحيح؛ الله تبارك وتعالى ينادي محمداً ﷺ **" إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا "**، من صلى خمسا فكأنما صلى خمسين؛ لأن الله تبارك وتعالى يجزي الحسنة عشرا.

وهذا الكلام الذي كلم به محمدا ﷺ ليلة المعراج غير الكلام الذي أنزله على محمد ﷺ وختم به كتبه **" القرآن الكريم"**، فالقرآن الكريم من كلام الله تبارك وتعالى، فهذا الكلام مع الانبياء عليهم الصلاة والسلام كله من كلام الله تعالى، تكلم الله سبحانه وتعالى به حقيقة في أوقات مختلفة، فمتى شاء تكلم كما يليق به تبارك وتعالى.

وكلامه لا يشبه كلامنا، كلامه لا يشبه كلام مخلوقاته لأن ربنا تبارك وتعالى ليس كمثله شيء .

فالتفريق بين النوع والعين، وتقسيم كلام الرب تبارك وتعالى إلى هذين النوعين ذاتي و فعلي، مهم جدا في تمييز الخطأ والصواب في هذه المسألة وبه ينجو المرء ويخرج من الإشكالات الكثيرة التي وقع فيها كثير من الفرق.

سأتكلم عن هذه الإشكالات التي حصلت من هذه الفرق؛

- الجهمية وقعت في خطأ في هذا الباب، عندما قالت بأن القرآن مخلوق، وجعلوا كلام الله تبارك وتعالى مخلوق منفصلا عن الله تبارك وتعالى.

الجهمية التي تنسب إلى جهم بن صفوان و إلى شيخه الجعد بن درهم، والجعد بن درهم هو أول من أدخل هذا المعتقد الفاسد إلى المسلمين، هو أول من قال بخلق القرآن الكريم، وقال العلماء: قد أخذ هذا المعتقد من اليهود المبدّلين الذين بدلوا دينهم، فعندما حرفت التوراة وبدل اليهود دينهم كانوا يقولون بأن التوراة مخلوقة فنقل هذا المعتقد إلى المسلمين فحمله بعض من انتسب إليه وقالوا بخلق القرآن.

وتبع الجهميةَ على قولهم المعتزلةُ، واحتجوا لمذهبهم بما يدل على تعلق الكلام بالمشيئة، لكنهم قطعوا علاقة الكلام بالذات.

أين الكلام ؟ الكلام مخلوق في جسم منفصل عن الله تبارك وتعالى، وذلك الجسم المنفصل عن الله هو الذي يتكلم عند الجهمية والمعتزلة التي وافقتهم.

إذن هنا في هذا الباب، هذا الجسم المنفصل يتكلم متى شاء، فتعلق الكلام بالمشيئة، لكن الكلام ليس قائما بالرب تبارك وتعالى، فأتوا إلى جهة الفعل و تركوا جهة الذات. قطعوا علاقة الكلام بالذات وجعلوا الكلام مخلوقا منفصلا عن الله تبارك وتعالى، لذلك قالوا أيضا بخلق القرآن الكريم.

وأتى الطرف الآخر؛ وهم الأشاعرة ومن وافقهم فاحتجوا لمذهبهم بما يدل على أن الكلام من صفات الذات فقط، ولم يجعلوه متعلقا بمشيئة الله تعالى، لذلك يقولون بالكلام النفسي؛ جعلوا الكلام كله معنىً واحدا قائما بالنفس لكنه لا يتعلق بالمشيئة.

ولو أن الأفاضل وفقهم الله تعالى تأملوا فيما ذكرته لرأوا أن كل واحد من الفريقين أخذوا طرفا من الكلام وغفلوا عن الطرف الآخر، فوقعوا فيما وقعوا فيه من التناقض.

لذلك قلت: فهم هذه المسألة والتفريق بين النوع والعين، وتقسيم كلام الرب إلى هذين النوعين؛ إلى صفة ذاتية وصفة فعلية يخرج الإنسان به من الإشكالات التي وقع بها كثير من الناس.

والقول بأن الكلام المضاف إلى الله تعالى على هذين القسمين وأنه من الصفات الذاتية باعتبار ومن الصفات الفعلية باعتبار آخر هو الذي تجتمع عليه الأدلة وينجو المرء من الوقوع فيما وقع فيه كثير من الخطأ والزلل والضلال.

والله تبارك وتعالى قال عن كتابه **{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ }** وهذا يدل على أن من الذكر ما هو محدث. طبعا أريد من إيراد هذه الآية أن أنبه إلى أن كلام الله تبارك وتعالى كما انه صفة ذاتية فهو صفة فعلية يتعلق بمشيئة الله تعالى، فهو يتكلم بما شاء سبحانه.

والأشعرية حين نفوا أن يكون من الصفات الاختيارية الفعلية المتعلقة بالمشيئة، قالوا: يلزم منه أن يكون مخلوقا؛ لو قلنا بأنه يحدث شيئا فشيئا؛ يتكلم الله تعالى مرة ثم يتكلم بعد مدة مرة - بمعنى أنه يتعلق بالمشيئة – قالوا: يُفهم منه أنه محدث.

الله تبارك وتعالى عندما ذكر كتابه بين أنه محدث، لكن ليس محدث بمعنى مخلوق، ليس المراد بالمحدث في هذه الآية المخلوق، بل المراد به الجديد، فإن القرآن كان ينزل شيئا بعد شيء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى **" والإطلاقات قد توهم خلاف المقصود، فيقال: إن أردت بقولك " محدث " أنه مخلوق منفصل عن الله كما يقول الجهمية والمعتزلة والنجّارية فهذا باطل لا نقوله. وإن أردت بقولك إنه كلام تكلم الله به بمشيئته بعد أن لم يتكلم بعينه وإن كان قد تكلم بغيره قبل ذلك مع أنه لم يزل متكلما إذا شاء؛ فإنا نقول بذلك؛ وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة وهو قول السلف وأهل الحديث. "**

إذن؛ معنى الخلق أخصّ من معنى الحدوث؛ فلا يلزم أن يكون كل محدث مخلوقا، لذلك قال شيخ الإسلام رحمه الله **" فكل مخلوق فهو محدث وحادث باتفاق أهل اللغة وأهل الكلام، وأما أن كل حادث ومحدث فهو مخلوق فهذا مما تنازع فيه أهل الكلام فقط، لكن النظر واللغة لا يوجبان أن كل ما كان حادثا يسمى مخلوقا، لأن المخلوق هو الذي خلقه غيره، والخلق يجمع معنى الإبداع ومعنى التقدير، وأما لفظ حادث فلا يقتضي أنه مفعول، ولو قيل محدث فمعنى الخلق أخص من معنى الحدوث."**

أقول أيها الأفاضل: كلمة محدث وإن كانت صيغتها صيغة اسم المفعول فإنها مثل كلمة موجود؛ هذه الكلمة تطلق على الله تبارك وتعالى؛ كلمة موجود كما مر معنا سابقا؛ من باب الإخبار، فيقال إن الله موجودٌ، ويراد بقولنا إن الله موجودٌ أنه تبارك وتعالى حقٌّ وأن له وجودا حقيقيا لا يجوز نفيه ولا إنكاره.

ولا يلزم من هذا أن هناك موجدا أوجده تبارك وتعالى.

كذلك لفظ محدث؛ يمكن أن يطلق على كلام الله تعالى " محدث" ولا يلزم من هذا أن يكون مفعولا مخلوقا، بل هو كلامه وصفته تبارك وتعالى وهو قائم به تبارك وتعالى؛ تكلم به سبحانه حسب مشيئته وكما يليق بجلاله وعظمته.

والمحدث خلاف القديم، فيقال لكل ما قرب عهده محدثٌ، فعلا كان أو مقالا، قال الله تعالى **{ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا }** وقال سبحانه **{ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا }**

وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب، كما قال سبحانه **{ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ }** وقال - حكى كلام إخوة يوسف لأبيهم – **{ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ }**.

فيقال قديم وحديث، وذلك إما باعتبار الزمانين وإما الشرف، وأكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان.

إذن المحدث يطلق على الشيء الجديد ولو كان نسبيا؛ فالمتأخر محدث بالنسبة للمتقدم أي جديد، والقرآن كان ينزل شيئا فشيئا وسورة بعد سورة وآية بعد آية وفي وقت دون وقت، فما تأخر نزوله فهو محدث بالنسبة الى ما تقدم نزوله.

والقران كما يفهم الأفاضل بعضه أحدَث وأجَدّ من بعض من حيث الترتيب والنزول.

لذلك من وصف القرآن بالحدوث أو أطلق عليه لفظ الحادث أو المحدث بهذا الاعتبار بمعنى أنه تأخر نزوله أو أنه أنزل جديدا أو أنه قريب العهد وحديث النزول، مع اعتقاده أنه ليس بمخلوق، فهو متمسك بظاهر النصوص وموافق لما عليه السلف رحمهم الله تعالى.

قال الله تعالى **{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ }** قال المفسرون: أي أنزل القران في زمان بعد زمان.

قال الحسن البصري رحمه الله **" كلما جدد لهم ذكرا استمروا على جهلهم. "**

قال الإمام البغوي مفسرا **الأية " يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به."**

وقال الحافظ بن كثير **" أي جديد إنزاله ".**

وقال العلامة الشوكاني **" { مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ } من: ابتداء الغاية، وقد استدل بوصف الذكر لكونه محدثاً على أن القرآن محدث، لأن الذكر هنا هو القرآن، وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف لأنه متجدد في النزول. فالمعنى محدث تنزيله".**

أما من وصف القرآن الكريم بالحدوث أو وأطلق عليه لفظ الحادث أو المحدث وأراد به أنه مخلوق فهذا قول باطل ورأي فاسد بلا شك.

وقد كفّر الأئمة من زعم ذلك.

إذن؛ الذي أريد الوصول بالأفاضل إليه أن أبين لهم أن كلمة محدث التي قال الله تبارك وتعالى، ذكرها في كتابه ووصف بها كلامه تبارك وتعالى ليس المراد به المخلوق وإنما المراد به الجديد، فإن القرآن كان ينزل شيئا بعد شيء.

ومرادي من هذا أن أرد على الطائفتين؛ الطائفة التي زعمت أن القران مخلوق وهم الجهمية ومن تابعهم من المعتزلة عندما نفوا قيام الصفة بالذات وجعلوا الصفة مستقلة عن الذات قائمة خارج الذات، وأريد أن أرد به على الأشعرية الذين جعلوا صفة الكلام ذاتية فحسب وأنكروا أن يكون الله تبارك وتعالى يتكلم شيئا بعد شيء متى شاء بما شاء كيف شاء بحجة أنه لو كان يتكلم كذلك لكان الكلام مخلوقا.

فالله تبارك وتعالى يتكلم بكلام، وكلامه سبحانه وتعالى كما تقدم ذاتي باعتبار نوعه وأصله، فهو سبحانه لم يزل ولا يزال متكلما ولم تحدث هذه الصفة له بعد أن لم تكن، فليس الكلام ممتنعا عليه تبارك وتعالى .ثم تكلم، بل كونه متكلما قلت من لوازم ذاته المقدسة. فهذه الصفة قائمة به تبارك وتعالى أزلا وأبدا .كما يليق به، وهي أيضا من صفات الله تعالى الفعلية باعتبار أفراد الكلام وآحاده.

فهو تبارك وتعالى يتكلم إذا شاء متى شاء، فالكلام يتعلق بمشيئته تبارك وتعالى كما قال **{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }.**

هذا ما أردت بيانه في هذه القاعدة.

والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحاضرة الخامسة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله و أصحابه أجمعين.

أما بعد

فحياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة الخامسة عشرة من مادة الأسماء والصفات.

وفي هذه المحاضرة سأكمل اولا القاعدة التي ختمت الحديث عليها في المحاضرة الماضية وهي تقسيم الشيخ رحمه الله تعالى الصفات إلى صفات ذاتية وصفات فعلية.

ولعل الأفاضل وفقهم الله تعالى انتبهوا إلى أن الشيخ رحمه الله حين ضرب أمثلة للصفات الذاتية قال:(فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين).

وكأن مراد المؤلف رحمه الله من هذا أن يقول أن الصفات الذاتية تنقسم إلى قسمين أيضا؛ عندما ضرب هذا المثال قال **" ومنها الصفات الخبرية كالوجه و اليدين والعينين "** أقول: كأن مراده رحمه الله أن يقول بأن الصفات الذاتية منها ما يكون خبريا محضا ومنها ما هو نقلي عقلي؛ وكذا الفعلية منها صفات خبرية محضة ومنها صفات خبرية عقلية. فما هي الصفات الخبرية التي عناها الشيخ رحمه الله تعالى في هذه المقولة ؟ حين قال **" ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين."** ؟

الصفات الخبرية: هي الصفات التي لا سبيل للعقل منفردا إلى إثباتها، بل لابد من ورودها بطريق الخبر الصادق في الكتاب والسنة والصحيحة.

أقول الصفات الخبرية هي الصفات التي لا يستقل العقل بإثباتها **وهي قسمان:** ذاتية وفعلية.

- **فالذاتية** منها كما مثل الشيخ رحمه الله تعالى كالوجه واليدين والعينين والقدم والنفس

و الأصابع والساق ونحو ذلك

- **والفعلية** منها كالنزول والاستواء والإتيان والمجيء والمحبة والرضا والغضب والضحك والعَجَب ونحو ذلك.

فالصفات الخبرية كما نبهت قبل قليل هي التي لا يستطيع العقل أن يستقل وحده بإثباتها، فلو لم يأت بها النقل، لو لم يرد بها السمع، لو لم يجِيء بها الخبر لما عُرفت ، وهي التي تُسمى الصفات الخبرية المحضة , إذن لا بد من هذا القيد أنها صفات خبرية محضة لأن هناك صفات خبرية أخرى تُدرك بالعقل أيضا ، أما هذه الصفات الخبرية المحضة فإن مستندها الخبر لا غير.

فلولا أن الخبر كما قلت أتى بها، لولا أن السمع ورد بها ، لولا أن النقل جاء بها ما عُرفت.

فلو لم يخبر الله تبارك وتعالى أن له وجها وأن له يدين وأن له عينين ، لو لم يخبر الله تبارك وتعالى أنه يأتي لفصل القضاء وأنه يجيء يوم القيامة ، لو لم يخبر النبي ﷺ أن ربه عز وجل ينزل في كل ليلة لما أمكننا أن ندرك هذه الصفات ولا أن نصف الله تبارك وتعالى بها .

أما قدرة الله وهي صفة كما مر معنا خبرية لكنها عقلية إذ يمكن للعاقل أن يدرك قدرة الله تعالى بالنظر في آياته الكونية

لأن الذي خلق هذا الخلق قدير موصوف بالقدرة كذلك الحياة هو حي تبارك وتعالى موصوف بالحياة ، وهو الذي منح الحياة و أعطاه لهؤلاء الأحياء وهو كذلك عالم موصوف بالعلم ولولا العلم والقدرة و الإرادة ما خلق وأبدع هذا الكون على غير مثال سابق ، وقد مرت معنا أيها الأفاضل ، مرت معنا آية في كتاب الله تعالى حين حديثنا عن دلالة الالتزام وهي قوله سبحانه وتعالى :

(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما).

قلت في تلك المحاضرة: يلزم من إثبات اسم الله الخالق وإثبات الخلق صفة لله تبارك وتعالى إثبات العلم والقدرة **(ألا يعلم من خلق)** سبحانه ، فالخلق يدل على العلم ويدل على القدرة ، هذه الدلالة ، هذه دلالة عقلية لأن الخالق الذي قام بالخلق لابد أن يكون قادرا على خلق ما يريد خلقه ولا بد أن يكون عالما بما يريد خلقه ، فالعلم والقدرة من لوازم صفة الخلق لأن العاجز والجاهل لا يخلق ولولا العلم والقدرة لما صار خلق السموات والأرض لذلك لما ذكر ربنا تبارك وتعالى خلق السموات والأرض عقب بذكر ما دل عليه الخلق باللزوم فذكر القدرة والعلم ، وقلت هذه دلالة عقلية .

قال ربنا تبارك وتعالى **(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما)** فالعلم والقدرة من الصفات التي يدركها العاقل من خلال النظر في الآيات الكونية .

وقد تقدم معنا عند ذكرنا لمذهب الأشاعرة وعند حديثنا عن الأصلين الذين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قلت لكم الأصل الثاني القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر .

وذكرت في معناه أن من أقر ببعض صفات الله تعالى وأثبتها على الحقيقة وأول صفات الله الأخرى بحجةٍ ما، يُقال له: القول فيما أولت كالقول فيما أثبت على الحقيقة إذ لا فرق بين ما أثبت وما أولت ، وقلت لكم إن الأشعرية أثبتت سبع صفات زعموا أن عقولهم أدركتها فأثبتتها ، تذكرون هذه الصفات: الحياة و العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة، أطلقوا عليها إسم صفات عقلية وسموها صفات معنوية لأن عقولهم قد دلتهم على إثبات هذه الصفات.

هذه الصفات صحيح إنها ثبتت بالعقل لكن ليس معنى كونها عقلية عند أهل السنة و الجماعة أنها ثبتت بالعقل فقط دون النقل !

لا، هذه صفات اشترك في إثباتها العقل بجوار النقل؛ فهي صفات خبرية لكنها ليست خبرية محضة بل هي خبرية عقلية إذ للعقل تدخل في إثباتها .

وهذه الصفات التي عددها الشيخ رحمه الله وقلتها في أول هذه المحاضرة من العلم والقدرة والسمع والبصرو العزة والحكمة والعلو والعظمة والحياة والكلام كلها صفات خبرية عقلية.

إذن الآن فهمنا أن هناك صفات عقلية هي خبرية والعقل دل عليها أيضا، فيُقال لها خبرية عقلية.

وهناك صفات لا مدخل للعقل في إثباتها، ما معنى لا مدخل للعقل في إثباتها ؟ أريد بهذه العبارة أن أقول أنه لو لم يأت الخبر فالعقل لا يدركها بنفسه، وذكرت لكم من هذه الصفات ذكرت الوجه واليدين والعينين، فهذه صفات خبرية محضة لا تثبت إلا بواسطة النقل لكن العقل لا يحيلها.

وما معنى لا يحيلها ؟ أي أنه لا يرفض وصف الله تبارك وتعالى بها لأن كل ما ثبت بالنقل الصريح فالعقل السليم لا يحيله ولا يرفضه بل يوافق عليه، لكنه لا يستقل في إثبات هذه الصفات.

إذن، نستطيع أن نقول الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين كما فهمنا من قول الشيخ رحمه الله تعالى ، تنقسم إلى:

1- صفات خبرية محضة

2- **وإلى صفات خبرية عقلية وهي التي يشترك في إثباتها النقل والعقل معا.**

هذا ما يشير إليه الشيخ رحمه الله تعالى بقوله **" ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين."**

وقد تقدم معنا أيها الأفاضل في محاضرة مضت أن إثبات العينين لله تبارك وتعالى ورد في سنة رسولنا الله ﷺ حين وصف رسولنا صلى الله عليه و سلم الدجال بأنه أعور قال **" وإن ربكم ليس بأعور."** أحاديث أخرجها الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما منها حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ :

" ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه، إنه أعور وإنه يجيء معه بمثال الجنة و النار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه."

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما ذكر الجملة التي قلتها قبل قليل يقول ابن عمر رضي الله عنهما قام فينا رسول الله ﷺ فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال **" إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه إنه أعور و إن الله ليس بأعور."**

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في الصحيح وكذلك الشيخان البخاري و مسلم أخرجا حديث أنس رضي الله عنه أيضا في الصحيحين قال النبي ﷺ **" ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوب كافر."**

وابن مسعود رضي الله تعالى عنه في الحديث الذي أخرجه البخاري قال ذُكر الدجال عند النبي ﷺ فقال **" إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور** وأشار بيده إلى عينه ﷺ **وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ."**

ففي هذا الحديث أن رسولنا الله ﷺ قال للناس **" إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور"** وفيه أن رسولنا ﷺ أشار بيده إلى عينه وقال **" وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ."**

ففي هذا الحديث فهم العلماء من هذا الحديث أن لله تبارك وتعالى عينين اثنين ففيه إثبات العينين لله سبحانه وتعالى فهو وصف كامل لله عز وجل.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى يتكلم عن الدجال يقول **" هذا ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه النبي ﷺ إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت قال فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس لعلمه صلى الله عليه وسلم بأن من الناس من يضل فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يُسمون الحلولية و الإتحادية."** هذا كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وقد تقدم عندما ذكرنا هذا الحديث أن هذه الإشارة من رسول الله ﷺ ليس فيها تشبيه عين الرب سبحانه وتعالى بعين المخلوق لأن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ولكنها إثبات للحقيقة فالإشارة إلى العينين دليل على إثبات عينين حقيقيتين لله تبارك وتعالى، كما أشار النبي ﷺ إشارة حسية إلى العلو في خطبة حجة الوداع المخرج في الصحيحين لما سأل الصحابة في آخر الخطبة فقال لهم **" وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ "** قالوا **" نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت "** فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس **" اللهم اشهد اللهم اشهد "** ثلاث مرات، يشير إلى ربه تبارك وتعالى الذي فوقه وفوق السماوات وفوق كل شيء يشير إليه سبحانه ويشهده عليهم ، يشهده بأنهم قد شهدوا له ﷺ بأنه بلغ رسالة ربه وأدى الأمانة ونصح الأمة.

وهذه قاعدة جديدة ذكرها الشيخ رحمه الله تعالح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى يقارن فيها بين الصفات الثبوتية والصفات السلبية فيقول **" الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثُرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر"**

ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية ، فربنا تبارك وتعالى موصوف بصفات الكمال وصفاته تبارك وتعالى كثيرة من العلم و القدرة والكلام والحياة والسمع والبصر و الإرادة.

والصفات الثبوتية التي أخبر الله تعالى بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية ، فجميع أسماء الله الحسنى متضمنة للصفات وأسماؤه الحسنى تبارك وتعالى لا حصر لها ولا تدخل تحت العد كما مر معنا في قواعد الاسماء، وكما قلنا في أسمائه تبارك وتعالى لا حصر لها ولا تدخل تحت العد، كذلك نقول صفات ربنا تبارك وتعالى الثبوتية لا حصر لها ولا تدخل تحت العد لأنها معاني الأسماء الحسنى التي ليست محصورة كما مر معنا.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان.

وقد مر معنا أن أسماء الله تعالى لا تنحصر في تسعة وتسعين اسما بل هناك أسماء استأثر الله تبارك وتعالى بعلمها فلم يعلمها أحدا من خلقه، وكمالات الله تعالى لا حصر لها والصفات الثبوتية من الكمالات ، لذلك لا تدخل تحت الحصر وأفعاله جل وعلا لا نهاية لها كأقواله سبحانه كما مر معنا في محاضرة مضت **{ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا }** .

إذن الصفات الثبوتية صفات كمال لا تُعد ولا تُحصر، أما الصفات السلبية وهي القسم الثاني الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى؛ قلنا بأن الشيخ رحمه الله في قاعدة سابقة ذكر أن الصفات تنقسم إلى ثبوتية وسلبية، وهذا التقسيم عند الشيخ رحمه الله تعالى مصدره الاستقراء: أي أنه تتبع نصوص الكتاب والسنة، وكذلك علماء السلف رحمهم الله تعالى قبله تتبعوا نصوص الكتاب والسنة، استقرأوا ما في الكتاب و السنة فاستنتجوا أن صفات الله تعالى تنقسم إلى صفات ثبوتية وصفات سلبية.

والصفات السلبية في منهج السلف رحمهم الله ما عرفه المؤلف رحمه الله بقوله **" والصفات السلبية ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت و النوم و الجهل و النسيان و العجز والتعب "**

وهذه الصفات السلبية لم تذكر غالبا إلا في الأحوال التالية كما قال الشيخ رحمه الله وهذا لا يُقال أيضا إلا بعد االإستقراء والتتبع.

الحالة الأولى : بيان عموم كماله سبحانه وتعالى كما في قوله **{ ليس كمثله شيء }** فهذا دليل على عموم الكمال ، ليس كمثله شيء في ذاته ليس كمثله شيء في أسمائه ليس كمثله شيء في صفاته ليس كمثله شيء في أفعاله ، في قضائه وقدره الذي هو من أفعاله، فهذا معنى عموم كماله، فالله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء وقوله عن نفسه ليس كمثله شيء قد دل على هذا العموم، عموم الكمال.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى **{ ولم يكن له كفؤا أحد }** ليس له مكافيء سبحانه من ذا الذي يساميه أو يكافؤه ، فقد دل على عموم الكمال وكذلك قوله تبارك وتعالى **{ هل تعلم له سميا }** وهذه آيات قد تقدمت وتقدم معناها في المحاضرات الماضية .

الحال الثانية : التي تُذكر الصفات السلبية لأجلها نفي ما ادعاه الكاذبون في حقه ، ما ادعاه الكاذبون في حقه تبارك وتعالى ،عند نفي ما ادعاه الكاذبون في حقه ، الله تبارك وتعالى ينفي عن نفسه ، فالآن تأملوا في هذه الدعوى ادعوا له ولدا فقال سبحانه وتعالى **{ أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا }**

الله تبارك وتعالى غني وغناه مطلق سبحانه، وإنما يحتاج للولد لفقره لعجزه و لضعفهن أما ربنا تبارك وتعالى فهو القوي المتصف بصفات الكمال والغنى في حقه تبارك وتعالى صفة ذاتية، وقد مر معنا المراد بالصفات الذاتية: التي لم تزل ولا يزال متصفا بها سبحانه وتعالى، فالغنى في حقه وصف ذاتي

أما الفقر في حقنا فهو وصف ذاتي، لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية يخاطب ربه تبارك وتعالى بقوله **" فالفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي "** فالغنى بالنسبة لربنا تبارك وتعالى وصف ذاتي لم يزل ولا يزال غنيا ونحن لم نزل ولا نزال فقراء إليه سبحانه وتعالى .

الحالة الثالثة : التي تُذكر فيها الصفات السلبية في دفع توهم نقص في كماله تبارك وتعالى فيما يتعلق بأمر معين كما في قوله **{ وما خلقنا السموات و الأرض وما بينهما لاعبين }** إنما خلقهما تبارك وتعالى لحكمة وخلقهما لحكمة بالغة وقوله تبارك وتعالى **{ ولقد خلقنا السموات و الأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب }** ما مسه التعب تبارك وتعالى فنفى عن نفسه تبارك وتعالى أن يمسه اللغوب لكمال قوته وقدرته جل وعلا .

إذن الصفات السلبية التي نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كلها صفات نقص في حقه تعالى فيجب نفيها عنه سبحانه مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، لأن ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده فيجب نفي كل ما نفاه عن نفسه تبارك وتعالى لأنها ، هذه الصفات المنفية السلبية كلها صفات نقص مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل ، لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه كما قلنا المراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده .

طبعا كمال ضده يعني كمال ضد الصفة المنفية ، فكمال الموت في الصفة المنفية كمال ضدها الحياة كمال الحياة لا لمجرد النفي لأن مجرد النفي لا يكون مدحا ولا يكون كمالا إذ النفي في حد ذاته ليس بكمال ، النفي وحده في حد ذاته ليس بكمال لا يكون كمالا إلا إذا تضمن كمال ضده فإذا تضمن ما يدل على الكمال كان مدحا لله تبارك وتعالى .

وهنا سؤال وآمل من أبنائي وفقهم الله تعالى أن ينتبهوا إليه لماذا كان النفي الوارد في حق الله تعالى ليس نفيا مجردا ؟ بل يتضمن كمال ضده ، نقول للأمور التالية

- أولا : لأن النفي معناه العدم والعدم ليس بشيء فضلا عن أن يكون كمالا وربنا تبارك وتعالى لا يمدح نفسه سبحانه و تعالى إلا بالكمال ولا ينفي عن نفسه تبارك وتعالى إلا لكماله.
- الأمر الثاني : لأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فالمحل لم يقبل هذا النفي الذي هو العدم لكون المحل جمادا فلا يكون كمالا؛ ففي الظلم عن الجمادات كالجدران والجبال لا يكون كمالا كما لو قلت هذا الجدار لا يظلم ، الجدار لا يظلم؛ لماذا لا يظلم ؟ لأنه ليس لديه قابلية ليس لديه قابلية الظلم ، إذن هذا النفي ليس بمدح والنفي الذي يكون في حقه تبارك وتعالى يكون مدحا.
- الأمر الثالث أو العلة الثالثة : قد يكون النفي للعجز عن القيام به فيكون نقصا في حق من نُفي عنه كما في قول الشاعر النجاشي يذم ويهجو قبيلة بني عجلان فيقول:

قُبَيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل

تعاف الذئاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل.

هذه أبيات قالها الشاعر النجاشي يهجو قبيلة فوصفهم بأنهم قُبَيلة أو قَبيلة صغيرة حقيرة لا شأن لها لكنه قال في بدايتها :

" لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل " عندما قال الشاعر هذه الأبيات يهجو هؤلاء استعدى بنو عجلان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على النجاشي وأنشدوه قوله هذا فيهم، ويُقال إن عمر رضي الله تعالى عنه لما سمع البيت الأول " قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل " قال وددت أن آل الخطاب هكذا؛ يعني لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل. فلما سمع البيت الثاني **" ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل "** من خوفهم من القبائل الأخرى فإنهم يتركونهم يشربون قبلهم ثم إذا انتهوا أتوا إليهم، وهذا إنما يدل على ضعفهم وجبنهم، فلما سمع البيت الثاني قال **" ما أحب كل هذه المذلة "**.

فقُبيلة هنا صغيرة ، التصغير الوارد علامة أن النفي لا ليس بمدح، لا يغدرون بذمة، لا يظلمون الناس حبة خردل ، ما الذي منعهم من الغدر؟ الذي حال بينهم وبين ظلم الناس هل هو العدالة و الرحمة التي فيهم ؟ هل لأن فيهم خيرا ؟

الجواب: لا، بل لعجزهم بدليل التصغير فهي قَبيلة صغيرة لا تقوى على الغدر ولا تقدر على ظلم الناس ولو قدرت لفعلت . إذن نفي الغدرعنهم ونفي الظلم عنهم ليس فيه مدح بل دليل على عجزهم .

كذلك تأملوا في قول الشاعر الآخر قريط بن أنيف التميمي وهو شاعر جاهلي يهجو قومه ، يقول عن قومه

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ليسوا من الشر في شيء و إن هانا

هذه الأبيات ذكرها أبو تمام الطائي في ديوان الحماسة وبين أن هذا الشاعر غضب على قبيلته لأنه أُخذ له إبله فلم تستطع القبيلة أن تخلص له إبله لذلك هجا قبيلته وفي الوقت نفسه مدح قبيلة أخرى فقال في أبيات :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذن لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم قاموا إليه زارافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا و رهبانا

إذن هجاهم لضعفهم وجبنهم وعجزهم فلم يستطيعوا استنقاذ إبله من أيدي سارقيها فقال ولكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ورويت ذوي عُدد من حيث الإعداد و السلاح وذوي عَدد من حيث الكثرة ، ليسوا من الشر في شيء وإن هانا ، هذه الكلمات الظاهرة يُفهم منها المدح فقد يُظن فيهم الحلم والعفة والخشية والتقوى لكن باطنه المقصود أنهم كانوا في غاية المذلة وعدم المنفعة لقوله بعد ذلك فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا وركبانا وهذا لضعفهم لذلك قال عنهم يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا ، وهذا لا يدل على المدح لكنه يدل على الذم.

فالشاهد الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى " ليسوا من الشر في شيء و إن هانا " هذا النفي لم يكن للمدح أبدا .

إذن، ليس كل نفي يكون للمدح إلا إذا تضمن الكمال المضاد له ، النفي المتضمن لكمال ضده الذي هو شأن كل نفي نُفي عن ربنا تبارك وتعالى ، نفاه عن نفسه في كتابه سبحانه أو على لسان رسوله ﷺ فإنه ليس نفيا مجردا بل هو نفي يتضمن كمال ضده.

ثم ضرب أمثلة الشيخ رحمه الله تعالى ، قال **" مثال ذلك** - أي مثال الصفات السلبية - **في كتاب الله تعالى قوله تعالى { وتوكل على الحي الذي لا يموت }"**

فنفي الموت عنه تبارك وتعالى يتضمن كمال حياته ، حياة الخلق حياة حقيقية لكنها ليست بكاملة لأن غير الله تبارك وتعالى يموت ، الناس يموتون ، الجن يموتون و الله حي لا يموت ، يقول عنه أعلم الخلق به فيما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعلم الخلق بالله رسول الله ﷺ كان يقول **" أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت و الجن والإنس يموتون "** فالله تبارك وتعالى هو الحي الذي لا يموت هو الذي له الحياة الكاملة سبحانه و تعالى بخلاف حياة مخلوقاته ، بهذا نعرف الفرق بين الحياتين و إن كانت كل واحدة من الحياتين حقيقية لكن حياتنا ليست كاملة و إن كانت حياة حقيقية ليست مجازية فهي حياة حقيقية لكنها ليست كاملة وحياة الله تبارك وتعالى حياة حقيقية لكنها كاملة إذن ليست الحقيقة الحقيقة لأن حياتنا حياة ناقصة مسبوقة بعدم يلحقها الموت

فنحن ننام و نموت إذن حياتنا ناقصة أما حياة ربنا تبارك وتعالى فهي حياة لم تسبق بموت ولا يلحقها موت ولا عدم فنفي الموت عن ربنا تبارك وتعالى يتضمن كمال حياته جل وعلا .

المثال الآخر الذي ضربه الشيخ رحمه الله تعالى هو قول ربنا تبارك وتعالى (ولا يظلم ربك أحدا) فالله تعالى نفى الظلم عن نفسه ونفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله لماذا لا يظلم أحدا؟ لكمال عدله تبارك وتعالى ليس لضعفه أو عجزه بل هو على كل شيء قدير لكنه لا يظلم أحدا لعدله ، حرم الظلم عن نفسه وجعله بيننا محرما

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)).

المثال الثالث الذي ذكره رحمه الله تعالى هو قول الله تعالى **{ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض }** فنفي العجز عنه جل وعلا يتضمن كمال علمه وكمال قدرته ، إذن يتضمن صفتين اثنتين العلم الكامل والقدرة الكاملة ولهذا قال بعده **{ إنه كان عليما قديرا }** لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد وإما قصور القدرة عن الإيجاد، فلكمال علم الله تعالى المحيط بكل شيء ولكمال قدرته الباهرة على كل شيء لم يكن ليعجزه شيء سبحانه وتعالى في السموات ولا في الأرض ، وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال؛ فبالنسبة لنفي الظلم قلنا لكمال عدله وهنا في قوله تعالى { وما كان الله ليعجزه من شيء } تضمن كمال علمه وكمال قدرته.

وقبل أن أختم هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى أود ، أرغب أن أقارن بين الصفات السلبية عند أهل السنة والجماعة وبين الصفات السلبية عند الأشعرية وبضدها تتميز الأشياء.

فالصفات السلبية عند أهل السنة والجماعة قلنا نتقيد بما في الكتاب و السنة؛ فكل ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ يُنفى عن ربنا تبارك وتعالى، وهذا النفي الذي نفاه عن نفسه سبحانه وتعالى يتضمن كمال ضده ،هذه الصفات السلبية قد تصورناها وعرفناها عند أهل السنة والجماعة.

لكن الأشعرية عندهم صفات سلبية وهذه الصفات ليست واقعة في حيز النفي بخلاف الصفات السلبية عند أهل السنة والجماعة فهي واقعة في حيز النفي ، ما معنى أنها واقعة في حيز النفي ؟

أي دخل عليها حرف نفي فهي من الصفات التي دخل عليها النفي لكن هذه الصفات كما قلنا نحن نتقيد بما في الكتاب والسنة فلا ننفي عن ربنا تبارك وتعالى إلا ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ،

أما الصفات السلبية التي عند الأشعرية فقلت قبل قليل إنها ليست واقعة في حيز النفي ، ليس هناك ما يدل على أنها نفي و إنما أطلقوا عليها إسم صفات سلبية لأن الغرض منها ليس إثباتها بل نفي أضدادها.

إتضح لنا الآن الفرق بين الصفات السلبية عند أهل السنة والجماعة دخل عليها النفي فهي صفات منفية أما الصفات السلبية عند الأشعرية فإنما أطلقوا عليها اسم صفات سلبية لأن الغرض ليس إثباتها بل نفي أضدادها، هذه التي يُقال لها الصفات السلبية أوالسلبيات الخمس هي: البقاء والقدم والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية.

ويقولون: ليس الغرض إثبات هذه الصفات وإنما نفي أضدادها فعندما نقول البقاء المراد نفي العدم ، عندما نقول المخالفة للحوادث المراد نفي المشابهة للحوادث ، عندما نقول الوحدانية المراد نفي التعدد فهكذا كل صفة من هذه الصفات استخدموها لنفي أضدادها فهذه الصفات تُسمى عندهم الصفات السلبية لأنها تسلب وتنفي أضدادها وكذلك حين عدها عند الأشعرية تعد وتذكر مع أضدادها فهذه صفات خمس يُقال لها الصفات السلبية ،

وقد ذكرت سابقا أنهم أثبتوا صفات المعاني وهي سبعة والصفات المعنوية وهي سبعة والفرق بينهما أن هذه الصفات يقولون الحياة والعلم والقدرة و الإرادة والسمع والبصر والكلام ويقولون في الأخرى كونه حيا سميعا كونه قادرا كونه متكلما إلى آخره فهذه سبعة وسبعة كم صاروا ؟

أربعة عشر والصفات السلبية التي ذكرتها خمسة المجموع تسعة عشر.

بقي صفة نفسية واحدة وهي صفة الوجود فصار المجموع عندهم عشرون صفة هذه التي يستخدمونها في حق الله تبارك وتعالى.

فهذه عقيدة المسلمين عندهم إثبات هذه الصفات العشرين لله تبارك وتعالى.

فهذا إذن بذكر هذه الصفات السلبية عند الأشعرية أردت أن أختم هذه القاعدة كما قلت للأفاضل وفقهم الله تعالى بذكر مقارنة بين الصفات السلبية عند أهل السنة والجماعة والصفات السلبية عند الأشعرية .

هذا ما أردت بيانه في هذه المحاضرة ،

أسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعلمنا ما ينفعنا و أن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما إنه على كل شيء قدير

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله و أصحابه أفضل صلاة و أتم تسليم

والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة السادسة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه و سلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة و الأخوات في المحاضرة السادسة عشرة من مادة الأسماء و الصفات.

وسيكون الحديث في هذه المحاضرة عن قاعدة جديدة من قواعد الصفات ذكرها الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله تعالى- في كتابه القواعد المثلى، يقول في هذه القاعدة:

يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين: أحدهما التمثيل، والثاني التكييف.

فالإنسان إذا أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ينبغي أن ينتبه لهذين المحذورين وهما: التمثيل و التكييف فلا يقع فيهما.

وقد مر في محاضرة ماضية التفريق بينهما؛ بين التكييف والتمثيل .

■ **فالتكييف**: مأخوذ من الكيف ومعناه: **تعيين كنه الصفة**، يقال كيّف الشيء إذا جعل له كيفية معلومة. وكيفية الشيء حاله و صفته التي هو عليها.

و التكييف اصطلاحا: **جعل الشيء على حقيقة معينة، من غير أن يقيدها بمماثل.**

فالتكييف هي **أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل.**

إذن، هو مثبت لكنه لم يحذر من هذا المحذور الأول و هو التكييف.

■**والتمثيل :** مأخوذ من المثل و هو الند و النظير،

وهو الاعتقاد في صفات الخالق تبارك و تعالى أنها مثل صفات المخلوق، فالتمثيل هو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوق؛ فيقول الممثل: لله تعالى يد كيدي، سمع كسمعي، بصر كبصري.. تعالى الله عن قوله علوا كبيرا؛ فهذا أيضا محذور ثان يقع فيه من أثبت الصفات لله تبارك و تعالى، لذلك قال الشيخ رحمه الله تعالى **" من أثبت الصفات لله فعليه أن يحذر من هذين: من التكييف و التمثيل "**

وقد فهمنا أن التكييف والتمثيل ليسا بمعنى واحد؛ بل بينهما فرق، فيقال عن الممثل أنه مكيف، يقال كل ممثل مكيف ولا يقال كل مكيف ممثل؛

- لأن التكييف يكون بجعل صفة الرب سبحانه وتعالى على كيفية معينة من غير النظر إلى تمثيله بشيء من الخلق، يعني: يجعل صفة الرب على كيفية معينة دون أن يقوم بربطها بصفة من صفات المخلوقات.
- أما التمثيل: فهو أن يجعل صفة الرب على كيفية معينة مماثلة لصفة مخلوق من المخلوقات

لذلك قلنا كل ممثل مكيِّف وليس كل مكيّف ممثلا.
فتبين أن التكييف أعم من التمثيل، فالتمثيل إذن ذكر الصفة مقرونةً بمماثل، فإذا قلت صفات الله مثل صفات المخلوقين فهذا تمثيل لصفات الله تعالى، لأن المماثل المقارن قد ذكر هنا وهو تكييف أيضا لأنك جعلت لهذه الصفات كيفية مماثلة للمخلوقات.

وقد أخبرتكم أيها الأفاضل في محاضرة مضت أن أهل السنة يعتقدون بأن للصفات كيفية ولكن هذه الكيفية مجهولة، لذلك أهل السنة لا يكيّفون، يقطعون الطمع عن إدراك الكيفية، صفات الله لها كيفية لكنّ هذه الكيفية مجهولة، فينفون التكييف ولا ينفون الكيفية.

لذلك معنى قول أهل السنة والجماعة في تعريف توحيد الأسماء والصفات **" من غير تكييف "** أي من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد من قولهم " من غير تكييف " أنهم ينفون الكيف مطلقا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته سبحانه، لا يعلم كيفية صفاته سبحانه إلا هو سبحانه وتعالى.

إذن؛ لا علم لنا بكيفية صفاته تبارك وتعالى، فالله تعالى قد أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها، فلو تعمقنا في أمر الكيفية لكان تعمقنا قَفْواً لما ليس لنا به علم والله تبارك وتعالى يقول **{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم }** ولكان تعمقنا قولا بما لا يمكننا الإحاطة به.

وقد أخذ العلماء من قول إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله تعالى **" الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة "** أقول قد أخذوا من قوله رحمه الله هذا، أخذوا قاعدة ساروا عليها في هذا الباب؛ فالكيفية مجهولة، كيفية صفات الله تعالى مجهولة بالنسبة لنا، ولا يجوز لنا التعرُّض لها.

فصفات الله تعالى لها كيفية لا نعلمها، فنحن لا ننفي الكيفية، وإنما ننفي التكييف، ننفي العلم بالكيفية؛ فلا يعلم كيف هو إلا هو، ولا يعلم كيفية صفاته إلا هو سبحانه وتعالى.

لذلك هناك فرق بين التكييف والتمثيل كما قلت:

- **فالتكييف ليس فيه تقييد بمماثل.**
- **وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوق.**

■ **أما كلمة التشبيه:** وهي كلمة تستخدم أيضا عند بعض علماء أهل السنة إذا عرّفوا توحيد الأسماء والصفات.

فالتشبيه في اللغة: أصل يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا، وهو مصدر من شبَّه يشبّه تشبيها، ولو نظرنا إلى تصاريف كلمة شبَّه إلى هذه التصاريف جميعها لرأيناها تدل على مشابهة الشيء للشيء من بعض الوجوه؛ فيقال في اللغة فلان شبَهُ فلان أي بينهما تشابه في بعض الصفات.

أما التشبيه: فالتشبيه في اللغة :الشين والباء والهاء أصل يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا وهو مصدر من :شبَّه،يشبّه،تشبيهاً.

وتصاريف كلمة شبَّه جميعها تدل على مشابهة الشيء للشيء من بعض الوجوه، فيقال في اللغة: فلان شبه فلان أي بينهما تشابه في بعض الصفات، فإن اشترك شيئان في بعض الصفات فاختلطا فقد اشتبها،

يقال: شبَّهت هذا بهذا، ويقال أشبهتَ فلانا وشابهته، فالأولى شبهت هذا بهذا: اشتبه عليَّ بفلان لاشتراكهما في بعض الصفات، ولهذا يقال للأمور إذا صارت مشكلة احتاجت إلى تمييز تسمى مشبَّهات.

والتشبيه في الاصطلاح: هو وصف الله تعالى بشيءٍ من خصائص المخلوق، وذلك بأن يُثبت لله تعالى في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله من الخصائص مثلما يثبت للمخلوق من الصفات، فلو قال: لله يدٌ مثل أيدي المخلوقين أو وجهٌ كوجوههم أو أعطى ما هو من خصائص الله تعالى التي لا يماثله فيها شيء من مخلوقاته أعطاها لأحد من المخلوقات فهذا تشبيه.

إذن، يدخل في التشبيه من وَصَف الله تعالى بالصفات النقائص التي تعتبر خاصة بالمخلوق كالسِنة والنوم والفقر والعجز وغيرها من صفات النقص التي يجب تنزيه الله تعالى عنها لما فيها من النقص المضاد لصفات الكمال اللائقة به تبارك و تعالى.

فالتشبيه:

- إما أن تعطي الله تبارك وتعالى من خصائص المخلوق؛ من صفات النقص التي تعد خاصة بالمخلوق تجعلها لله تعالى فقد شبهت الخالق بالمخلوق.
- أو تصف الله بشيء من خصائص المخلوق فتثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته أو أفعاله من الخصائص مثلما يثبت للمخلوق من الصفات فهذا أيضا تشبيه للخالق بالمخلوق.
- أو تعطي ما هو من خصائص الله تعالى التي لا يُماثله فيها تبارك وتعالى شيء لأحد من خلقه فهذا تشبيه للمخلوق بالخالق.

هذا كله يقال له تشبيه، كله من تشبيه الخالق بالمخلوق أو من تشبيه المخلوق بالخالق.

فتشبيه الخالق بالمخلوق: أن تصفه تبارك و تعالى بصفات النقص التي تعد خاصة بالمخلوق أو تثبت لله تبارك وتعالى من وصفه تبارك وتعالى أن تصفه بشيء من خصائص المخلوق، فهذا من تشبيه الخالق بالمخلوق.

أما تشبيه المخلوق بالخالق فأن تثبت للمخلوق ما يختص به الخالق من الصفات و الأفعال، فتجعله كالشريك مع الله تعالى في الربوبية أو في الألوهية بصرف نوع من أنواع العبادة له أو بوصفه ببعض الصفات الخاصة بالله تبارك و تعالى.

وقد أشار إلى هذين النوعين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى يقول رحمه الله " التشبيه الممتنع إنما هو مشابهة الخالق للمخلوق في شيء من خصائص المخلوق، أو أن يماثله في شيء من صفات الخالق " يعني أن يماثله – المخلوق - في شيء من صفات الخالق، فأشار إلى نوعي التشبيه. فإن الرب تعالى منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق أو أن يكون له مماثل في شيء من صفات كماله.

إذن، أشار إلى نوعي التشبيه؛

- وقلنا **النوع الأول مشابهة الخالق بالمخلوق** وهذا يكون بتشبيه صفاته تبارك وتعالى أو ذاته بصفات المخلوق أو ذوات المخلوق أو ذوات المخلوقين.
- **والنوع الثاني مشابهة المخلوق للخالق** يكون بتشبيه أحد المخلوقات لله تعالى في شيء من أفعاله الخاصة به أو في شيء من خصائصه.

التشبيه كما اتضح لنا من خلال التعريف يكون في بعض الوجوه - من خلال التعريف - اتضح لنا أنه اشتراك في بعض الوجوه بخلاف التمثيل؛

فالتمثيل هو اشتراك في كل الوجوه، لذلك المماثلة التي تكلمنا عنها قبل قليل عند تعريف التمثيل هي مساواة الشيء للشيء من كل وجهٍ فهو مثله في كل شيء؛ في كل صفاته في ذاته.

والمشابهة هي مساواة الشيء لغيره في بعض الوجوه في جملة من الوجوه أو في أكثرها.

لذلك التمثيل و التشبيه بينهما فرق في أصل اللغة، فالتشبيه والتمثيل يُفرّق بينهما بأن التمثيل هو التسوية في كل الصفات والتشبيه هو التسوية في أكثر الصفات.

ولعل الأفاضل وفقهم الله تعالى لاحظوا معي أن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى هنا في هذه القاعدة أتى بكلمة " التمثيل " واستخدم هذه الكلمة كلمة التمثيل ولم يستخدم كلمة التشبيه؛ قال **" محذورين عظيمين وهما التمثيل و التكييف "** فأتى بهذه الكلمة.

واستخدام هذه الكلمة أولى لموافقتها للفظ القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى **{ ليس كمثله شيء }** وفي قوله سبحانه وتعالى **{ فلا تضربوا لله الأمثال }**

إذن، التشبيه لفظ فيه إجمال وفيه إبهام، فما من شيئين، ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق، والقدرُ المشتركُ إنما هو في الذهن، وليس فيما خرج عن الذهن سوى أعيان متباينة، وعند الإضافة لا يحصل الإشتراك.

إذن القدر الفارق: فيما يختص به كل من الشيئين، ما من شيئين إلا وهما متفقان في أمر من الأمور ولو في الوجود نفسه.

والشيخ رحمه الله كما قلت - ابن عثيمين رحمه الله - ترك كلمة التشبيه وأتى إلى كلمة التمثيل لموافقة لفظ القرآن الكريم، ومن يقرأ في كتب شيخ الإسلام رحمه الله تعالى - في كتب ابن تيمية- يرى أنه قد عدل في مواضع كثيرة عن لفظ التشبيه إلى لفظ التمثيل لأن الأخير –التمثيل- ورد به القرآن ونفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه بنص كتابه.

جرت مناظرة بين شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وبين خصومه حول كتاب العقيدة الواسطية، فقال له الشيخ رحمه الله في أثناء المناظرة مبيّنا أن مذهب السلف في الصفات هو إثباتها دون تحريف ولا تعطيل و لا تكييف ولا تمثيل، وتأملوا: استخدم لفظ التحريف ولم يستخدم لفظ التأويل، واستخدم لفظ التمثيل و لم يستخدم لفظ التشبيه. يقول لهم **" إني عَدَلْتُ عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف لأن التحريف اسم جاء القرآن بذَمِّه، وأنا تَحَرّيْتُ في هذه العقيدة** -أي العقيدة الواسطية- **اتباع الكتاب والسنة فنفيتُ ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي وإثبات لأنه لفظ له عدة معاني "** إلى أن وصل إلى كلمة التمثيل فقال **" وقلت أيضا: ذكرت في النفي التمثيل و لم أذكر التشبيه؛ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال { ليس كمثله شيء } وقال { هل تعلم له سميّا } وكان أحب إليّ من لفظ ليس في كتاب الله و لا في سنة رسول الله ﷺ وإن كان قد يُعنى بنفيه معنىً صحيحٌ كما قد يُعنى به معنى فاسد "** -يريد كلمة التشبيه-

و إن كان رحمه الله كما قلت في مواضع من كتبه يُسمي من يمثل صفات الباري تبارك وتعالى بصفات مخلوقاته يسميه مشبها ويسميه ممثلا.

يقول الله **" من قال له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضائي، أو يدانِ كيديّ، أو استواء كاستوائي كان مشبّها ممثلا لله بالحيوانات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل "** فذكر أن من قال له علم كعلمي أو قوة كقوتي أنه مشبه ممثل.

فالمشبه عند أهل السنة: هو من مثل الله بصفات خلقه؛ من مثل صفات الله بصفات خلقه؛ من مثل ذات الله بذات خلقه؛ من قاس صفات الله على صفات خلقه ولم يفهَم من صفات الله التي أطلقها الله تعالى على نفسه إلا ما يجده عند المخلوقين من صفات، فيحمل صفات الله تبارك وتعالى على صفات المخلوقين.

والشيخ رحمه الله - الشيخ ابن عثيمين رحمه الله- في هذه القاعدة بيّن أن التمثيل اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل؛ يعني هو باطل بالدليل السمعي وبالدليل العقلي، وقد عرفنا في محاضرات مضت المراد بالدليل السمعيّ ،

ما هو الدليل السمعيّ ؟

يقال له أيضا الدليل الخبري، ويسمى بالدليل النقلي، فهو آيات من كتاب الله تعالى وأحاديث من سنة رسول الله ﷺ

أما الدليل العقلي فمعلوم، دليل العقل، لكن الاحتكام الى العقول إلى كل واحد يحتكم إلى عقله والعقول متفاوتة. وقد تقدم أيها الافاضل في محاضرة مضت أن العقل لا يستقل أبدا بإثبات المطالب الإلهية؛ ولكنه لا يخالف ما جاء عن الله تعالى ولا ما صح عن رسول الله ﷺ

ولو رجعت بكم إلى المحاضرة الماضية؛ عندما تكلمت عن أن مِن الصفات ما هو خبري محضٌ ومنها ما هو خبري عقلي، فلا توجد صفات عقلية محضة ينفرد العقل بإثباتها؛ لا توجد صفة أبدا يقال إنها ثبتت بالدليل العقلي فقط دون ورود الدليل السمعي، وإنما قيل في بعض الصفات عند أهل السنة هي صفات خبرية عقلية لأن للعقل تدخلا في إثبات هذه الصفات مع السمع، مع الدليل السمعي، وقلنا هناك صفات خبرية محضة لا تدّخل للعقل في إثباتها ولولم يرد السمع فلا مجال لنا إلى إثباتها؛ وقلنا هذه التي تسمى بالخبرية المحضة.

هنا الشيخ رحمه الله تعالى يقول **" من الأدلة على إبطال التمثيل أدلة سمعية وأدلة عقلية "**

من الأدلة السمعية التي ساقها في إبطال التمثيل قوله تعالى **{** لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ **}**، فربنا تبارك وتعالى نفى المماثلة عن نفسه؛ ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله كما تقدم. وهذه الآية مرت معنا أيّها الأفاضل في محاضرة مضت، وهي أبلغ آية في باب التنزيه؛ من أراد تنزيه الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته فعليه أن يتدبر هذه الآية لأن الله تبارك وتعالى نفى المماثلة ثم أثبت لنفسه السمع والبصر، فأثبت لنفسه بعد أن نفى المثليّة أثبت هاتين الصفتين السمع والبصر، فقال **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**.

وقد ذكرت في محاضرة مضت أن أول هذه الآية فيه رد على الممثلة **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** وأن آخر هذه الآية فيه رد على المعطلة **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**، ولأجل ذلك - لأن آخر هذه الآية فيه رد على

المعطلة- كان آخرها ثقيلا على أذهان وآذان ونفوس المعطلة، فلقد غاضت هذه الآية – لا سيما آخرها – غاضت كثيرا من أهل البدع.

عمرو بن عبيد؛ وهو أحد رؤوس المعتزلة، يقول **" وددت لو أني حككت قوله تعالى { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } وكتبت (وهو العزيز الحكيم)"** ، يعني يقول: وددت لو أنني حككتها من المصحف، لماذا؟

لأنها إثبات مع تنزيه؛ يناقض تماما تعطيلهم بحجة التنزيه. هم عندما عطلوا احتجوا بالتنزيه، وهذه الآية في بدايتها تنزيه وفي نهايتها إثبات؛ فهي إثبات مع تنزيه، فهذا يناقض تعطيلهم بحجة التنزيه؛ عندهم تنزيه لكن عندهم تعطيل، وهذه الآية فيها تنزيه وفيها إثبات؛ فهي تناقض صنيعهم.

وروي عن رئيس من رؤسائهم وهو ابن أبي دؤاد؛ القاضي الذي شارك في تعذيب الإمام أحمد رحمه الله تعالى أيام المحنة، ابن أبي دؤاد قال للخليفة المأمون **" أحب أن تكتب على الكعبة أو على كسوة الكعبة (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم)"**؛ أراد أن يحرف القرآن لأن كلمة **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** تطعن في معتقد ابن أبي دؤاد الذي ينكر السمع والبصر بل ينكر كل الصفات الذاتية وكل الصفات الفعلية لله تبارك وتعالى.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله عن هذا القاضي؛ عن أحمد ابن أبي دؤاد أنه كتب فعلا على ستارة الكعبة (وهو العزيز الحكيم) بدل **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }.**

فهذه الآية أيها الأفاضل ترد على الممثلة الذين يقولون إن صفات الله كصفات المخلوقين؛ فيجعلون لله تعالى يدا كأيدينا ووجها كوجوهنا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فرد الله تعالى عليهم بهذه الآية وبآيات أخرى كقوله تعالى **{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }** أي شبيها ومثيلا، وكقوله تعالى **{ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ }** فنزه الله تعالى نفسه عن أن يكون له مثل.

إذن، <u>التنزيه الصحيح</u>: أن تثبت لله تعالى ما أثبت لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ثم تنفي المماثلة بين ما أثبتّ وبين صفات المخلوقين.

إذن؛ تنفي التمثيل لأن التمثيل محذور قد يقع فيه بعض الناس. وليس من التنزيه نفي الصفات؛ كما فعل بعض علماء الكلام.

والشيخ رحمه الله تعالى استدل أيضا على نفي التمثيل بقوله تعالى **{ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ }** يعني كيف تمثلون بين المخلوق وبين الخالق **{ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ }**، وبقوله **{ هل تعلم له سميّا }** هل تعلم له مسامياً، هل تعلم له مماثلا ؟ فربنا تبارك وتعالى ليس له مثيل جل وعلا، وبقوله **{ ولم يكن له كفوا أحد }**. فهذه الآيات استدل بها الشيخ رحمه الله تعالى وكلها دلت على نفي المماثلة عن الله تبارك تعالى، الله تعالى ليس كمثله شيء كما أخبر تعالى عن نفسه.

هذه الأدلة السمعية التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى لإبطال التمثيل.

وذكر رحمه الله أدلة عقلية على بطلان التمثيل، بين رحمه الله أن هناك أوجهاً عقلية دلت على إبطال التمثيل، من هذه الأوجه التي ذكرها – من هذه الأوجه العقلية- :

- الوجه الأول: **التباين الحاصل بين الخالق والمخلوق في الذات**؛ فالله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء في ذاته، التباين بين الخالق والمخلوق في الذات يلزم منه التباين في الصفات؛ علم ضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وكل عاقل يدرك أن بين الخالق وبين المخلوق تباينا في الذات، لأنه لو كان مماثلا للمخلوق لكان عاجزا عن خلقه، فالمماثل للشيء لا يخلق مماثلا مثله.

إذن هو مباين له وليس مثله، لذلك حتى الأشاعرة لو تذكرون أيها الأفاضل في المحاضرة الماضية، أثبتوا لله تعالى صفة سموها المخالفة للحوادث، تذكرون هذه ؟

قلت: هذه صفة من الصفات السلبية عندهم؛ المخالَفَة للحوادث. فمخالفة الخالق للحوادث -أي للمخلوقات- في ذواتهم تستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات.

قلت: الأشاعرة أثبتوا لله تعالى صفاتٍ سلبية – تذكرون ؟ في المحاضرة الماضية- خمس صفات، من هذه الصفات التي أثبتوها صفةٌ سموها: **المخالفة للحوادث**، هي صفة من الصفات السلبية، مخالفة الخالق للحوادث؛ ويعنون بالحوادث: المخلوقات، مخالفة الخالق للمخلوق في الذات تستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر وواضح في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات.

فإذا ثبت بالعقل التباين بين ذات الله تعالى وذوات خلقه فهذا يستلزم أيضا أن يكون بين صفات الله تعالى وصفات خلقه تباينٌ، لأن **الكلام في الصفات -كما قال العلماء- فرع عن الكلام في الذات يحذو حذوه**، فتقول في الصفات كما قلت في الذات.

فإذا كان الله تعالى في ذاته **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** فهو كذلك في صفاته **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.**

وتأملوا في التفاوت والتباين الموجود بين المخلوقات، بين المخلوقات أنفسهم، هل قوة البعير مثلاً كقوة النملة ؟ الذرّة ؟

هذا مخلوق وهذا مخلوق، فهناك تباين بين قوة هذا المخلوق و قوة هذا المخلوق مع اشتراكهما في الإمكان والحدوث؛ هذا ممكن الوجود ومُحدث و هذا ممكن الوجود ومُحدث. مع هذا الاشتراك في الإمكانية والحدوث وُجد تباين في صفة من الصفات. فدل على أن التباين في الذات يستلزم التباين في الصفات.

أشرت إلى كلمتين؛ لعل بعض الأفاضل يقول: ما المراد بهما ؟ أشرت إلى كلمة " إمكان "؛ **الإمكان:** كل ما عدا الله تبارك وتعالى يقال له ممكن؛ أي وجوده ممكن، وجوده جائز وليس بواجب، أما الله تبارك وتعالى فهو واجب الوجود؛ يخبر عن الله تعالى؛ عبارة عن تقسيم، تقسيم الموجودات إلى واجب وممكن، وهي مصطلحات استخدما أهل الكلام فاستخدمها أهل السنة في الرد عليهم، فالله تبارك وتعالى واجب الوجود وما عداه جائز الوجود أو ممكن – يعني ممكن الوجود -، فهذه المخلوقات التي في الكون كلها من الممكنات، وكلها قد اشتركت في الإمكان وفي الحدوث.

ما المراد بالحدوث ؟

أنها وجدت بعد أن لم تكن، حدثت، فهي مخلوقة، فهي ممكنة، وهي مخلوقة، ومع ذلك تباينت رغم أن هذا مخلوق وهذا مخلوق لكن هذا المخلوق تباين عن هذا المخلوق. فإذا وجد تباين بين هذا المخلوق وهذا المخلوق فظهور التباين بين المخلوقات وبين الخالق أجلى وأقوى.

هذا الوجه الأول من وجوه دلالة العقل على عدم المماثلة.

- أما الوجه الثاني من وجوه دلالة العقل علي عدم المماثلة، وأن المماثلة مستحيلة بين المخلوق والخالق أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل في ذاته، الكامل في صفاته، الكامل في أفعاله، كيف يكون هذا الرب العظيم سبحانه وتعالى مشابها للمخلوق الناقص المفتقر إلى من يكمله ؟

كيف يكون مشابها للمخلوق الذي خلقه هو سبحانه وتعالى ؟ كيف يكون مشابها للمربوب الذي رباه هو سبحانه وتعالى بالنعم الحسية والمعنوية ؟
فالمخلوق ناقص فقير، والنقص والفقر في المخلوق صفتان ذاتيتان كما أن الكمال والغنى للخالق تبارك وتعالى صفتان ذاتيتان.
إذن؛ بينهما بون شاسع وفرق كبير؛ فالمخلوق ناقص والرب تبارك وتعالى كاملٌ، المخلوق فقيرٌ والرب تبارك وتعالى غنيٌ، فكيف يكون المخلوق الناقص المفتقر إلى من يكمله مشابهاً لمن أعطى بعض مخلوقاته ما يناسبها من الكمال كالسمع والبصر والعلم ؟
فإذا كان الله تبارك وتعالى يعطي بعض مخلوقاته بعض صفات الكمال فهو أولى بالكمال المطلق، فمعطي الكمال أولى بالكمال.
وهل اعتقاد المشابهة والمماثلة بين المخلوق والخالق إلّا تنقُّص لحق الخالق تبارك وتعالى ؟

إن تشبيه الكامل بالناقص يجعل الكامل ناقصا؛

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

نقُص قدرُ مخلوقٍ عندما قورن بمخلوق، فما بالك لو قورن بين الخالق الكامل سبحانه وتعالى مع المخلوق الناقص ؟

- الوجه الثالث من أوجه الدلالة العقلية على بطلان التمثيل أن يقال: لا يلزم من الاتفاق في الاسم الاتفاق في الحقيقة.

إننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الاسم لكنه يختلف في الحقيقة والكيفية، نشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل، أليس كذلك ؟ يدُ الانسان ليست كيد الفيل، الإنسان له قوة لكنها ليست كقوة الجمل، الإنسان له رأسٌ لكنه ليس كرأس الجبل، مع أن هذه المخلوقات اتفقت في الاسم؛ هذه يدٌ وهذه يد، هذه قوة وهذه قوة، هذا رأس وهذا رأس، لكنها اختلفت في الحقيقة، بينهما تباين في الكيفية والوصف والجميع مخلوق.
فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة، وخصوصا بعد إضافة صفة الله تعالى إلى الله وصفة المخلوق إلى المخلوق.
فإذا قلتَ: سمعُ الله وسمعُ زيدٍ انتفت المشابهة بينهما تماما، وإذا قلت علم الله وعلم المخلوق انتفت المشابهة لأن هذه الإضافة إضافة تخصيص، فإذا قلنا: علم الله هذه الإضافة خَصَّصَت صفة العلم بالله تعالى، وأيُّ مخلوقٍ يستحيل أن يشارك الله تعالى في علمه، كما أن الرب تبارك وتعالى منزهٌ أن يشارك المخلوق في علمه، وإنما يقع الاشتراك كما قلت للأفاضل في محاضرات مضت في المطلق الكلي؛ يعني قبل أن تضاف الصفة إلى الله وقبل أن تضاف الصفة إلى المخلوق يقع الاشتراكُ في العلم المطلق غير المضاف، في السمع المطلق الغير المضاف، في البصر المطلق الغير مضاف، ومعلومٌ أن هذا المطلق كما قلت لكم سابقا لا وجود له في الخارج، إنما هو في الأذهان. أما علم الله تبارك وتعالى الذي هو من صفاته فهو علمٌ محيطٌ بجميع المعلومات، علمٌ لم يسبق بجهلٍ، علم لا يطرأ عليه نسيان أو غفلةٌ أو ذهول، علمٌ قديم قدم الذات، علم باق ببقاء الذات.. وعلمه تبارك وتعالى علمٌ كاملٌ محيط؛ هل أحدا يشارك الله في هذا العلم ؟
الجواب: لا، هذا علم الله أما علم المخلوق علم المخلوق فإنه علم يناسب المخلوق؛ فعلم المخلوق علم ناقص، علم غير محيط بجميع المعلومات، قال ربنا تبارك وتعالى **{وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}**؛ علم مسبوق بجهل، علم مكتسب اكتُسِب فيما بعد؛ الله تعالى يقول عن المخلوقات يقول عن الإنسان **{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}**؛ إذن عندما ولدنا، ولدنا لا نعلم شيئاً، فعلمنا مسبوق بجهل، لكن ربنا تبارك وتعالى جعل لنا من وسائل اكتساب العلم ما تعلمنا به، وهذا الذي تعلمناه قليل **{وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}**.

وهذا العلم الذي للمخلوق يزول؛ فزيدٌ ينسى وعمرو يجهل وبكرٌ يغفل، أما ربنا تبارك وتعالى فإنه لا يضل ولا ينسى -سبحانه وتعالى- علمه سبحانه وتعالى لم يسبق بجهل ولا يطرأ عليه نسيانٌ، هل أحد يشارك الله في هذا العلم ؟ لا مشاركة، لا مشاركة بين صفات الخالق و صفات المخلوق بعد أن تضاف صفة الله إلى الله وصفة المخلوق إلى المخلوق.
إذن؛ لا مشاركة بين الخالق والمخلوق في صفات الخالق وفِي صفات المخلوق بعد الإضافة، فلا يشبه الخالق تعالى بالمخلوق لعدم المشاركة بينهما في الصفات بعد الإضافة.

وقد تقدم أن المشبهة نوعان:

- نوع شبه الخالق بالمخلوق
- ونوع شبه المخلوق بالخالق

• أما من شبه الخالق بالمخلوق فصنفان:

- صنف شبه ذات الخالق بذوات مخلوقاته، أو كيف الذات دون أن يربطها بمخلوق.
- وصنف شبه صفات الله تعالى بصفات مخلوقاته.

والحقيقة أيها الأفاضل أن مرض التشبيه مرضٌ خطيرٌ، ودخل على هذه الأمة من قِبل الرافضة؛ أول ما دخل على أمة محمد صلي الله عليه وسلم مرض التشبيه كان من جهة الرافضة، وُجدوا في فترة من الفترات شبهوا ذات الله تعالى بذوات مخلوقاته، بدعوى أننا خوطبنا بما نعقل، وزعموا أننا لا نعقل من الذات إلا ذاتاً كذواتنا ولا نعقل من الصفات إلا صفات كصفاتنا، فبدأُ ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض ودخل عليهم التشبيه من قبل اليهود.

تأملوا في كلام فخر الدين الرازي، فخر الدين الرازي إمام من أئمة الأشعرية، يقول **" اعلم أن اليهود أكثرهم مشبهة -أكثر اليهود مشبهة- و كان بدوّ ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض، مثل بنان بن سمعان الذي كان يثبت لله تعالى الأعضاء و الجوارح، وهشام ابن الحكم، وهشام ابن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأبو جعفر الأحول الذي كان يدعى شيطان الطاق، وهؤلاء رؤساء علماء الروافض "**

هذا كلام فخر الدين الرازي، ذكره في كتابه اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، من أراد أن يعود إليه في الصفحة 63، فيقول: هؤلاء رؤوس علماء الروافض كلهم كانوا مشبهة.

بل أول من عرف عنه في الإسلام أنه قال إن الله جسم هو هشام ابن الحكم، يقول الجاحظ -والجاحظ كما يعلم الاحبة هو رأس من رؤوس المعتزلة-، يقول في كتابه الحجج في النبوة **" ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله "**

هذه الكلمات التي قالها الجاحظ تأملوا فيها، يقول **" ليس على ظهرها رافضي "** يعني: ليس على وجه الأرض أحد من الرافضة **" إلا و هو يزعم أن ربه مثله "**.

و على منواله - منوال هشام ابن الحكم - في التشبيه نسج الرافضي الآخر هشام بن سالم الجواليقي، يقول عبد القاهر البغدادي -وعبد القاهر البغدادي أيضا إمام من أئمة الأشعرية- يقول **" زعم هشام ابن الحكم**

أن معبوده جسم ذو حد و نهاية، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه " و قال: **إن هشام ابن سالم الجواليقي كان مفرطا في التجسيم والتشبيه لأنه زعم أن معبوده على صورة الإنسان وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان.** و ذكر أن يونس بن عبد الرحمن القمي أيضا كان مفرطا في التشبيه، و ساق بعض أقواله في هذا.

ابن حزم ينقل قول هشام أن ربه -تعالى الله عن هذا القول- سبعة أشبار بشبر نفسه.

الاسرائيني نقل مقالة هشام ابن الحكم وهشام الجواليقي و أتباعهما في التجسيم ثم قال **" والعاقل بأول وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته لم يكن له في الإسلام حظ "**، و استفاض عن هشام ابن الحكم و من تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها.. وراجعوا كتب الفرق وتأملوا فيها.

ممن نقل ذلك عن الروافض أيضا الجاحظ؛ وهو رأس من رؤوس المعتزلة كما قلت قبل قليل، قال **" وتكلمت هذه الرافضة وجعلت له صورة وجسدا، وكفّرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير، وكان داوود الجواربي** -من كبار متكلمي الرافضة- **يزعم أن ربه لحم و دم على صورة الآدمي "**

هذا كلام نقله الآخرون عنهم و ليس كلام أهل السنة الخالصة.

أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- في مقالات الإسلاميين يتكلم و يذكر من القائلين بالتجسيم قال **" و قال داوود الجواربي** -و هو رأس من رؤوس الرافضة- **إن الله جسم، وإنه جثة على صورة الإنسان، لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه "**

فهذه نقولات نقلها العلماء وبينوا أن هؤلاء هم أول من أدخل التجسيم على معتقد المسلمين.

يقول السمعاني صاحب كتاب الأنساب **" وأما الهشامية الأخرى** - يتكلم عن الهشامية الأولى وهي اتباع هشام ابن الحكم، وذكر الهشامية الثانية قال: - **فهم أصحاب هشام ابن سالم الجواليقي، كان يزعم أن معبوده جسم وأنه على صورة الإنسان ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور ساطع يتلألأ بياضا له حواس خمس كحواس الإنسان ويد ورجل وسائر الأعضاء، و أن نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت، وعنه أخذ داوود الجواربي قوله إن معبوده له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج و اللحية "**

أستغفر الله و أتوب إليه من نقل هذه المقالة.

هذا ذكرها السمعاني في كتاب الأنساب عن داوود الجواربي، وداوود الجواربي كان رأسا من رؤوس الرافضة.

فالرافضة في أول أمرهم كانوا مشبهة وهم الذين أدخلوا التشبيه على معتقد بعض المسلمين.

داوود الجواربي كما قال الشهرستاني في الملل و النحل **" كان يقول للناس اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك ".**

فأقول: هذه نقولات نقلت عن هؤلاء، أنهم هم من أدخلوا مذهب التجسيم والتشبيه على المسلمين.

ثم أتت **الكَرَّامِيَّة**، والكرامية إحدى فرق المرجئة؛ كانت تقول بالتشبيه وتزعم أن الله تعالى جسم، وانتسبوا إلى شيخهم ابن كَرَّام الذي ينتهي في إثبات الصفات إلى التشبيه والتجسيم؛ فيقول: يد كأيدينا، سمع كأسماعنا ...إلى آخر هذه العبارات.

وهؤلاء كلهم أيها الأفاضل من فرق الضلال.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعصمنا بالتقوى، نسأل الله تبارك و تعالى أن يجعلنا ممن يعتصم بكتابه وبسنة رسوله ﷺ

نسأل الله تبارك و تعالى أن يجعلنا من أتباع محمد ﷺ و ممن يقتفي سنته و يتبع صحابته رضي الله تعالى عنهم.

أكتفي بهذا في هذه المحاضرة، وأكمل إن شاء الله في المحاضرة القادمة ما يتعلق بالتكييف.

صلى الله على نبينا محمد و على آله و أصحابه أجمعين

و الحمد لله رب العالمين.

المحاضرة السابعة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة و السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

حيّاكم الله أيّها الإخوة والأخوات في المحاضرة السابعة عشر من مادّة الأسماء والصفات.

وقد قلت لكم في المحاضرة الماضية أنّني سأكمل القاعدة التي ذكرها العلاّمة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى والذي قال فيها **" إنّ الذي يثبت الأسماء والصفات لله ربّ العالمين عليه أن يحذر من أمرين اثنين خطيرين وهما: التمثيل والتكييف "**

وقلت للأفاضل -وفقهم الله تعالى- إنّ المؤلف رحمه الله تعالى ذكر أنّ التشبيه كالتمثيل، وأنّه قد نُفرِّق بينهما بأن يقال:

التمثيل هو التسوية المطلقة؛ فنقول هذا مثل هذا أي في كلّ الصفات،

والتشبيه تسوية في أكثر الصفات؛ لذلك ليس بلازم أن يكون المشبَّه كالمشبَّه به، فإذا قلت: زيد كالأسد، هل صار زيد كالأسد في كلّ شيء ؟!

الجواب لا، بل فقط في الشجاعة، فإنّما يُراد بالتشبيه هنا أنّ زيدا كالأسد في الشجاعة.

ففي التشبيه لا يلزم أن يكون المشبّه كالمشبّه به، ولكن في التمثيل إذا قيل مثله أُريدَ به التسوية في كلّ الصفات.

وإن كان هذا التفريق الدقيق كما قلتُ ليس محلّ اتفاق، لكن التعبير بنفي التمثيل كما سلف أولى لموافقة لفظ القرآن الكريم، فإنّ الله تبارك و تعالى عندما أخبر عن نفسه جلّ وعلا قال **{ ليس كمثله شيء }.**

فالمطلوب أن نحرِص على استعمال الألفاظ التي أتت في الكتاب والسنّة لا سيما ما كان منها في حق الله تبارك وتعالى، ونحن كما يعلم الأفاضل نستخدم لفظ [الفوقية] في حق الله تبارك و تعالى لأنّ الله تبارك و تعالى قد ذكر هذا في كتابه عندما أخبر عن ملائكته فقال { يخافون ربّهم من فوقهم }، وكذلك العلوّ من الألفاظ الذي نستخدمها، و كذلك الاستواء، لكنّنا لا نستعمل لفظ المكان ولا الجهة لا نفيا ولا إثباتا؛ لأنّ هذه الألفاظ مُجملة وهي تحتمِل حقّا وباطلا، فلو أُثبتت خُشِيَ أن يكون قصد مُثبتها من إثباتها المعنى الباطل، ولو نُفِيت خُشِيَ أي يكون قصدنا فيها من نفيها نفي المعنى الحق؛ فلو سُئل سائل: هل نُثبِت لله تعالى جهة ؟

نقول له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنّة لا إثباتاً ولا نفيا، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تبارك وتعالى في السماء. ما معنى أن الله تبارك وتعالى في السماء ؟

في قوله تبارك وتعالى في سورة الملك في موضعين **{ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ }** ويريد نفسه تبارك وتعالى؛ [في بمعني على] أو [في تبقى على بابها ويكون السماء بمعنى العلوّ] لأن لفظ السماء تطلق وما يراد بها عدة إطلاقات:

- **تطلق كلمة السماء على السحاب**

- **وتطلق على هذه الأجرام التي بناها ربنا تبارك وتعالى** كما قال سبحانه { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ }

- **وتطلق على مطلق العلوّ** كما قال ربنا تبارك وتعالى عن نفسه { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ }

فهذه الآية الكريمة **{ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ }** إما أن نفسّرها، إما أن نفسّرها فنقول: أأمنتم من في العلو؛ فالعلو المطلق نثبته لربنا تبارك وتعالى؛ فهو عالٍ على جميع مخلوقاته وهو عالٍ علي عرشه.

والعرش سقف المخلوقات، والله تبارك وتعالى عالٍ على عرشه؛ فالعرش هو أعلى المخلوقات وهو أعظم المخلوقات، وربنا تبارك وتعالى فوق العرش علا وارتفع عليه فهو مستوٍ على عرشه استواءً يليق به تبارك وتعالى لا لحاجته إلى العرش وليس العرش يحمل رب العالمين، فالله تبارك وتعالى أكبر وأعظم من أن يحمله مخلوق، والرب سبحانه هو الذي يحمل عرشه؛ ويحمله حملة العرش بقدرته تبارك وتعالى، وهو سبحانه غنيٌّ عن العرش وغنيٌّ عن جميع خلقه.

فالعلو إما أن يراد به مطلق العلو في قول الله تبارك وتعالى **{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ }** أي: أأمنتم من فوق السموات؛ من في العلو المطلق تبارك وتعالى، أو تكون "في" بمعنى: على كما هي قواعد اللغة العربية في إنابة حروف الجر بعضها عن بعض؛ فتكون في بمعنى على كما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى.

لو تأملنا في قوله سبحانه **{ فسيروا في الأرض }** ليس معناها: قوموا بحفر نفق في الأرض وسيروا في جوف الأرض، بل معناها سيروا على الأرض؛ فالله تبارك وتعالى على سماواته سبحانه وتعالى، سيروا على وجه الأرض لأن " في " فُسرت بـ " على "، وليس هذا بتأويل بل حروف الجر تتناوب فينوب بعضها عن بعض.

نعود إلى السؤال الذي ذكرته سابقا: هل نثبت لله تعالى جهةً ؟

قلنا لفظ الجهةِ لم يرد في الكتاب ولا في السنة لا إثباتاً ولا نفياً، ويغني عنه ما ثبت في الكتاب وما ثبت في السنة من أن الله تبارك وتعالى فوق السماء، فوق العرش، وفوق المخلوقات كلها تبارك وتعالى.

والله سبحانه أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، كيف يحيط به شيء من مخلوقاته إذا كان الكرسي موضع القدمين والكرسي كما قال الله تبارك وتعالى عنه **{ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ }** فهذا الكرسي قد وسع السماوات والأرض.

والعرش فوق جميع المخلوقات، ولا أحد يقدر قدره إلا الله تبارك وتعالى، فالله فوق العرش سبحانه وتعالى عالٍ عليه جل وعلا، وهو أكبر وأعظم من أن يحيط به شيء سبحانه وتعالى.

وعلوه تبارك وتعالى قد ثبت بأدلةٍ كثيرة، هذه الأدلة أكثر من أن تحصى أوصلها بعضهم إلى قرابة الألف دليل، وابن القيم رحمه الله عندما ألَّف كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية أورد فيه الكثير من الأدلة.

<u>وأدلة العلو تنقسم إلى أنواع:</u>

1. أدلة من الكتاب.

2. أدلة من السنة.
3. أدلة من الإجماع.
4. أدلة من العقل.
5. أدلة من الفطرة.

كلها تشهد وتدل أن ربنا تبارك وتعالى في علو، سبحانه وتعالى.

وصفة العلو غير صفة الاستواء، فصفة العلو صفة ذاتٍ؛ وقد مرّ معنا أنّ الصفات الذاتية لم تزل ولا تزال وهي لا تنفكّ، والله تبارك و تعالى لا يزال في علو سبحانه وتعالى، والعلو صفة ذاتية.

وصفة الاستواء صفة فعل، فالاستواء علوٌّ خاص بالعرش.

فعلينا أن نفرّق بينهما؛ بين صفة العلو وصفة الاستواء، والله تبارك و تعالى هو العليّ الأعلى وهو فوق الخلق استوى ولا يحيط به شيء من مخلوقاته تبارك و تعالى.

فأقول هذه الكلمات التي ذكرتها لعلها ألقت الضوء على شيء ممّا مرّ معنا في الدرس السابق، وكنت قد توقفت عند كلمة " تكييف " لأنّي بدأت بكلمة " تمثيل " المحذور الأكبر الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى، وكلمة " التكييف " المحذور الأكبر الآخر الذي ذكر الشيخ رحمه الله تعالى.

و قلت للأفاضل حفظهم الله تعالى: قد تقدّم المراد بالتكييف في المحاضرة الماضية وهي أنّ المثبت للصفة يعتقد أنّ كيفية هذه الصفة على هيئة معينة وعلى شكل معيّن من غير أن يقيّدها بمماثل، وقد ذكر الشيخ رحمه الله تعالى أنّ هذا الاعتقاد اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل؛ فذكر أدلة سمعية وأدلة عقلية على بطلان التكييف كما ذكر في الدرس الماضي أدّلة سمعية وعقلية على بطلان التمثيل.

ما الأدلة التي ساقها الشيخ -رحمه الله تعالى- لبيان بطلان التكييف ؟

قال المؤلف -رحمه الله- **" أما السمع "** وقد فهمنا مراده بالسمع؛ فأراد الأدلة السمعية؛ الأدلة النقلية، **" أما السمع على نفي التكييف فمنه قوله تعالى {و لا يحيطون به علما } "**

نحن نعلم ربنا ..رب العالمين سبحانه و تعالى بأسمائه وصفاته، نعرفه بآلائه، نعرفه من النظر إلى آياته الكونية ولكننا لا نحيط به علما، إذ لا أحد يحيط بالله علما، بل الله وحده هو الذي قد أحاط علما بجميع خلقه سبحانه و تعالى، أما المخلوق: فلا.

فإنه لا يحيط بخالقه علما، لا يحيط علما بذاته ولا يحيط علما بصفاته.

تعلمنا من الصفات ما أخبرنا الله تبارك وتعالى به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، لكن هذه الصفات التي علمناها لم نحط بها علما؛ فلا نعلم كيفيتها، فنحن نعلم الصفة لكننا لا نعلم كيفيتها لأن ربنا تبارك وتعالى ورسولنا ﷺ أخبرنا عن هذه الصفات لكنه لم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفها قَفْوًا لما ليس لنا به علم وقولا مما لا يمكننا الإحاطة به، والله تبارك و تعالى يقول **{ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا }**؛ فقد قطع الطمع من محاولة إدراك الكيف؛ إذ لا علم لنا بكيفية صفات ربنا تبارك وتعالى؛ لا كيفية سمعه ولا كيفية بصره ولا كيفية نزوله ولا كيفية مجيئه، لأن ربنا سبحانه أخبرنا عن هذه الصفات جميعها في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ لكنه سبحانه وتعالى لم يخبرنا عن كيفيتها؛ فقال سبحانه **{ وجاء ربُّكَ والمَلَكُ صفًّا صفًّا }** وقال رسولنا ﷺ **" ينزل**

ربنا " ونحن لا نعلم كيفية مجيئه سبحانه ولا كيفية نزوله سبحانه؛ فيكون تكييفنا قفوا لما ليس لنا به علمٌ وقولاً لما لا يمكننا الإحاطة به.

فلو كيّفنا أن نزول الرب تبارك وتعالى على هيئة كذا وكذا أو أن مجيئه سبحانه وتعالى على هيئة كذا وكذا، او أن استواءه جلا وعلا على هيئة كذا وكذا، إلى آخر صفاته سبحانه لكنّا قد قلنا على الله تعالى بغير علم وبما لا يمكننا الإحاطة به.

ولذلك قال إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى لما قال له السائل - قرأ عليه قول الله تعالى **{ الرحمن على العرش استوى }** -: كيف استوى ؟ السائل قال للإمام **{ الرحمن على العرش استوى }** كيف استوى ؟ ولم يقل له: **{ الرحمن على العرش استوى }** ما معنى استوى ؟ فرقٌ بين السؤالين؛ لم يسأل عن معنى الاستواء وإنما عن كيفية الاستواء.

وهذا السؤال وجهه للإمام رحمه الله تعالى هذا الرجل؛ سأل الإمام هذا السؤال في وقت ظهرت فيه فتنة علم الكلام وانتشر فيه الجدل. والإمام مالك رحمه الله تعالى كان من أبغض الناس للجدل؛ الجدل الباطل المراء الباطل الذي استخدمه أهل الكلام، وهو صاحب المقولة المشهورة **" أوَ كل ما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ لجدله "**؛ نترك لقوله، لجدله الباطل، لمرائه المذموم، نترك قول ربنا ونترك قول رسولنا ﷺ ؟

فالرجل كما قلت للأفاضل حفظهم الله تعالى سأل مالكا عن الكيفية، ولم يقل له: ما معنى استوى ؟، ولو قال للإمام مالك: ما معنى استوى ؟ لم يكن الإمام ليستغرب ولم تكن الرحضاء قد علته كما جاء في الأثر؛ علته الرحضاء، بل كان أجابه وبين له المعنى، إذ ربما كان أعجميا لا يعرف معنى استوى فيبين له، أما من يتقن اللغة العربية فإنه لا يسأل عن معنى استوى ولا عن معنى جاء ولا عن معنى أتى ولا عن معنى نزل ولا سائر معاني الصفات؛ لأنها معلومة.

من يتقن اللغة العربية يعلم أن فعل استوى إذا تعدى بـ على يكون بمعنى العلو والارتفاع، وإذا تعدى بـ إلى يكون بمعنى القَصْد، وهو يعرف كيف يتصرف الفعل استوى بحسب حروف الجر وبحسب التعدي.

لكن هذا الرجل لم يسأل عن المعنى، لعلمه بالمعنى، بل قرأ على الإمام رحمه الله تعالى هذه الآية **{ الرحمن على العرش استوى }** وعقّب على ذلك بقوله: كيف استوى ؟ فسأل عن أمر لا يعلمه أحد؛ سأل عن علم الكيفية، لا يعلمه أحد؛ لا الامام مالك؛ ولا أستاذ الإمام مالك: ربيعة، ولا أحد من الصحابة، بل ولا رسول الله ﷺ يعلم كيفية صفات ربه تبارك وتعالى.

لذلك استغرب الإمام واندهش وعلته الرحضاء، وفي النهاية قال كلمته المشهورة **" الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة "**

فقوله **" الاستواء غير مجهول "** أي أن الاستواء معلوم، معلوم المعنى، فالمعنى معلوم، ومن يتقن اللغة العربية يعلم معنى الاستواء.

وقوله **" الكيف غير معقول "** أي أن الكيف مجهول، وهذا محل الشاهد؛ أن الكيف مجهول، فكيفية استواء الله تعالى على عرشه مجهولة للخلق، وكذا كيفية نزوله، وكذا كيفية مجيئه، وكذا كيفية غضبه

وفرحه، وكذا كيفية سائر صفاته سبحانه وتعالى سواء أكانت صفاته ذاتية أم فعلية، وسواء أَوَقعت خبرية محضة أو خبرية عقلية، فكلها كيفيتها مجهولة، كيفية صفات الله تعالى كلها مجهولة.

قال **" والإيمان به واجب "** أي الإيمان بالاستواء، والإيمان بسائر الصفات واجب تصديقاً لخبر الله، فالإيمان باستواء الله على عرشه شُعبة من شعب الإيمان، والسؤال عنه، عن أي شيء سأل السائل ؟

قال: كيف ؟

فالسؤال عن الكيفية بدعة، وهي من البدع التي أحدثها أهل الكلام لأنهم أرادوا التفتيش عن الكيفية، وما رأوا أمامهم إلا كيفيةً مخلوقة، ففروا من إثبات الصفة خشية تشبيه الخالق بالمخلوق.

إذن؛ السؤال عن الكيفية بدعة، بدعةٌ أحدثها أهل الكلام، وبدع أهل الكلام إنما بدأت في وقت قريب من الإمام مالك رحمه الله تعالى؛ ظهرت في عهد تابعي التابعين، والإمام مالك رحمه الله تعالى إمام من أئمة تابعي التابعين.

وهذا الذي قاله الإمام مالك رُوِي قريبا منه، عن شيخ الإمام مالك؛ عن ربيعة الرأي رحمه الله تعالى أنه قال أيضا " الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول "

وأهل العلم بعدهما ساروا على هذا الميزان الذي وضعه الإمام مالك، فاعتبروا كلام الإمام مالك رحمه الله قاعدةً وميزاناً للجواب عن كل سؤال يَرِدُ في كيفية صفات الرب سبحانه وتعالى، فأي سؤال في أي صفة من الصفات، سواء أكانت في القدرة، في الإرادة، في العلم، في الحياة...، لو سئل الأشعرية - وهم يثبتون هذه الصفات - لو سألهم المعتزلة عنها ماذا يقولون عن الكيفية ؟ سيقولون: مجهولة، فلماذا لا يقولون في بقية صفاته تبارك وتعالى كقولهم في هذه الصفة ؟

كذلك لو سئل سائل عن كيفية غضب الله تعالى، عن كيفية رحمته، عن كيفية فرحه.. وهذا السؤال يسأله الأشاعرة لمن أثبت هذه الصفات؛ لأهل السنة، كذلك ستكون الإجابة بنحو جواب الإمام مالك رحمه الله تعالى، لأن الصفات كلها تجري مجرى واحدا.

فأي أحد من أهل الكلام وجه لك سؤالا في كيفية صفة من صفات الرب سبحانه وتعالى فعليك بهذا الميزان الذي وضعه الإمام رحمه الله تعالى.

هذا بالنسبة للأدلة أو الدليل السمعي أو ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى من أدلة سمعية.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى الأدلة العقلية؛ فقال **" وأما العقل؛ فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له أو بالخبر الصادق عنه "**

كم أمراً ذكر ؟ ذكر ثلاثة.

قال **" وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها "**

- **1* الأمر الاول :** قال **" لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته "** والحقيقة هذه الجملة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى هي معنى كلام السلف رحمهم الله **" الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحذو حذوه "**
ونحن آمنّا بالذات العليّة و لم نكيف، آمنّا بذات ربنا تبارك و تعالى إيمان وجود و تسليم، فيجب أن يكون إيماننا بصفات ربنا تبارك و تعالى إيمان وجود و تسليم؛ هذا معنى قول الشيخ رحمه الله **" إلا بعد العلم بكيفية ذاته "** لأن الكلام في الصفات كالكلام في الذات.
ونحن بالاتفاق عاجزون عن أن ندرك كيفية ذات ربنا سبحانه وتعالى، إذن علينا أن نعترف بعجزنا عن معرفة كيفية صفاته تبارك وتعالى.
هذا الأمر الأول؛ يقول الشيخ -الأمر الأول- **" لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته "**
- **2* الأمر الثاني:** قال **" أو العلم بنظيره المساوي له "**؛ لو كان لله تبارك و تعالى نظير مساوٍ لقسنا على ذلك النظير المساوي؛ فنقول: رأينا نظيرا لله تبارك و تعالى - تعالى الله عن قول هذا - ونقوم بالقياس بين هذا النظير وبين الله تبارك وتعالى، لكن ربنا سبحانه و تعالى ليس له نظير؛ **{ ليس كمثله شيء }** فعلى أي شيء نقيس ؟
- **3*** قال الإمام رحمه الله -الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى- **" أو بالخبر الصادق عنه "**؛ كأن يخبر ربنا تبارك و تعالى عن كيفية ذاته أو كيفية صفاته، فنحن علينا كما أتانا الخبر عن صفاته و جاءنا عن الكيفية فنخبر و نثبت ما أخبر الله تبارك و تعالى به وما أخبر رسوله ﷺ
إذن؛ الخبر الصادق عن الله تبارك و تعالى: إما من الله تبارك و تعالى وإما يخبر عن ذلك رسوله الأمين المأذون له في التحدث عن الله تعالى بما أوحى اليه الله تعالى.
فالله تعالى ما أخبرنا عن كيفية استوائه، ولا رسوله ﷺ أخبرنا عن كيفية استواء ربه.

فإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكفّ عن البحث عنه.

انتفى الدليلان العقلي و الشرعي، ومسألة ليس عليها دليل شرعي ولا سبيل للعقل إلى إدراكها لا يجوز لك ان تخوض فيها بل يجب الكف. فإذا كان الكيف غير معقول؛ يعني أن العقل لا يستطيع أن يدرك الكيفية، ولم يأتنا خبر عن ربنا تبارك وتعالى، فكيف لنا أن نخوض في الكيفية ؟ !

ذكرت لكم أيها الأفاضل في المحاضرة الماضية أن **العقل لا يستقل في المطالب الالهية، بل لا يستقل العقل في إثبات الصفات فضلا عن الكيفية**؛ لو لم يرد نص أن الله تبارك و تعالى مستوٍ على عرشه ما تجرأنا على القول بهذا، ولو لم يخبرنا رسولنا ﷺ عن نزول ربه تبارك وتعالى كل ليلةٍ لما تجرّأ أحد أن يقول بنزول الرب تبارك و تعالى.

فإذا كان العقل ليس في إمكانه أن يستقل بإثبات صفات الله تعالى فكيف يدرك كيفية صفات الله ؟ هذا أبطل من باب أولى.

قال الشيخ رحمه الله بعد أن ذكر هذه الطرق الثلاث، قال **" وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها "** يعني باختصار يقول رحمه الله: إذا أردت أن تذكر كيفية شيء فيجب أن تكون قد رأيته أو رأيت له مثيلا أو جاءك خبر عن هذه الكيفية، فالله تبارك و تعالى لم يره أحد، فكيف نكيّف ذاته أو نكيف صفاته ؟ والله تبارك وتعالى ليس له مثيل، فكيف نقيس عليه سبحانه وتعالى ؟ والله

تعالى لم يخبرنا عن كيفية ذاته ولا كيفية صفاته ولا رسولُه ﷺ أخبرنا عن كيفية الذات وكيفية الصفات، فهذه طرق كما قال الشيخ رحمه الله تعالى منتفية، لأن الله لم نره ولا نظير له حتى نقيس عليه، وليس هناك خبر صادق عنه سبحانه أو عن رسوله ﷺ في معرفة كيفية الصفات حتى نعتمد على ذلك الخبر.

قال الشيخ رحمه الله **" وحينئذٍ يجب الكفّ عن التكييف "**؛ فإذا كان الأمر كما ذُكر؛ ليس له مماثل حتى نقيس عليه، لم يأتِ خبر يبين الكيفية؛ **" وجب الكف عن التكييف تقديرا بالجنان "** – بالقلب-؛ لا نتوهم ولا نقدّر في نفوسنا هذا التكييف **" أو تقريراً باللسان "** لا نقرر بلساننا؛ لا نقول بلساننا إنه على كيفية كذا وكذا، **" أو تحريرا بالبنان "**؛ لا نكتب بأيدين أن كيفية صفاته كذا وكذا، لأن الإنسان مسؤول عما يكتب أمام الله تبارك وتعالى.

فلا تكتب بخطّك غير شيءٍ يسُرُّكَ في القيامةِ أن تراهُ

هذا هو الدليل العقلي الذي ذكره الشيخ رحمه الله لإبطال التكييف.

ذكر بعده، قال **" وأيضا فإننا نقول: أي كيفية تقدرها أيها المقدر للصفات الله تعالى ؟**

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

والتقدير إنما يتم لو كان لله مثيل نقيس عليه، فإذا كان لامثيل له، فما الكيفية التي ستقدرها لله تعالى في ذهنك ؟ كل كيفية قدرتها فهي محض أوهام وخيالات باطلة، وأي كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

" وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبا فيها، إذ لا علم لك بذلك.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم انه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك."

فأنت يا طالب العلم كن دائما مع ربك، لا تعتمد على ذكائك ولا على سعة اطلاعك، بل خَفْ من نزغات الشيطان والجأ الى الكريم الرحمن دائما فإنه يقيك نزعات الشيطان بإذنه، قال ربنا تبارك وتعالى **{ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم }.**

هذه القاعدة التي بدأت الحديث عنها في المحاضرة الماضية أكملتها في محاضرة هذا اليوم، وأبدأ معكم الآن بقاعدة أخرى ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى.

هذه قاعدة ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى في باب الصفات، وقد تقدم لها نظير في المحاضرات الأولى في قواعد الصفات وكذا في قواعد الأسماء، وهي:

أن صفات الله تعالى توقيفية.

يتوقف الإنسان فيها على ما ثبت في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله ﷺ، والعقل لامجال له فيها على انفراده؛ لا يستقل العقل بإثبات الصفات للرب تبارك وتعالى، إلا أن العقل لا يرفض ما ثبت في النقل الصحيح.

وقلت هذه قاعدة مرت لكن الشيخ رحمه الله تعالى زاد لها من البيان والتوضيح ما استدعى ذكرها مرة أخرى.

فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، وهذا معنى قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى **" لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث ."**

هذا الكلام الذي قاله الإمام أحمد رحمه الله تعالى قاله إجابة لمن كان يسأله أيام المحنة، عندما كان يمتحن أمام الخليفتين المعتصم بالله والواثق بالله من خلفاء بني العباس بعد أن سَلِم من المثول أمام المأمون، لأن المأمون مات قبل أن يصل إليه الإمام أحمد رحمه الله، وتم التعذيب والامتحان أمام المعتصم والواثق بالله، وكانوا يسألونه عن صفة من صفات الله وعن القرآن الكريم أمخلوق هو؟ فيقول في القرآن: كلام الله. فيعيدون عليه السؤال، فيقول **" لا أزيد على هذا، هو كلام الله "**. فيسأل عن الصفات فيقول **" لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث "**

ولا ينبغي أن نفهم أن هذه الجملة التي قالها الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- هي مذهب له فقط، بل هذا مذهب جميع الأئمة؛ الأئمة الأربعة و غيرهم، بل هو مذهب جميع أهل السنة قديما وحديثا: لا نتجاوز في وصف ربنا تبارك و تعالى القرآن والحديث، إذ لا يصف الله أعلم من الله، ولا يصف الله من خلقه أعلم من رسوله ﷺ.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله- في ما رواه عنه يونس بن عبد الأعلى وقد سئل عن صفات الله تعالى فقال **" لله أسماء و صفات لا يسع أحدا قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها ،فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرويّة و الفكر "** هذا كلام الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-.

و تأملوا أيها الأفاضل ترون بأن كلام الإمام أحمد و كلام شيخه الإمام الشافعي -رحمهما الله تعالى- كلام متناسق فهو يخرج من مشكاة واحدة.

قال أبو بكر الحميدي في مسنده - يذكر أصول السنة - فذكر من أصول السنة **" و ما نطق به القرآن والحديث مثل {وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ } ، و قوله { والسَّمَاوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ }، و ما أشبهه لا نزيد فيه ولا نفسره ونقف على ما وقف عليه القرآن و السنة، و من زعم غير هذا فهو مبطل جهمي "**

فكلام الإمام أبي بكر الحميدي رحمه الله تعالى قريب من كلام الإمامين الشافعي و أحمد رحمهما الله تعالى، فنحن لا نزيل عن ربنا تبارك وتعالى صفة من صفاته، بل نثبت له ما أثبت لنفسه وما أثبت رسوله، لا نزيد ولا ننقص ولا نفسر بغير ما فسر به؛ يعني لا نأتي بغير اللغة العربية، لأن من أوَّل وحرَّف أتى إلى معنى اليد فقال: نعمة و قدرة، ففسرها تحريفا لها و ليس إثباتا لمعناها الحقيقي، لذلك قال **" نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة و من زعم غير هذا فهو مبطل جهمي "**.

و تأملوا في قول الإمام الترمذي رحمه الله تعالى - صاحب الجامع الصحيح؛ أحد السنن الأربعة -، يقول رحمه الله **" و قال أهل العلم في أحاديث الصفات مثل حديث النزول و ذكر القدم واليدين: نوقن بهذا كله فلا يقال كيف ؟ مع اعتقاد نفي التشبيه وينسبون من أنكرها إلى الجهمية ، وأما الجهمية فقالوا: هذا تشبيه ثم تأوّلوه، و قال أهل العلم: هي صفة الله، وإنما التشبيه أن يقول: سمع كسمع و يد كيد "**

هذا كلام الترمذي -رحمه الله تعالى-، خرج من نفس المشكاة التي خرج منها كلام الأئمة قبله.

انظروا إلى كلام إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة رحمه الله تعالى، يقول **" الأخبار في الصفات نقلها الخلف عن السلف على سبيل الصفات لله والمعرفة له والتسليم بما أخبر مع اجتناب التأويل وترك التمثيل ".**

و تأملوا في قول الإمام بن سريج -رحمه الله- و قد سئل عن صفات الله تعالى فقال **" حرام على العقول أن تمثل الله وعلى الأوهام أن تحده وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم.**

و قد صح عند جميع أهل السنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب على المسلم الإيمان بكل واحد منها كما ورد؛ مثل قوله {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام } { وجاء ربك و الملك صفّا صفّا}، و نظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر والضحك والتعجب والنزول " و ذكر صفات إلى أن قال **" اعتقادنا فيها أن نقبلها فلا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ونسلّم الخبر لظاهره والآية لظاهر تنزيلها ".**

وقال إمام المفسرين؛ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى في كتابه [التبصير في معالم الدين] " القول فيما أُدرك علمه من الصفات خبرًا نحو إخباره أنه سميع بصيرٌ وأن له يدين بقوله { بل يداهُ مبسوطتانِ } وأن له وجها بقوله { ويبقى وجه ربّكَ } وأن له قدما بقول النبي ﷺ " حتى يضع الرب فيها قدمه " وأنه يضحك بقوله " لقي الله وهو يضحك إليه " وأنه يهبط إلى سماء الدنيا بخبر رسوله بذلك وأن له إصبعا بقول رسول الله ﷺ " ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن " فإن هذه المعاني التي وصفتُ و نظائرها مما وصف الله به نفسه ورسول الله ﷺ مما لا يثبت حقيقةُ علمه بالفكر والرويّة "

بأي شيء يثبت إذن ؟ بالكتاب والسنة.

فهذا كلامهم رحمهم الله تعالى.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي **" مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها إثباتها وإجرائها على ظاهرها ونفس الكيفية والتشبيه عنها، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله**

فإن كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، - لا إثبات تحديد وتكييف -. **فلو قلت يدٌ وسمعٌ وبصرٌ وما أشبهها فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول إن معنى اليد: القوة والنعمة، ولا معنى السمع والبصر: العلم.**

ونقول: إنما وجب القول بإثبات هذه الصفات لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لأن الله لا يشبهه شيء، قال { ليس كمثله شيء } وعلى هذا جرى قول علماء السلف في أحاديث الصفات "

فتأملوا في هذه الأقوال أيها الأفاضل؛ كلها أقوال متسقة متوافقة متعاضدة يقوي بعضها بعضاً.

يقول الحافظ الذهبي رحمه الله بعد أن ذكر جملة من أقوال العلماء في إثبات الصفات **" ولو ذكرنا قول كل من له كلام في إثبات الصفات من الأئمة لاتسع الفرق، وإذا كان المخالف لا يهتدي عن ذكر ما أتت نُقول الإجماع على اثباتها من غير تأويل أو لا يصدقه في نقلها فلا هداه الله، ولا خير والله فيمن رد على مثل الزُهري ومكحول والأوزاعي والثوري والليث بن سعد ومالك وابن عُيينة وابن المبارك ومحمد بن الحسن والشافعي والحميدي وأبي عبيد وأحمد بن حنبل وأبي عيسى الترمذي وابن سُريج وابن جرير الطبري وابن خزيمة وزكريا الساجي وأبي الحسن الأشعري ومن يقول مثل قولهم من الإجماع مثل: الخطابي وأبي بكر الإسماعيلي وأبي القاسم الطبراني وأبي احمد العسال وأبي الحسن الدارقطني وأبي عبد الله بن بطة وأبي عبد الله بن منده وأبي بكر الباقلاني وأبي القاسم اللالكائي وأبي نُعيم صاحب الحلية "** وذكر أئمة وعلماء كثيرين، ثم قال رحمه الله تعالى بعد أن ذكرهم **" هؤلاء هم قلب اللُب ونقاوة الأمة في كل عصر، من لم يهتدِ بقول هؤلاء ويتبع أقوالهم هو متبعٌ غير سبيل المؤمنين ."**

فأقول أيها الأفاضل: كل هذه الأقوال دلت على أن صفات الله تعالى توقيفية، وأن مستندنا في إثبات صفات الله تبارك وتعالى هو الخبر؛ قول الله وقول رسوله ﷺ.

والشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى لما ذكر مطلع هذه القاعدة ذكر أوجه معرفة الصفة من الكتاب والسنة فقال **" ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:**

- **الأول: التصريح بالصفة؛ كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين والعينين ونحوها؛"** يأتي تصريح إما في كتاب الله تعالى أو فيما ثبت عن رسول الله ﷺ، **{ ولله العزة } { إن بطش ربك لشديد } { ويبقى وجه ربك } { ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديَّ }**.. آيات وأحاديث كثيرة كلها أثبتت الصفات لله تبارك وتعالى، فتُثبت الصفة بهذا التصريح.

قال **"**

- **الثاني: تضمن الاسم لها "** - وهذه قاعدة مرت معنا من قواعد الأسماء؛ أن الأسماء، كل اسم تضمن معنىً وصفةً **" فالغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن لصفة السمع، ونحو ذلك "** من أسماء الله تعالى؛ العليم متضمنٌ لصفة العلم، ونحو ذلك.

قال **"**

- **الوجه الثالث: التصريح بوصف أو فعل دال عليها** - يعني دال على الصفة- **كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين "**

هذه صفات أفعال؛ فالاستواء صفة فعل، والنزول صفة فعل، والمجيء صفة فعل، والانتقام صفة فعل، **" الدال عليها على الترتيب** – على ترتيب هذه **الصفات قوله تعالى { الرحمن على العرش استوى }** " هذه آية في صورة طه، وهناك ستة مواضع في كتاب الله تبارك وتعالى صرح الله تبارك وتعالى فيها باستوائه على العرش، كما يليق به سبحانه لا كاستوائنا. **" وقول**

النبي ﷺ " ينزل ربنا إلى السماء الدنيا " فنزوله كما يليق به سبحانه وتعالى لا كنزولنا، **" وقول الله تعالى { وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا } "** فمجيئه سبحانه وتعالى يليق به لا كمجيئنا، كذلك إتيانه لفصل القضاء كما يليق به. **" وقوله تبارك وتعالى { إنّا من المجرمين منتقمون } "** فانتقام يليق بالله تبارك وتعالى، ليس انتقامه كانتقامنا، لأن الأشعرية عندما صرفوا هذه الصفة وعطّلوها قالوا هذا يستلزم لوازم المخلوق من غليان الدم وإرادة...

وقد علمتم أيها الأفاضل وفقكم الله تبارك وتعالى من خلال محاضرات مضت: أن لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق؛ لوازم صفة الاستواء، قد قلت لكم سابقا: أن الله تبارك وتعالى استوى على العرش من غير حاجة إليه، لكنّ المخلوق إذا استوى على شيءٍ فإنه يحتاج إلى هذا الشيء الذي أقَلَّه. وقد قلت لكم سابقا: إن ربنا تبارك وتعالى هو الذي يحمل العرش ويحمل حملته بقدرته سبحانه وتعالى؛ ليس محتاجا للعرش ولا لحملَة العرش، بخلاف المخلوق؛ لو أن المخلوق استوى على دابّة، استوى على كرسي، يلزم أن يكون أكبر مما استوى عليه أو مساويا له أو أصغر منه، مثل هذه اللوازم لا تلزم صفات ربنا تبارك وتعالى، لأننا أثبتنا له ذاتا تليق به سبحانه مستندين إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ وما أجمع عليه السلف، ولم نثبت لذاته لوازم ذاتنا؛ تذكرون كلمات كثيرة قلتها لكم في محاضرات مضت: يليق بكماله، من أسمائه السلام: السالم من كل نقص، من كل عيب، قدوس سبحانه وتعالى لا تلحقه الآفات ولا الأوصاب ولا الأوجاع **{ لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم }**، له الكمال في كل شيء.. فذاته تبارك وتعالى ذات كاملة، أما ذات المخلوق فهي ذات ناقصة مفتقرة موصوفة بكل نقص، فالنقص يليق بالمخلوق، والكمال يليق بالخالق .

فذات ربنا تبارك وتعالى لم نثبت لها لوازم ذواتنا، فالكلام في الصفات كالكلام في الذات تماما؛ فلا يلزم من نزول الرب تبارك وتعالى لوازم نزول المخلوق من الانتقال من مكان إلى مكان وأن يكون المكان الذي انتقل منه فوقه.

وقد قلت لكم سابقا بأن صفة العلو صفة ذاتية، وعرفنا أن الصفة الذاتية التي لم يزل الله ولا يزال متصفا بها؛ وهي التي لا تنفك عن الذات، فربنا تبارك وتعالى لايزال في علوّ؛ له صفة العلوِّ المطلق، وأما نزوله وهو صفة فعلية فإنه لا يتعارض مع علوّه، فالرب تبارك وتعالى يبقى في علوّ حتى في نزوله سبحانه وتعالى، وهذا يختلف عن لوازم صفة النزول بالنسبة للمخلوق، فإن المخلوق إذا نزل انتقل من علو إلى سُفْل.

واضح أيها الأفاضل ؟

إذن؛ أقول مرة أخرى: بأننا لا نثبت لوازم صفات المخلوق؛ لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق، فلوازم صفة الاستواء للمخلوق، لوازم صفة النزول للمخلوق، لوازم أي صفة من صفات المخلوق لا تلزم صفة الخالق.

والذي أوقع المخالفَ فيما وقع فيه: ظنّه أنه لو أثبت الصفة للخالق لأثبت لها لوازم صفة المخلوق، فوقع في التشبيه أولا، ثم أراد أن يفرّ منه فوقع في التعطيل، لذلك قال **العلماء " من عطَّلَ فقد مثَّلَ أولاً " " من عطَّل فقد شبَّه أولاً "** فوقع في نقيصتين، في محذورَيْن: في التشبيه والتمثيل والتعطيل؛ فر من التمثيل فوقع في التعطيل.

فلوازم صفاتنا لا تلزم صفات الرب تبارك وتعالى. فربنا تبارك وتعالى **{ ليس كمثله شيء }** في ذاته ولا صفاته حتى نُنزِّل لوازم صفات خلقه على صفاته عز وجل.

كانت هذه قاعدة ذكرها الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى في كتابه الذي كتبه لبيان قواعد الأسماء والصفات.

أسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا مقتفين لسلف هذه الأمة، نثبت لربنا تبارك وتعالى ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

هذا والله أعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحاضرة الثامنة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
وبعد:
فحياكم الله، أيها الإخوة والأخوات مع المحاضرة الثامنة عشرة من مادة الأسماء والصفات، وسيكون الكلام بإذن الله تعالى في هذه المحاضرة، عن شبهات تشبث بها المخالفون لأهل السنة والجماعة في نفي علو الله تبارك وتعالى على خلقه واستوائه جل وعلا على عرشه، وهذه الشبهات هي **شبهة الجهة والمكان والحيز**، فقد تمسكوا بها زاعمين أن اتصاف الرب تبارك وتعالى بالعلو والاستواء على عرشه يقتضي تحيزه وأنه في جهة ومكان.

وقالوا: لو حملنا نصوص الفوقية والعلوّ على ظاهرها وأثبتنا صفة العلو والفوقية على حقيقتها للَزم كون الله تعالى في جهة، وأن يكون تعالى قد أحاط به مخلوقاتُه .
وأقول للأفاضل: هذه الألفاظ التي استخدمها المخالفون؛ لفظ الجهة والمكان و الحيز من الألفاظ المجملة، وللسلف رحمهم الله تعالى موقف منها؛ موقف عام وموقف خاص من كل لفظ من هذه الألفاظ.

- **أما موقفهم العام:** فإن الموقف العام من هذه الألفاظ ومن الألفاظ الأخرى المجملة البدعية التي لم تأت في الكتاب ولا في السنة، يتسم الموقف بما يلي:

- أولا: رجوعهم رحمهم الله تعالى إلى الكتاب والسنة، واحتكامهم إلى الكتاب والسنة في كل ما اختُلِف فيه، فتراهم يعرضون كل شيء على الكتاب والسنة، ويبينون أن عدم المعرفة بنصوص الكتاب والسنة قد أوقع أهل البدع فيما وقعوا فيه من الحيرة والضلال.
وقد أرشدوا رحمهم الله تعالى إلى أن الكتاب والسنة هما مصدر الهدى، وموطن البيان، ومورد الشفاء، فمن طلبهما واحتكم إليهما وجد فيهما من النصوص القاطعة للعذر في المسائل المختلف فيها ما فيه شفاء للعليل ورَيٌّ للغليل.
- الأمر الثاني : أن السلف رحمهم الله تعالى ركزوا اهتمامهم بالنظر إلى هذه الألفاظ المجملة التي استخدمها المخالف، وإلى ألفاظ أخرى لم يأت بها الكتاب ولا السنة، أقول: ركزوا اهتمامهم على بيان ما في هذه المقدمات من الإجمال، وما يُقصد بها من المعاني، حتى إذا أوضحوا ما تريد بها كل طائفة أو ما يُقصد بها في لغة العرب صوّبوا من أراد بها معنى حقا، وخطّئوا من قصد بها معنى باطلا، وبينوا حكم إطلاق هذا اللفظ في جنب الله تبارك وتعالى، وبينوا حنكة أهل السنة والأئمةِ في الإمساك عن هذه الألفاظ وعن استخدامها، ثم ذكروا دِلالتها على فساد قول النفاة.
كما قلت: هذه الألفاظ التي استخدمها المخالف يُطلق عليها الألفاظ المجملة، والسلف رحمهم الله تعالى في طريقة تعاملهم مع هذه الألفاظ بينوا أن الألفاظ عموما؛ هذه المجملة وسواها، فاللفظ عموما، أو الألفاظ عموما تكون على نوعين:
_ نوع منها شرعي ورد به الكتاب والسنة،
_ ونوع آخر بدعي لا يُوجد في الكتاب ولا في السنة؛ فلم يرد في كلام الله تعالى ولا في كلام رسوله ﷺ.

ولا شك أن الأفاضل وفقهم الله تعالى قد عرفوا الآن أن الألفاظ المجملة التي أريد الكلام عنها في هذه المحاضرة هي من النوع الثاني من هذين النوعين؛ هل هي ألفاظ شرعية؟
الجواب: لا، لم يرد بها الكتاب ولا السنة، فهي ألفاظ بدعية لا أصل لها لا في الكتاب ولا في السنة.
ونفاة الصفات إذا أرادوا نفي شيء مما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الصفات العلا، فإنهم يعبرون عن مقصودهم بألفاظ مجملة، ليتوهم من لا يعرف مرادهم أن قصدهم تنزيه الرب

وتوحيده، وقد قلت لكم في المحاضرة الماضية أن الشعار الذي رفعه الجهمية ورفعه المعطلة هو شعار التنزيه، زعموا أنهم يريدون تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة مخلوقاته، فعطلوا الباري جل وعلا عن صفاته التي اتصف بها؛ التي وصف بها نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، لذلك أهل البدع عندما يرفعون شعار الألفاظ المجملة، يتوهم من لا يعرف مرادهم أن قصدهم تنزيه الرب تبارك وتعالى وتوحيده سبحانه وتعالى.

والملاحظ على أصحاب الألفاظ المجملة أنهم يسوقون لألفاظهم معانٍ لم تأت، هذه المعاني، لم يأت بها الكتاب ولم تأت بها السنة، بل ولم ترد في لغة العرب أيضا، فيردون بهذه المعاني المعنى الحق الذي جاء في الكتاب وجاءت به السنة أو الذي ورد في لغة العرب، أما سلف هذه الأمة رحمهم الله تعالى، فموقفهم من هذه الألفاظ المجملة واضح بحمد الله تعالى، فإنهم يمنعون من إطلاقها لما فيها من لبس الحق بالباطل، ولما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة، وهم رضوان الله عليهم يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه أو ينفونه عن ربهم تبارك وتعالى من الصفات، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع، أما من أتى بلفظ مجمل، يحتمل حقا وباطلا، فهم ينسبونه إلى البدعة؛ يقولون: أنت أتيت بلفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة واستخدمت هذا اللفظ في حق الرب تبارك وتعالى .

يتكلم شيخ الإسلام رحمه الله عن طريقة السلف مع الألفاظ المجملة؛ يقول **" فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا نسبوه إلى البدعة أيضا، وقالوا إنما قابل بدعة ببدعة ورد باطلا بباطل."**
هذا كلامه رحمه الله تعالى عن طريقة السلف في التعامل مع الألفاظ التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة.
وموقفهم من اللفظ المجمل الذي قاله المبتدع أنهم لا يجوزون لأحد أن يوافق من نفاه أو من أثبته، حتى يَستفسر عن مراده، فإن أراد به معنىً يوافق خبر الله وخبر رسوله ﷺ أقروا به، وإلا ردوه على صاحبه.

بأي شيء أقروا؟
أقروا بالمعنى لا باللفظ، لأنه لفظ مبتدع، فلا يُقبل، وإنما يُنظر إلى معناه؛ ما مرادك به ؟ فإن أراد معنى حقا قبلوا المعنى الحق وردوا اللفظ المبتَدع، وهذا يُعرف عندهم بالاستفصال.

لذلك الألفاظ المجملة عندما يتكلم بها المخالف أمام الناس، يظن من يسمع هذه الألفاظ أنه لا يدخل فيها إلا الحق، والحقيقة أنه قد دخل فيها الحق والباطل، فمن لم ينقب عنها، أو يستفصل المتكلم بها، كما كان السلف والأئمة يفعلون، صار متناقضا أو مبتدعا من حيث لا يشعر.
لذلك الألفاظ المجملة يصح نفيها باعتبار، وكذلك يصح إثبات معناها باعتبار آخر، فمن نفاها مطلقا صار مبتدعا من حيث لا يشعر، ومن أثبتها مطلقا صار متناقضا من حيث لا يشعر.

إذن ما هو الموقف السليم مع الألفاظ هذه المجملة ؟
الحق في هذا الباب ما درج عليه سلف الأمة رحمهم الله تعالى من الاستفصال عن مراد من تكلم بلفظ مجمل، فإن فهموا مراده عرضوه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن كان موافقا لما جاء به الرسول ﷺ كان المعنى الذي أراده مقبولا، وإلا ردوا اللفظ والمعنى على صاحبه.
أظن الكلام اتضح الآن في الموقف العام بالنسبة للألفاظ المجملة، فهم رحمهم الله تعالى يراعون الألفاظ الشرعية، عرفنا ما المراد بالألفاظ الشرعية، التي في الكتاب والسنة، ويتبعون النص في النفي والإثبات.

ولعل الأفاضل وفقهم الله تعالى يذكرون في المحاضرة الأولى، عندما تكلمنا عن منهج السلف رحمهم الله تعالى في باب الأسماء والصفات، تكلمنا عن الإثبات وعن النفي وعن ما سُكت عنه؛ فما أُثبِت أثبتوه، وما نُفي نفوه، وما سُكت عنه لم يتكلموا فيه بنفي ولا إثبات.
أما بالنسبة للألفاظ الشرعية فهم يتبعون النص في النفي و الإثبات، فما لم يرد لفظه في الشرع نفيا أو إثباتا لا يثبتونه ولا ينفونه، بل يردون اللفظ ويستفسرون عن المعنى المراد كي لا ينفوا برد اللفظ البدعي معنىً شرعيا أو يثبتوا بإثبات اللفظ البدعي معنى فاسدا بدعيا، فهم يستفصلون من قائل هذه الألفاظ عن مراده بها، فإن أراد معنى صحيحا موافقا للكتاب و السنة قُبل منه المعنى دون اللفظ، وإن أراد معنىً فاسدا مخالفا للكتاب والسنة رُد عليه المعنى واللفظ معا.

وهذه الألفاظ التي سأتكلم عنها في هذه المحاضرة هي من هذا القبيل؛ ألفاظ الجهة و المكان والحيز هي ألفاظ مجملة فتُعامل معاملة الألفاظ المجملة، وقد عرفنا كيفية التعامل مع هذه الألفاظ.

شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ذكر موقفه من هذه الألفاظ، فقال **" إطلاق هذا اللفظ نفيا أو إثباتا بدعة، وأنا لا أقول إلا ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة."**
وهذا الموقف منه رحمه الله تعالى ليس بِدْعا، بل هو موقف موافق لما كان عليه السلف الصالح، فهو مقتف لطريقتهم، متبع لآثارهم ومنهجهم، يفعل كأفعالهم في مراعاة الألفاظ الشرعية وعدم إطلاق الألفاظ البدعية نفيا ولا إثباتا.

فالألفاظ التي لم تأت الرسل فيها بنفي ولا إثبات كلفظ الجهة والحيز والمكان ونحو ذلك لا يُطلق نفيها ولا إثباتها إلا بعد بيان المراد، فاللفظ المجمل الذي لم يرد في الكتاب والسنة لا يُطلق في النفي والإثبات حتى يتبين المراد به، كما إذا قال القائل الرب متحيز أو غير متحيز؟ أو هو في جهة أو ليس في جهة ؟ قِيل هذه الألفاظ مجملة لم يرد بها الكتاب والسنة لا نفيا ولا إثباتا، ولم ينطق بها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لا نفيا ولا إثباتا، لذلك كان حقها الاستفصال من قائلها عن مراده بها.

ولما كانت كما قلت هذه الألفاظ؛ الجهة والمكان والحيز ألفاظا مجملة، فإنه يُستفسر من قائلها عن مراده بها كي يُقبل المعنى الصحيح ويُرد المعنى الفاسد، إذ لكل لفظ من هذه الألفاظ معناه المتعارف عليه عند أهل اللغة.

لكن المبتدعة كما أسلفت قبل قليل لم يتقيدوا بالمعنى اللغوي، بل زادوا عليه من المعاني الفاسدة التي تتماشى مع معتقداتهم الشيء الكثير، فصار كل لفظ من هذه الألفاظ يُراد به في اصطلاح المبتدعة ما هو أعم من معناه اللغوي؛

فالنفاة لهذه الألفاظ نفوا بنفيها ما فيها من حق وما زادوه من باطل.
والمثبتون لهذه الألفاظ أدخلوا في معناها ما هو مخالف للغة وما هو مخالف لقول السلف الصالح رحمهم الله تعالى.
أما السلف الصالح رحمهم الله كما مر فإنهم لا يقبلون الألفاظ المجملة، ويستفصلون من قائلها عن مراده من إطلاقها، فإن ذكر معنى صحيحا قُبل المعنى ولكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص الشرعية دون الألفاظ المجملة، وإن ذكر معنى فاسدا رُد المعنى واللفظ معا.
فإذا كانت الألفاظ ليست شرعية، فالعبرة للمعاني لا للألفاظ، فلو سمى المبتدعة علو الله تبارك وتعالى على خلقه واستواءه جل وعلا على عرشه تحيزا أو أنه في مكان أو أنه في جهة فلا يجوز إبطال صفته تبارك وتقدس لأجل تسمية مبتدعة ولقب مغرض، إذ العبرة للمعاني لا للمباني، ومن أطلق هذه الألفاظ يُستفسر عن مراده، فيُقبل منه ما وافق الكتاب والسنة، و يُرد عليه ما ناقضهما .

لو بدأنا أولا الاستفصال مع مُطلق لفظ الجهة نفيا أو إثباتا.

أقول: **للناس في إطلاق لفظ الجهة ثلاثة أقوال: طائفة تثبتها، وطائفة تنفيها، وطائفة تفصل.**

والطائفة التي تفصل: هم المتبعون للسلف رحمهم الله تعالى، لأن طريقتهم مع الألفاظ المجملة، ومنها لفظ الجهة طريقة معلومة، موافقة لما عليه السلف، فهم لا يطلقون نفيها ولا إثباتها، فمن نفاها كما مر، ينفي بنفيها ما فيها من الحق وما أدخل عليه من الباطل، لأن المبتدعة بنفيهم الجهة، ما الذي يريدونه ؟
إنما يريدون نفي علو الله على عرشه وفوقيته جل وعلا على خلقه، فإذا نفوا الجهة نفوا المعنى الحق الذي فيه إثبات صفتي العلو والفوقية لله تبارك وتعالى، ونفوا ما أدخلوا عليه من باطل أيضا، وسيأتي هذا الباطل الذي أدخلوه؛ أن يكون الله تبارك تعالى عن هذا القول في مكان أو في جهة تُوجد فيها مخلوقات، أو يحيط به تبارك وتعالى مخلوقاته.

ومن أثبتها أثبت الجهة على الإطلاق؛ أدخل في معناها ما هو مخالف للغة وللكتاب والسنة.

ومن بين هاتين الطائفتين ظهرت وسطية أهل السنة أتباع السلف الصالح رحمهم الله تعالى في استفصالهم عن مراد قائليها من إطلاقها.
وقبل أن يخوضوا في الاستفصال مع مُطلِق لفظ الجهة، يذكر أتباع السلف رحمهم الله أن هذا اللفظ قد يُراد به ما هو موجود، وقد يُراد به ما هو معدوم؛ يعني قد يُراد به الجهة الوجودية، وقد يراد به الجهة العدمية.

ومرادهم بالوجود والعدم ما هو بالنسبة للمخلوق، إذ لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فحيث وُجد المخلوق فالجهة جهة وجودية بوجوده، وحيث عُدم المخلوق، فالجهة عدمية لعدم وجوده.
فمن قال إن الله في جهة يُسأل: أتريد أنه في جهة يوجد فيها غيره؟ كالعرش أو نفس السماوات، وما غير الله تعالى كما يعلم الأفاضل فهو مخلوق، أم تريد أنه في جهة لا يوجد فيها غيره جل وعلا ؟ وهي ما فوق العالم حيث تنعدم المخلوقات.
فلفظ الجهة قد يُراد به:

- شيء موجود غير الله تبارك وتعالى، فيكون مخلوقا، لأن ما سوى الله تبارك وتعالى فهو مخلوق، كما إذا أُريد بالجهة نفس العرش أو نفس السماوات.
- وقد يُراد به ما ليس بموجود غير الله تبارك وتعالى، كما إذا أُريد بالجهة كما قلت قبل قليل ما هو فوق العالم،

ومعلوم أنه ليس في الكتاب ولا في السنة استخدام لفظ الجهة، لا نفيا ولا إثباتا، لكن الذي في الكتاب والسنة لفظ العلو والاستواء والفوقية والعروج إلى الله تبارك وتعالى، والأدلة على ذلك كثيرة كما قلت لأحبتي وفقهم الله تعالى في محاضرة مضت: أوصلها البعض إلى قرابة الألف دليل كلها تدل على علو الله تبارك وتعالى وفوقيته سبحانه وتعالى فوق خلقه.

وقد قلت: قد عُلم أنه ما ثَم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق تبارك وتعالى مباين للمخلوق، سبحانه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.
فمن قال: إن الله في جهة ، هذا بالنسبة لمن أثبت الجهة؛ أثبت لفظا بدعيا، يُستفصل عن مراده؛

- **إن أراد بالجهة أمرا موجودا يحيط بالخالق أو يفتقر إليه الخالق لم يُسلم له هذا الإثبات**، إذ كل موجود سوى الله تبارك وتعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو فقير إليه، والله هو الغني، فليس الله داخلا في مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء داخل فيه، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

- **وإن أراد بالجهة**؛ هذا الذي أثبت الجهة، وقال إن الله في جهة، إن أراد بالجهة **أنه تبارك وتعالى فوق سماواته، استوى على عرشه، بائن عن خلقه، فهذا صحيح** - يعني هذا المعنى الذي أراده - سواء عُبر عنه بلفظ الجهة أو بغير لفظ الجهة.

هذا بالنسبة لمن أثبت هذا اللفظ، استفصلنا منه عن مراده؛ إن أراد معنى باطلا رُد عليه المعنى الباطل، وإن أراد معنى حقا قُبل منه المعنى الحق.

ومن قال إن الله ليس في جهة،

- **إن أراد أنه ليس مباينا للعالم وليس فوقه لم يُسلم له هذا النفي**، ما مراده ؟

مراده من نفي الجهة أن ينفي علو الله تعالى؛ أن ينفي فوقية الله تعالى، أن ينفي استواء الله تعالى على عرشه.

- **وإن أراد بالنفي كون المخلوقات محيطة به أو كونه مفتقرا إليها فهذا حق**؛ هذا المعنى الذي نفاه عن الله تعالى حق، لكن المشكلة أن عامة من نفى هذا المعنى الحق لا يقتصر على نفي هذا، بل ينفون - يضمون إليه -؛ يعني يقومون بنفي الفوقية، فينفون أن يكون الله تبارك وتعالى فوق العرش، أو أن يكون محمد ﷺ قد عُرج به إلى ربه، أو أن يصعد إلى الله تبارك وتعالى شيء، أو أن ينزل منه شيء سبحانه وتعالى، أو أن يكون مباينا للعالم. وقد مر معنا في محاضرة مضت ،كيف يصفونه بصفة المعدوم والممتنع، عندما يقولون ليس مباينا،

وليس محايدا، ليس داخل وليس خارج، فيصفونه بصفة المعدوم وصفة الممتنع، وتارة يجعلونه حالا في كل موجود، أو يجعلونه وجود كل موجود، ونحو ذلك مما يقوله أهل التعطيل وأهل الحلول.

فالمقصود أيها الأفاضل أن قول المثبت مطلقا مردود، وكذلك قول النافي مطلقا مردود، فلا بد من الاستفصال عن مراد كل واحد منهما.

يقول شيخ الاسلام رحمه الله تعالى **" فإذا قال القائل إن الله في جهة، قِيل له: ما تريد بذلك؟ أتريد بذلك أن الله في جهة موجودة تحصره وتحيط به ؟ مثل أن يكون في جوف السماء،**
أم تريد بالجهة أمرا عدميا ؟ وهو ما فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات.
فإن أردت بالجهة: الوجودية، وجعلت الله محصورا في المخلوقات، فهذا باطل.
وإن أردت بالجهة: العدمية، وأردت أن الله وحده فوق المخلوقات، بائنا عنها فهذا حق، ولكن ليس في هذا، أن شيئا من المخلوقات حصره، ولا أحاط به ولا علا عليه، بل هو سبحانه هو العالي عليها والمحيط بها، سبحانه وتعالى. "

فالمقصود أيها الأفاضل أن السلف رحمهم الله تعالى، لم يتكلموا بنفي الجهة ولا بإثباتها؛ يعني بنفيها بهذا اللفظ - لفظ الجهة - لم يستخدموه نفيا ولا إثباتا، وإن كان كلامهم صريحا في إثبات علو الله تبارك وتعالى على خلقه، واستوائه على عرشه، كما دلت على ذلك النصوص الصحيحة الصريحة الكثيرة.

فمن زعم أن السلف رحمهم الله بإثباتهم العلو والاستواء قد أثبتوا الجهة، فهم أي السلف رحمهم الله تعالى لا يجحدون ما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه لقول مغرض ولفظ مجمل، فإن كان إثبات الصفات- لا سيما علو الله تعالى على خلقه واستواءه تبارك وتعالى على عرشه - يستلزم رمي مثبتها بتهمة التجسيم، وهمزه بوصمة التشبيه، فالسلف رحمهم الله تعالى لا يمتنعون عن إثبات صفات خالقهم ولا يجحدون صفاته ويصبرون على ما لحقهم من مخالفيهم من أذى، إذ لهم أسوة حسنة بنبيهم محمد ﷺ وصحابته الكرام

رضي الله تعالى عنهم؛ سماهم المشركون صابئة لإيمانهم بالنور الذي جاءهم من ربهم ومولاهم تبارك وتعالى.

أما من أطلق لفظ المكان نفيا أو إثباتا فيُسلك معه المسلك نفسه الذي سُلك مع من أطلق لفظ الجهة نفيا أو إثباتا، ويُقال له أولا: لفظ المكان قد يُراد به أحد هذه المعاني:

- **قد يراد به ما يحوي الشيء، ويحيط به من جميع جوانبه.**
- **وقد يراد به ما يكون الشيء فوقه مستقرا عليه، بحيث يكون محتاجا إليه** كما يكون الإنسان فوق سطح الدار أو فوق سطح السفينة.
- **وقد يراد به ما يكون الشيء فوقه من غير احتياج إليه،** مثل كون السماء فوق الجو، وكون الملائكة فوق الأرض، وكون الطير فوق الأرض، فإنه فوق الأرض من غير احتياج إلى هذه الارض.
- **وقد يُراد بالمكان ما فوق العالم وإن لم يكن شيئا موجودا.**

وهذا المعنى الرابع من معاني المكان هو الذي يتفق مع علو الله تبارك وتعالى على خلقه، واستوائه جل وعلا على عرشه، فيما أطلق عليه قبل قليل اسم الجهة العدمية.

فالله تبارك وتعالى سبحانه فوق المخلوقات كلها، فوق العالم، حيث تنعدم المخلوقات، وهو تبارك وتعالى غني عن كل ما سواه، وما سواه من عرش، ومن حملة عرش، ومن غير ذلك، فإنه محتاج إلى الله تبارك وتعالى، والله تبارك وتعالى لا يحتاج إلى شيء، فهو غني، وما عداه فقير إليه.

إذا اتضحت معاني المكان، فإنا نسأل من أطلق هذا اللفظ نفيا أو إثباتا عن مراده من إطلاقه، فإذا قال: هو في مكان، بمعنى إحاطة غيره به، وافتقاره إلى غيره، فالله تبارك وتعالى منزه عن الحاجة إلى الغير، وعن إحاطة الغير به ونحو ذلك.

وإن أريد بالمكان ما فوق العالم وما هو الرب تبارك وتعالى فوقه، قِيل إذا لم يكن إلا خالق أو مخلوق والخالق بائن عن المخلوق كان هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء.

فالمقصود أن الله تبارك وتعالى عال على خلقه، فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه، سواء فهم المبتدعة من ذلك أن له مكان أو لم يفهموا.
فما دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة من إثبات الصفات لله تبارك وتعالى، من إثبات علوه سبحانه وتعالى على خلقه، واستوائه على عرشه، هو المعنى المثبت، سواء عبر عنه من أراد بإثبات المكان، عبر عنه بلفظ شرعي، أو عبر عنه بلفظ المكان، فالعبرة للمعنى لا للمبنى.

إذن ما دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة، من إثبات الصفات لله تبارك وتعالى هو المعنى المثبت، العبرة للمعنى لا للمبنى.

هل يُقال: الله تبارك وتعالى منزه عن المكان ؟
بعد أن عرفنا الاستفصال من قائل لفظ المكان نفيا أو إثباتا، نسأل هذا السؤال، هل يُقال عن الله تعالى إنه منزه عن المكان ؟

أقول: إطلاق القول بأن الله تعالى منزه عن المكان، إطلاق لا يصح لأمرين:

الأمر الأول: أنه إطلاق لم ترد به السنة، ولا هو معروف في كلام السلف، الآن ينفون عن الله تبارك و تعالى ما لم ينفه عن نفسه، وقد عرفنا أنه لا ينبغي أن يُنفى عن الله تعالى إلا ما نفاه عن نفسه، سبحانه .
الأمر الثاني: أن هذا الإطلاق يوهم معنى فاسدا، وغالب من يقرر هذا الكلام ويستعمله يريد به نفي علو الله تعالى على خلقه، واستواءه على عرشه تبارك وتعالى، ومع غلبة إطلاق هذه العبارة، نفي المكان، في المعنى الباطل، فلا مانع من سؤال قائلها عن مراده لنبين له ما في مراده من معنى شرعي صحيح، أو مقصد بدعي مردود، مع التنبيه على المنع من مثل هذه الإطلاقات الموهمة في حق الله تبارك وتعالى.

فإذا قال القائل: ننزه الله عن المكان، قلنا له ماذا تعني بذلك؟ فإن قال:

- أعني به أن الله تعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته، قلنا: هذا معنى صحيح، نوافقك عليه، إذ كيف يحيط بالله الأول والأخر والظاهر والباطن شيء من مخلوقاته، بل الرب تبارك وتعالى أعظم وأكبر من كل مخلوق، قد وسع كرسيه السنوات والأرض، وكرسيه موضع القدمين كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول**" يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض"**
فإن قال هذا الذي ينفي: أنا أعلم هذا، لكن أعني بالمكان ما وراء العالم من العلو، فهو ينفي علو الله تعالى على خلقه.
قِيل له فهذا معنى باطل فاسد مناقض لصريح العقل وصحيح النقل.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، هذه الكلمات قالها رحمه الله تعالى، جُمعت في مجموع فتاواه ورسائله، يقول **" إن أراد بنفي المكان، المكان المحيط بالله عز وجل، فهذا النفي صحيح، فإن الله تعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته، وهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء، كيف لا، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، وإن أراد بنفي المكان، نفي أن يكون الله تعالى في العلو، فهذا النفي غير صحيح، بل هو باطل بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل والفطرة، أدلة العلو. "**

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال للجارية **" أين الله؟ "** قالت: في السماء، قال لمالكها: أعتقها، فإنها مؤمنة.
رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وكل من دعا الله عز وجل فإنه لا ينصرف قلبه إلا إلى العلو، هذه هي الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، لا ينصرف عنها إلا من اجتالته الشياطين، فلا تجد أحدا يدعو الله عز وجل، وهو سليم الفطرة، ثم ينصرف قلبه يمينا أو شمالا أو إلى أسفل أو لا ينصرف إلى جهة، بل لا ينصرف قلبه إلا إلى فوق، إلا إلى الله تبارك وتعالى.

- وإن عنى بقوله إن الله في كل مكان، حيث لا يحصره مكان، فهو قول باطل أيضا، بل هو أبطل قول، كما قالت اللجنة الدائمة؛ تقول **" من قال إن الله في كل مكان بنفسه وذاته فهو حلولي خاطئ كافر، ومن قال إن الله في كل مكان بعلمه، لا بذاته فهو مصيب. "**

وتأملوا أيها الأفاضل، في قول ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية،
يقول رحمه الله:

والرب فوق العرش والكرسي لا يخفى عليه خواطر الإنسان
لا تحصروه في مكان إذ تقو لوا ربنا حقا بكل مكان

نـزهتـمـوه بجـهـلكم عن عرشه وحـصـرتـمـوه في مـكـان ثان
لا تـعـدمـوه بقـولـكـم لا داخــل فـيـنـا ولا هو خـارج الأكـوان.

أما مُطلق لفظ الحيز نفيا أو إثباتا فيُفعل معه كما فُعل مع من أطلق لفظ الجهة ولفظ المكان نفيا أو إثباتا؛ أي يُستفصل عن مراده.

لكن قبل الشروع في الاستفصال، لابد من بيان المعنى اللغوي للحيز والمتحيّز، كذلك يُشار إلى معناها في اصطلاح أهل الكلام، كي نستطيع الوقوف على مراد المتكلمين من نفي هذا اللفظ أو إثباته.

الحيز في اللغة: هو الشيء الذي يمكن نقله أو ينتقل بنفسه؛ هذا يُسمى متحيزا، أما المستقر الثابت في موضعه، كالجبل مثلا فلا يُسمى عند أهل اللغة متحيزا.

وهناك معنى آخر للحيز أعم من المعنى الأول، وهو أن يُراد بالمتحيز ما يحيط به حيز موجود، فيُسمى كل ما أحاط به غيره أنه متحيز.

إذن الآن صار عندنا معنى جديد للمتحيز، وهو ما يحوزه غيره، أو ما يحيط به غيره، فكل ما أحاط به غيره يُسمى متحيزا على هذا المعنى.

فحاصل المعاني المتقدمة للمتحيز في اللغة يمكن أن نجملها في معنيين:

الأول: **الذي ينتقل من حيز إلى حيز آخر.**

الثاني: **الذي يحيط به حيز وجودي.**

وهذان المعنيان جمعهما قول الله تبارك وتعالى **{ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير }** فهذا المتحيز ينتقل من جهة إلى جهة، ولا بد في انتقاله من أن يحيط به حيز وجودي.

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته، فلا يكون متحيزا بهذا المعنى اللغوي.

أما الحيز في اصطلاح أهل الكلام، فيريدون به ما هو أعم من معناه في اللغة، **الحيز عندهم: كل ما أُشير إليه وامتاز منه شيء عن شيء فهو متحيز وإن لم يسمى هذا متحيزا في اللغة.**

الآن، بعد أن عرفنا معنى الحيز والمتحيز عند أهل اللغة وعند أهل الكلام، ندخل في الاستفصال مع مُطلق لفظ الحيز نفيا أو إثباتا.

لو أن المتكلم أراد بنفي الحيز عن الله تبارك وتعالى أحد المعاني اللغوية المتقدمة، وهو ما أحاط به شيء من الموجودات؛ نقول: هذا النفي صحيح، والله سبحانه بائن من خلقه، إذ ما ثَم موجود إلا الخالق والمخلوق، وإذا كان الخالق سبحانه بائنا عن المخلوق وامتنع أن يكون الخالق في المخلوق وامتنع أن يكون متحيزا بهذا الاعتبار.

ومن أثبت الحيز لله تعالى بهذا المعنى، فهو مخطئ ويُقال له كما قيل للنافي: إن الله تعالى بائن من خلقه، ليس في خلقه شيء منه، ولا فيه شيء من خلقه.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى **" وكذلك لفظ المتحيز إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات، فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السماوات والأرض، وقد قال تعالى { وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون }.**

وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال " يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ "
فمن أراد بإثبات التحيز أن الله تبارك وتعالى يحيط به شيء من المخلوقات فقوله باطل مردود عليه."

وكذلك قد يُراد بالحيز كما فهمنا من المعاني اللغوية أن نفس جوانب الشيء وأقطاره هي حيزه، والله تبارك وتعالى كما تقدم، عندما تكلمنا عن الجهة، وذكرنا الجهة العدمية، أنه تبارك وتعالى بائن من خلقه، وليس في الجهة العدمية شيء من المخلوقات يكون حيزا لله تبارك وتعالى.

فلا ريب أن الخالق سبحانه وتعالى مباين للمخلوقات، عال عليها، كما دل على ذلك النصوص الإلهية، واتفق على هذا السلف والأئمة، وفطر الله تعالى على ذلك خلقه، ودل على هذا الدلائل العقلية.

فهذا المعنى؛ أن الله مباين لخلقه قد دلت عليه النصوص وإن لم تأت بلفظ التحيز، فمن أراد بنفيه التحيز أن الله تبارك وتعالى ليس هو العلي الأعلى، الكبير العظيم، الذي بقدرته يحمل العرش وحملته، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو سبحانه أكبر من كل شيء، فمن نفى ذلك بنفيه التحيز فقوله مردود عليه، والله ليس متحيزا بهذا الاعتبار.
وهذا النفي لا يُعرف عن أحد من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وهم أكمل الخلق وأفضلهم عقلا وعلما، فلا يوجد في شيء من كتب الله المنزلة عليهم ولا في شيء من الآثار المأثورة عنهم لاعن خاتمهم ﷺ ولا عن أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ولا عن غيرهم عليهم الصلاة والسلام، بل الموجود عن جميع الأنبياء ما يخالف هذا القول.

أما من أثبت التحيز ، ومراده أن الله تعالى بائن من مخلوقاته، عال عليها، فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، فهو سبحانه وتعالى كذلك ، كما دل على هذا صحيح المنقول وصريح المعقول.

لكن هذا المعنى الحق هو المعنى الذي يُقبل، أما الألفاظ المجملة التي لم تأت في الكتاب ولا في السنة، فإنها لا تُستعمل عند السلف رحمهم الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا، كما بدأت الحديث بهذا، في أول هذه المحاضرة.

هذا ما أردت بيانه للأفاضل وفقهم الله تعالى في هذه المحاضرة.

هذا، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحاضرة التاسعة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.
أما بعد:
فحياكم الله أيها الاخوة والأخوات مع المحاضرة التاسعة عشرة من مادة الأسماء والصفات، وسأتكلم بإذن الله تعالى في هذه المحاضرة والتي تليها عن فرق خالفت وانحرفت في باب الأسماء والصفات.
وأبدأ بأم الفرق المنحرفة في باب الأسماء والصفات والتي أثرت على كل من أتى بعدها وهي **الجهمية**.
والجهمية: كما تلاحظون من اسمها فرقة تنتسب إلى الجهم، والجهم هو الجهم ابن صفوان السمرقندي الرافضي ولاءً، تلقى معتقداته عن شيخه الجعد بن درهم.
والجهم ظهر في خراسان في خلافة هشام بن عبد الملك، وكان المسلمون قد قتلوا شيخه الجعد ابن درهم بعد أن استتابوه وأقاموا عليه الحد بسبب كفره ومخالفته لقول الله تبارك وتعالى، فقد ضحى به خالد القسري بعد أن أقام الحجة عليه من قبل علماء بلده وقال **" يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما - تعالى الله عما يقول الجعد ابن درهم علوا كبيرا - "**
وقد أشار الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى إلى ظهور الجهمية وإلى قوتها وبيّن أنها ظهرت في خراسان، لكنها حين ظهرت كانت السنة وأهل السنة في محل قوة، أما بالنسبة للجهمية فإن أهلها كانو قد دسوا رؤوسهم في التراب ولم يعلنوا بمعتقداتهم في حال قوة السنة وأهل السنة.
إلى أن ظهر الخليفة المأمون الذي كان له نظر في المعقول؛ استجلب كتب الأوائل وعرّب حكمة اليونان وقام في ذلك وقعد وخبّ ووضع، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها وآل به الحال أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن وامتحن العلماء وخلّى بعد أن مات شرا وبلاءً في الدين.
والجهمية عندما ظهرت وقويت وتقوّت بالخليفة المأمون رفعت شعارا جميلا وهو شعار [التنزيه].
والتنزيه من أعظم الشعارات التي مَوَّه بها الجهمية على الناس؛ زعموا للناس أنهم أهل التنزيه ووصفوا أهل السنة بالتشبيه والتجسيم، فزينوا باطلهم بالشعار الذي رفعوه؛ يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله **" هؤلاء الجهمية أصل قولهم الذي به يموهون على الناس إنما هو التنزيه، ويسمون أنفسهم المنزّهون، وهم أبعد الخلق عن تنزيه الله وأقرب الناس لتنجيس تقديسه "**
ثم ذكر الوجوه الكثيرة التي تدل على أنهم أبعد الناس عن تنزيه الله تبارك وتعالى، فقد أظهرو للناس التنزيه وحقيقة كلامهم التعطيل، وهم كما قال فيهم ابن القيم **" أخرجوا التعطيل في قالب التنزيه ".**
ودعوني أيها الأفاضل أستعرض لكم أبرز رؤوس الجهمية، وأوضح ما الذي أدخلوه على الإسلام في باب الأسماء والصفات فقط، علما بأن بدعهم التي أدخلوها على الأمة تفوق البدع التي أدخلوها في الأسماء والصفات.
لو بدأت برأس رأسهم وهو الجعد ابن درهم، الجعد الذي تنسب إليه وإلى تلميذه الجهمية كان من معتقداته تعطيل الباري تبارك وتعالى عن صفاته العليّة؛ فهو أول من أحدث الكلام في أسماء الله وصفاته وأنكر أن يتسمى الله تبارك وتعالى باسم أو يتصف بصفة، وهو أول من عرف عنه في الإسلام أنه انكر أن الله يتكلم وأن الله يحب عباده؛ ولهذا قال: إن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما. وهذا القول يعارض ما في كتاب الله تبارك وتعالى يقول ربنا سبحانه وتعالى **{ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}** فهو يقول بعكس قول الله؛ لم يتخذ إبراهيم خليلا، والله تبارك وتعالى يقول في كتابه **{ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا }** وهو يقول: لم يكلم موسى تكليما.
وقد أنكر الجعد صفة الرضا في الصفات التي أنكرها؛ المتضمن للمحبة، وهو أول من اشتهر كلامه في القول بخلق القرآن، ومن مخالفاته الأخرى في باب الأسماء والصفات أشير إلى مخالفة واحدة فقط وهو أنه كان يرى القدر ، يرى عقيدة القدرية الأولى.

والقدرية الأولى هم النفاة مطلقاً لمراتب القدر، وأول من جاء بهذا القول بنفي القدر بمراتبه كلها رجل بالبصرة يقال له معبد الجهني؛ قال لا قدر والأمر أُنُف. فالجعد يرى رأي القدرية الأولى وينكر القدر بمراتبه الأربع.

أما عن مصدر مقالات التعطيل التي احدثها الجعد بن درهم، من أين أتى بها ؟ قد ذكر العلماء أنها مأخوذة عن تلامذة اليهود وعن فلاسفة المشركين وضلال الصابئين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **" إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم."**

إذن أحد مصادر مقالة الجعدي هم اليهود، واليهود كانوا يقولون بخلق التوراة في عقيدتهم المحرفة، ولبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بخلق التوراة، وألقى قوله هذا على ابن أخته طالوت فألف طالوت في هذا وأفشاه، وكان ممن تلقفه عنه أبان بن سمعان، وأبان بن سمعان هو الذي تنسب إليه فرقة يقال لها الأبانية أو البيانية.

بيان بن سمعان النهدي زعم أن في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه جزءًا إلهيا متحدا بناسوته، وزعم أن هذه الإلهية قد انتقلت من علي إلى ابنه محمد بن الحنفية ثم صارت في ولده أبي هاشم، أبو هاشم ولد محمد بن الحنفية، ثم صارت بعد أبي هاشم في بيان هذا، فادعى قاتله الله تبارك وتعالى ادعى الألوهية، والعلماء قد قتلوه بسبب كفره وزندقته. وأبان هو الذى أخذها من طالوت، أخذ القول بخلق التوراة ونقله إلى الإسلام وألقاه إلى الجعد بن درهم.

والجعد بن درهم هو أول من أفشاه في الإسلام، من أفشى هذا القول؛ أن القرآن أن كلام ربنا تبارك وتعالى مخلوق، زعموا أن ربنا تبارك وتعالى وتقدس خلق كلامه في جسم منفصل عنه فتكلم ذلك الجسم، فأثبتوا لله تعالى الكلام لا على أنه صفة قائمة في ذاته سبحانه وتعالى وأنه يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء، بل أثبتوا له كلاما يخلق في محل منفصل عنه، والقرآن من كلامه؛ فالقرآن مخلوق عند الجعد وأتباعه من الجهمية.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى **" الجعد نافق المسلمين فأقر بلفظ الكلام - أي أثبت صفة الكلام - لكن لا على أنها قائمة بالله تبارك وتعالى وقال: كلامه يخلق في محل كالهواء وورق الشجر ."** فأثبت الكلام على أنه مخلوق منفصل عن الرب تبارك وتعالى وفي هذا تعطيل لصفة الكلام القائمة بالله تبارك وتعالى. وهذا الأمر سرى عند الجعد والجهمية على سائر صفات ربنا تبارك وتعالى فليس لله سبحانه وتعالى صفة قائمة به جل وعلا فهم نفاة الصفات ومعطلة الصفات تعطيلاً كلياً .

إذن عرفنا أن أحد مصادر مقالة الجعد هم اليهود المبدلين؛ فمنهم أخذ الجعد القول بخلق القرآن الكريم.

كذلك الجعد كان في أرض حرّان وكان فيهم خلق كثير من الصابئة، والصابئة فيهم معطلة، والجعد أخذ مذهبه في التعطيل عن الصابئة وهم فلاسفة من بقايا أهل دين نمرود يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل، فهم معطلة لصفات الرب تبارك وتعالى؛ الله تعالى عندهم لا تقوم به صفة وإنما صفاته كلها في هذه الهياكل التي يعبدونها من دونه سبحانه وتعالى.

فمقالة التعطيل التي أتى بها الجهمية هي مقالة مأخوذة عن اليهود المبدلين وعن ضلال الصائبين، فأول من حفظ عنه التعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم، زعم أن الله ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى وزعم أن القرآن مخلوق وقال بقول من سبقه من اليهود المبدلين والصائبة الضلال الزنادقة.

وبعد مقتل الجعد بن درهم، حمل لواء التعطيل تلميذه الجهم بن صفوان وكان أحد الخوارج على بني أمية، إلتقى الجهم بشيخه الجعد في الكوفة، وتأثر به تأثراً شديداً وأخذ جل مذهبه منه، وقد وافق شيخه الجعد في نفي الأسماء والصفات عن الله تبارك وتعالى؛ بل له في بدعة نفي الأسماء والصفات غلوّ شديد؛ فله مزية المبالغة في النفي والإبتداء بكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه، فقد أخذ مقالة شيخه وغلا فيها وبالغ في النفي فلم يثبت لربنا تبارك وتعالى شيئاً من أسمائه وصفاته إلا اسماً من الأسماء سأشير إليه بعد قليل.

فالجهمية ردوا ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي أتت بإثبات الأسماء والصفات لله سبحانه وتعالى بشبهة التشبيه، زعمو أنهم عطلوا لئلا يشبهوا. وهؤلاء قد وقعوا في التشبيه قبل أن يفروا منه، ثم أرادو أن يفروا منه فوقعوا في ماهو شر منه؛ وقعوا في تحريف الكلم عن مواضعه وفي تعطيل الباري جل وعلا عن اتصافه بصفاته العلى.

ولم يكتفوا بهذا، بل لمزوا من أثبت الصفات للباري جل وعلاه بأنه مجسم مشبه.

والرمي بالتجسيم لم يقتصر على أهل السنة والجماعة، فلم يسلم الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام من لمز الجهمية، وهذه شنشنة عرفناها من أكثر المتبدعة، فهذا أحد رؤوس المعتزلة، والمعتزلة كما سيأتي: الذي وضع عليهم بصماته هم الجهمية في باب الأسماء والصفات وإن كانت المعتزلة قد وجدت قبل الجهمية لكن لم يكن لهم قول مشهور في الأسماء والصفات وإنما بُصِموا من قبل الجهمية؛ لذلك وصف شيخ الإسلام رحمه الله المعتزلة بأنهم **" مخانيث الجهمية "**، فالجهمية هي التي أثرت في المعتزلة، ثمامة ابن أشرس تنسب إليه فرقة يقال لها الثُّمامية؛ وهي فرقة قد أثرت فيها الجهمية في باب الأسماء والصفات تأثيرا تاما وتركت بصماتها الواضحه عليها، ماذا قال ثمامة ابن أشرس؟

يقول ثمامة " ثلاثة من الأنبياء مشبهة مجسمة؛ موسى حين قال **{ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ}** وعيسى حين قال **{ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ }** ومحمد حين قال **" ينزل ربنا " "**

وهذا القول الشنيع في وصم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **{ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ }** أقول: في وصمهم بهذه التهمة الشنيعة بأنهم مجسمة مشبهة قد نسبها الإمام ابن أبي حاتم الرازي رحمه الله تعالى، نسبها إلى القاضي ابن أبي دؤاد.

ابن ابي دوآد هو أحمد بن أبي دؤاد، كان قاضي قضاة المعتصم ثم الواثق وهو الذي أعلن بمذهب الجهمية، فهو تلميذ بِشر المريسي كما سيأتي وهو رأس من رؤوس الجهمية أعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بالقرآن. وأحمد ابن أبي دؤاد يقول ابن أبي حاتم رحمه الله في كتابه الرد على الجهمية **" حدثنا أحمد ابن سنان الواسطي محدث واسط قال بلغني عن ابن أبي دؤاد يعني قاضي أيام المحنة أنه قال: (ثلاثة من الأنبياء مشبهة؛ عيسى بن مريم حيث يقول { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ } وموسى حيث يقول { رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ} ومحمدٌ حيث قال " إنكم ترون ربكم " "**

فالحامل لهؤلاء المبتدعة على إطلاق لقب التجسيم والتشبيه على هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام هو استحكامهم في بدعة التعطيل بدعوي التنزيه، فقد قلت لكم قبل قليل: رفعوا شعار التنزيه؛ يريدون بزعمهم أن ينزهوا الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته، فلما استحكموا في بدعتهم حكموا بها على الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام لكونهم أثبتوا الصفات لله تعالى على ظاهرها.

وقد قلت للأفاضل وفقهم الله تعالى في محاضرة مضت؛ قلت: إن منتهى مراد هؤلاء إثبات وجودٍ مطلق وذات مجردةٍ عن الصفات. وقد قلت للأفاضل وفقهم الله تعالى: إن الوجود المطلق والذات المجردة عن الصفات إنما تكون في الأذهان ولا تكون في الأعيان، لكن هؤلاء أرادوا أن يصلوا في النهاية إلى أنه ليس في السماء إله يعبد ولا رب يصلى له ويسجد.

أما موقف الجهمي من أسماء الله تعالى فقد ذكرت قبل قليل أنه ممن نفى الأسماء؛ فكان ينفي أن يسمى الله تعالى باسم يسمى به العبد، فلا يسمى عنده شيئا ولا حياً ولا عالماً ولا سميعاً ولابصيراً، لكن حكي عنه أنه كان يسمي الله تعالى قادراً لأن العبد عنده ليس بقادر ! والحقيقة النكتة في هذا هو أنه في هذه المسألة في باب القدر يخالف شيخه الجعد، تذكرون كنت أتكلم عن معتقد الجعد في الأسماء الصفات فذكرت لكم معتقداً واحداً فقط في غير باب الأسماء والصفات وهو معتقده في القدر؛ ماذا قلت ؟

قلت الجعد كان يرى رأي القدرية الأولى أما تلميذه الجهم فلم يكن قدرياً بل كان في باب القدر كان جَبريّاً والعبد عند الجهم ليس بقادر بل الله تبارك وتعالى هو مُجبِر عباده على أفعالهم، فالجهم كان جبريّاً، طبعا الجهم تابع شيخه في القول بخلق القرآن الكريم وأنكر علو الله تبارك وتعالى على خلقه كصنيع شيخه وأنكر استواء الله تبارك وتعالى على عرشه كصنيع شيخه ومشى مع شيخه في قوله أن الاستواء بمعني الاستيلاء، وكان يقول عن الله تبارك وتعالى -وتعالى عن قوله- يقول: هو تحت الأرضين السبع كما هو على العرش ولا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان.

ذكر الإمام أحمد رحمه الله تعالى في كتابه الرد على الجهمية أن جهما بنى مقالته في الصفات على ثلاث آيات؛ فقال الإمام أحمد رحمه الله **" وجد ثلاث آيات من المتشابه - من المتشابه عنده عند الجهم - وهي قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ } { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } { لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ }** - هذه الآيات الثلاث - **فبنى أصل الكلام على هذه الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدث عنه رسوله صلى الله عليه وسلم كان كافرا وكان من المشبهة فأضل بكلامه بشرا كثيرا، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة "** طبعا يريد الإمام أحمد رحمه الله من وافقه بالماتريدية، ويريد بأصحاب عمرو بن عبيد من تبع الجهمية من المعتزلة.

يقول الإمام أحمد **" ووضع دين الجهمية، فإذا سألهم الناس عن قول الله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ } يقولون: [ليس كمثله شيء من الأشياء وهو تحت الأرضين السبع كما هو على العرش ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم ولا يكلِّم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف، ولا يعرف بصفة، ولا يفعل، ولا له غاية، ولا له منتهى، ولا يدرك بعقل...] "** إلى آخر اللامات التي ذكروها ، أو اللاءات التي قالوها...

فعند المعطلة وسيدتهم الجهمية، نفي محض مجرد بالنسبة لله تبارك وتعالى، فيصفونه سبحانه وتعالى بالمعدوم، بل المعدومات قد يكون لها صفة أبلغ من هذه الصفات التي وصفوا بها الرب تبارك وتعالى.

نفى الجهم صفة العلم فأنكر أن يكون الله تعالى عالما بالأشياء قبل وقوعها، والعلم بالنسبة للجهم منفي عن الله تبارك وتعالى، أنكر الجهم رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وهو أول من أنكر وجود الحجاب بين الله وبين خلقه.

فالجهمية أيها الأفاضل كلامهم يدور حول إنكار وجود الله تبارك وتعالى، وأن يقولوا كما ذكرت قبل قليل ليس فوق العرش إله يعبد ولارب يصلى له ويسجد.

ومما زاد في فساد الجهم العقدي تلك المناظرة التي جرت له مع فرقة يقال لها السُّمَنية أو السَّمَنية؛ فرقة في أصلها قامت على مبادئ البوذية والجينية وعندهم عقائد أخذوها من الهندوسية؛ كالتناسخ والكارما. وغيرها من العقائد الفاسدة، وهذه الفرقة لا تؤمن إلا بما يدرك بالحواس، فلا معدوم عندهم إلا من جهة الحواس الخمس ولا موجود عندهم إلا ما وقعت عليه الحواس، وأكثرهم ينكرون المعاد والبعث بعد الموت، ويقول فريق منهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة، -أنا كلامي كله الآن عن السمنية التي أثرت على معتقدات الجهم- ، فهم يقولون بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة؛ يعني من إنسان إلى كلب، من كلب إلى إنسان.. ونحو ذلك، ولهم كتاب مقدس، عدد من هؤلاء أتوا إلى جهم بن صفوان وناظروه، وقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك.

فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا: ألست تزعم أن لك إلها ؟ قال الجهم: نعم. فقالوا له: فهل رأيت إلهك ؟ قال الجهم: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه ؟ قال: لا. قالوا: فشممت له رائحة ؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له حسا ؟ قال: لا. قالوا : فوجدت له مجسا ؟ قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله ؟

فتحير الجهم وترك الصلاة أربعين يوما، فلا يدري من يعبد.

(هذا النص الذي قرأته عليكم قرأته من كتاب الإمام أحمد رحمه تعالى الرد على الجهمية والزنادقة)

الآن تحير الجهم وترك الصلاة؛ أربعين يوما لا يصلي ولا يدري من يعبد، ثم خرج على الناس بعد هذه الأربعين، فادعى أن الله تعالى عن قوله علوا كبيرا هو هذا الهواء الذي أمامنا، وأنه مع كل شيء وقد اتحد مع كل شيء، ولايخلو منه شيء إلى آخر الزندقة التي قالها، فزعم أنه تعالى الله علوا كبيرا، أن الله تعالى في كل مكان.

الجهم لم يكن له أتباع كثيرون؛ قد يكون عددهم على أقصى حد خمسين، وعلى أقل حد كان عددهم رجلين فقط، بعد مقتله حاول بعض أتباعه نشر مذهبه لكنهم جوبهوا بيقظة علماء أهل السنة، وانتباههم لبدعهم التي أتوا بها وردهم لها، وكانت امرأة جهم ممن عمل على نشر مذهبه، لكن كما قلت للأفاضل

كان انتشار المذهب ضعيفا في وقت كانت القوة فيه لأهل السنة والانتباه لكل من خالف الكتاب والسنة موجود عند علماء الأمة.
وقد بقي مذهب الجهم خاملا إلى أن اتى بشر بن غياث المريسي فنشره بقوة، وبِشر هذا لم يدرك الجهم لكن أخذه مقالته، واحتج لها ودعا إليها ونظّر لها، ومما زاد في قوة مذهب الجهمية تبني ثلاثة من الخلفاء العباسيين له؛ لأن بشرًا كان مع المأمون ولبَّس عليه ودلس عليه وأتى له بشعار التنزيه الذي رفعته الجهمية وادعى بأن أهل السنة عندما يصفون الله تعالى بصفاته التي أتى بها الكتاب وجاءت بها السنة أنهم يشبهونه بخلقه وأنهم يجسمونه؛ فانطلت هذه الحيلة على المأمون، فنشر مذهب الجهمية بالقوة؛ المأمون والمعتصم وبعده الواثق، واستمر نشر مذهب الجهمية بالقوة طيلة ربع قرن من الزمن؛ حوالي خمس وعشرين سنة والمذهب ينشر بالقوة؛ من سنة مائتين وثمانية عشر هجرية (٢١٨) إلى سنة مائتين واثنين وثلاثين هجرية (٢٣٢).
بشر المريسي أولا زين هذا المذهب للخليفة المأمون ولبَّس عليه ودلس حتى دعا الناس إلى القول بخلق القرآن الكريم في عام مئتين وثمانية عشر هجرية(٢١٨) وحملهم على القول بذلك، وبدأ في امتحان الفقهاء والقضاة والعلماء بشأنها، وجعل بعض العلماء يصرّحون باعتقادها، وأمر نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم أن يمتحن من عنده؛ فمن أقرَّ تركه في منصبه ومن خالف عزله وقطع عنه راتبه من بيت المال، وقد أمتنع إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حَنْبَل رحمه الله تعالى عن إجابتهم إلى القول بخلق القرآن، فبعث المأمون إلى بغداد وطلب إحضار من امتنع من العلماء من الإقرار بهذه البدعة؛ وكانوا - غير الإمام أحمد- ثلاثة: محمد بن نوح والحسن بن حمّاد وعبيد الله بن عمرو القواريري، لكن المأمون مات والإمام أحمد في الطريق، فلما بلغهم موت المأمون أعيد الإمام أحمد مع من معه إلى بغداد، ومات محمد بن نوح رحمه الله في الطريق وصلى عليه الإمام أحمد، ثم لما وصلوا إلى بغداد أودع الإمام أحمد رحمه الله تعالى في السجن وبقي فيه لمدة عامين ونصف العام.
قاضي القضاة في أيام المعتصم - والمعتصم بعد المأمون - كان الجهمي أحمد بن أبي دؤاد الذي تقدم قوله؛ وصف الأنبياء بأنهم مشبهة مجسمة، فإذا كان الأنبياء لم يسلموا منه بسبب إثباتهم الصفات لله تبارك وتعالى فهل يسلم منه الامام أحمد ؟ الجواب لا.
مازال ابن أبي دؤاد يؤلب المعتصم على الإمام أحمد حتى أمر بإحضاره إليه من السجن، وناظره أحمد بن أبي دؤاد أمام السلطان فأفحمه الإمام أحمد، ولكن الهوى والبدعة تغلَّبا بالباطل؛ فالتجأوا إلى إغراء الخليفة بأن مركزه سيتزعزع أمام العامة إن عُرف أن الأمام أحمد رحمه الله تعالى هزم قاضي قضاة الدولة.
عندها أمر المعتصم بضرب الإمام أحمد رحمه الله ثمانين سوطاً حتى تمزق لحمه، ثم أعيد إلى منزله وفرض عليه أن يقيم فيه ولا يغادره ولا يلتقي بأحد، فأقام فيه لا يفارقه طيلة خلافة المعتصم ثم ابنه الواثق بعده إلى سنة مائتين واثنين وثلاثين هجرية (٢٣٢) يعني بقيت هذه المحنه كما قلت قبل قليل؛ بقيت خمسةً وعشرين سنة حتى انتقلت الخلافة إلى المتوكل في سنة مئتين واثنين وثلاثين هجرية (٢٣٢).
والحقيقة؛ الجهمية كما قلت في أول المحاضرة هي الفرقة الأم في باب التعطيل، وكل من عداها من فرق المعطلة فإنما تأثروا بها؛ فكل فرقة من فرق أهل الكلام أخذت بعض فسادها وبعض انحرافها من الجهمية.
فالجهمية أثرت في جميع الفرق الكلامية؛ فتأثرت المعتزلة والأشعرية والماتريدية... وسيأتي عندما أتكلم عن بقية الفرق كيف أن بصمات الجهمية واضحةٌ على هذه الفرق؛ واضحة وضوحا تاما.
أوائل المعتزلة، وسأتكلم بحول الله تعالى عن المعتزلة، أوائل المعتزلة لم يرد عنهم أنهم أنكروا أسماء الله تعالى وصفاته، قد يقول لي قائل: وجدتُ في كتاب الملل والنحل للشهرستاني - الشهرستاني رحمه الله توفي في سنة خمسمئة وثمانية وأربعين- ومن تقدمه من كتَّاب الفرق لم يذكر أحدٌ أن واصل بن عطاء كان منكراً لأسماء الله وصفاته، وإنما كانت مقالة المعتزلة أول ما ظهرت كانت مخالفتها في عدة قضايا؛ في باب القدر، في باب الصحابة رضي الله تعالى عنهم... لكن في باب الأسماء والصفات أتاها الفساد

من جهة الجهمية؛ فحملوا مذهب الجهمية، وتأثروا بمذهب الجهمية في الأسماء والصفات، وسلموا لهم أصولهم في هذا الباب، ولكي يسلموا من شناعة مقالتهم ظاهرا:

- إبتدعوا القول بإثبات أسماء لا معنى لها؛ أثبتوا الأسماء دون الصفات، وقالوا عن الأسماء: إنها أعلام لا أوصاف.

هل تذكرون أيها الأفاضل قاعدة من قواعد الأسماء التي ذكرناها: أن أسماء الله تبارك وتعالى أعلام وأوصاف؛ يعني كل اسم من أسمائه سبحانه وتعالى له معنى؛ ليس اسما لا معنى له.

أما المعتزلة فقالت إن أسماء الله تعالى لا معنى لها فهي أسماء مجردة فليس لها معنى.

وقالت المعتزلة كقول الجهمية: إن كلام الله تعالى مخلوق من مخلوقاته بائن عنه، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية أن **" أول من ظهر عنه أن كلام الله مخلوق هو الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان ثم صار هذا في المعتزلة "**

المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء الغزّال وعمرو ابن عبيد، ظهروا في أوائل المئة الثانية؛ يعني بعد سنة مائة وواحد هجرية (١٠١)، وتحديدا فارقوا مجلس الحسن البصري رحمه الله تعالى في سنة مائة وأربعة هجرية (١٠٤)، واصل وعمرو هما رأسا المعتزلة، وهما من الأقران، ولدا في السنة نفسها؛ في سنة ثمانين هجرية في العراق، وواصل له قرابة مع عمرو وهو زوج أخته، وكلاهما كانا في مجلس الحسن البصري رحمه الله -إمام أهل البصرة- وكلاهما إعتزلا مجلس الحسن البصري.

فسموا بالمعتزلة بسبب اعتزالهم لمجلس الحسن البصري وكان هذا في سنة مئة وأربعة هجرية، وكان الإعتزال بسبب مخالفتهم للحسن البصري رحمه الله تعالى في حكم مرتكب الكبيرة؛ لأن سائل سأل الحسن عن أصحاب الكبائر ما حكمهم ؟ وقال: قد ظهر في زماننا جماعةٌ يكفرونهم وجماعة يرجئونهم ويقولون: لا يضر مع الإيمان كبيرة فما هو القول الحق ؟

قبل أن يجيب الإمام أبو سعيد الحسن البصري رحمه الله تعالى، قام واصل وقال " أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس مؤمنا وليس كافرا، بل هو في منزلة بين المنزلتين "

فالمعتزلة هم أصحاب المنزلة بين المنزلتين، وهو أحد أصولهم الخمسة كما سيأتي الإشارة إلى ذلك، فواصل بن عطاء زعم أن الفاسق من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس مؤمنا وليس كافرا، وجعل الفسق في منزلة بين المنزلتين؛ بين منزلة الكفر والإيمان.

المعتزلة انشقت انشقاقات كثيرة قبل أن يستقر مذهبها، ومن يقرأ في كتب الفرق يرى بأن فرق المعتزلة قد تجاوزت اثنتين وثلاثين فرقة، وهذا يدل على تناقضهم وتخبطهم؛ فلو كان ما عندهم حقا لاتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، فهم من أعظم الناس تفرقا على باطلهم الذي هم عليه.

من هذه الفرق سأشير إليها إشارات فقط لمن له قول واضح في الاسماء والصفات؛ فرقة المعمرية وهي تنتسب إلى رجل يقال له معمر بن عباد البصري، يقول عنه الشهرستاني " هو من أعظم القدرية " (طبعا يريد بالقدرية المعتزلة لان المعتزلة من أسمائهم القدرية وهم نفاة القدر) يقول **" وهو من أعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات "**

إذن هم معطلة للصفات كما قال الشهرستاني، **" ونفي القدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى، والتكفير والتضليل على ذلك "** يعني يكفرون من أثبت الصفات ومن خالفهم في باب القدر ويضللونه؛ يقولون بأنه كافر ضال.

من خرافاته التي أتى بها معمر؛ يقول: لا يجوز أن يقال عن الله تعالى متكلم فكيف يجوز أن يكون مكلِّما، ولا يجوز أن يكون متكلما... إلى آخر ضلالاته.

ومن فرق المعتزلة فرقة تسمى الكعبية، وهي تنتسب إلى عبد الله بن أحمد المعروف بأبي القاسم الكعبي، كان يقول في باب الصفات: إن الله - تعالى عن قوله - لا يرى نفسه ولا يرى غيره. ويقول - تعالى الله عن قوله- : إن الله لا يسمع. وكان يزعم أن معنى وصفه بأنه سميع بصير: أي أنه عالم بالمسموع وبالمرئي ليس بمعنى سمعه ولا بمعنى بصره. وكان يزعم أن الله تعالى لا إرادة له، وأن علمه يغني عن إرادته.

ولعل الأفاضل وفقهم الله تعالى يقولون: إذن كان يثبتون صفة العلم ؟ الجواب: لا، يقولون عالم بعلم هو هو، يعني يقولون بأن العلم هو الذات ليس العلم صفة قائمة به تبارك وتعالى.

وفرق كثيرة متعددة منها فرقة الضرارية اصحاب ضرار بن عمر، كان يقول: إن الله يسمى حيا عالما قادرا على معنى أنه ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز لا على معنى أنه له صفة ترجع إلى ذاته، فهذا في الحقيقة نفي لصفات الله تبارك وتعالى وتعطيل لها بالكلية.
وكما قلت للأفاضل وفقهم الله تعالى أشهر فرقة أثرت في المعتزلة في هذا الباب؛ باب الأسماء الصفات، هي فرقة الجهمية. وهذه الفرق الكثيرة التي من فرق المعتزلة، أشهر فرق المعتزلة التي أثرت في مذهب المعتزلة وساعدت على صياغة المعتقد في باب الأسماء والصفات ثلاثة فرق هي:
- فرقة الهذيلية؛ أتباع أبي الهذيل العلاف.
- وفرقة البهشمية أتباع أبي هاشم الجُبّائي.
- وفرقة الجبائية أو البعلوية أتباع أبيه أبي علي الجبائي. فهذه الفرقة قد صاغت معتقد الجهمية في باب الأسماء والصفات.

قلت قبل قليل عن المنزلة بين المنزلتين، قلت هي أحد أصول المعتزلة الخمسة، فالأمور الخمسة التي أجمعت عليها المعتزلة لاحقا ، بعد ان تبلور مذهبها واستقر أجمعت على أصول خمسة هي

١_ التوحيد
٢_ العدل
٣_ الوعد والوعيد
٤_ المنزلة بين المنزلتين
٥_ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعند تأملنا في هذه الكلمات الخمسة نجد أنها كلمات جميلة، لكن كل كلمة منها ينضوي تحتها السم الناقع، فهم في باب :

- **التوحيد:** نفوا كل صفة يتصف بها الرب تبارك وتعالى، وأثبتوا لله تبارك وتعالى أسماءا مجردة عن المعاني.

تأملوا في قول ابن المرتضى المعتزلي في أحد كتبه؛ يقول " وأما ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعوا على أن للعالَم محدِثا قاديما قادرا عالما حيا لا لمعاني " يعني هي أسماء مجردة عن المعاني، فأصلهم الأول تحت هذا الأصل نفوا صفات الله تبارك وتعالى، وهذا الأصل لم يكن واضحا عند أوائل المعتزلة؛ عند واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وإنما كما قلت؛ إنما دخل عليهم من باب الجهمية.
الأصل الآخر وهو:

- **العدل:** وتحت هذا الأصل نفوا خلق الله تبارك وتعالى لأفعال عباده، وزعموا أن الإنسان هو الخالق لأفعال نفسه، فيقولون: الإنسان يفعل الشر والله منزه عن خلق الشر، " والشر ليس إليه " كما زعموا؛ وهذا كلام صحيح لكن الشر ليس إلى الله؛ لا ينسب إليه سبحانه وتعالى، فليس في أفعاله تبارك وتعالى شر محض وإنما هو خالق كل شيء سبحانه { والله خلقكم وما تعملون } والعبد يفعل باختياره وبمشيئة وإرادته فيحاسب على الفعل الذي فعله باختياره، فأين وجه الظلم الذي زعمه المعتزلة حتى نفوا أن يكون الله تبارك وتعالى خالقا لأفعال العباد ؟

- الأصل الثالث : **انفاذ الوعيد**، وتحت هذا الأصل نفوا الشفاعة وأوجبوا على الله تبارك وتعالى تعذيب العصاة وتخليد صاحب الكبيرة في النار ، فقالوا: يجب على الله إنفاذ ما أوعد به لا محالة. فما أوعد به يقولون لابد من إنفاذه؛ لو أن مرتكب الكبيرة خرج من الدنيا قبل أن يتوب فإنه يكون عندهم خالد مخلد في النار لأنه مات على ذنب من الذنوب والله تعالى قد أوعد على الكبائر بالنار فلذلك لابد من إنفاذ وعيده.

- **المنزلة بين المنزلتين** وقد عرفناها؛ وهي خاصة بمرتكب الكبيرة، فقد أطلقوا عليه أنه ليس مؤمنا وليس كافرا.

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: تحت هذا الأصل أشبهوا الخوارج؛ فهم مخانيث الخوارج أيضا كما أنهم مخانيث الجهمية، فقالوا تحت هذا الأصل جوزوا الخروج على الحكام عند أول معصية ترى أو تظهر منهم.

أما بالنسبة لموقف المعتزلة من القرآن الكريم: فإن المعتزلة يقول كما قالت الجهمية، أن القرآن الكريم مخلوق، وهم قد وقفوا مع الجهمية في امتحان الناس وكانوا يدا بيد في الدعوة إلى القول بخلق القرآن الكريم وفي نشر معتقدهم بالقوة .
والمعتزلة - أقول في آخر كلامي عن المعتزلة - لا يهتمون بالاستدلال بالقرآن أكثر مما يهتمون بالاستدلال بالعقل، ولو قرأتم كتب المعتزلة وقلبتم الصفحات الكثيرة فلن تجدوا فيها آية واحدة فضلا عن أن تروا حديثا واحداً، فهم بنوا بنيانهم على عقولهم الفاسدة دون رجوع منهم إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.
فالحمد لله على نعمة الهداية، ونسأل الله تبارك وتعالى أن لا يضلنا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

أكتفي بهذا بالنسبة لفرقتي الجهمية والمعتزلة وموقفهم من أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته.

هذا والله أعلم.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .

المحاضرة العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة والأخوات في المحاضرة العشرين من مادة الأسماء والصفات.

وسأتكلم في هذه المحاضرة بإذن الله تعالى عن فرقة أخرى انحرفت في باب الأسماء والصفات، وكان أسلافهم من الجهمية والمعتزلة سببا في انحرافهم؛ وأعني بهم فرقة الأشعرية.

فالأشعرية هم المنتسبون إلى أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري حين كان على طريقة ابن كُلّاب في الاعتقاد، وابن كُلاب هو أبو محمد عبد الله بن سعيد القطان توفي بعد سنة 240 هجرية، وابن كلاب ليس رأس الكلّابية فقط بل هو إمام الأشعري والأشعرية، لأن الفرقة الأشعرية في أول أمرها لم تخرج عن أفكاره ومعتقداته.

وابن كلاب قد تأثر بالأصل الجهمي: [ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث] وبنى عليه معتقداته في صفات الله تبارك وتعالى، فنفى الصفات الاختيارية؛ نفى أفعال الله تعالى المتعلقة بمشيئته وقدرته وصار أول من اقتصر على هذا النوع من النفي، إلا أن ابن كلاب رحمه الله أثبت بقية الصفات ولم يسمها أعراضاً.

وابن كلاب حين ناظر الجهمية والمعتزلة ورد عليهم لم يهتد لفساد أصل الكلام المحدث الذي ابتدعوه في دين الاسلام بل وافقهم عليه.

والناس قد كانوا قبل ابن كلاب كانوا صنفين في باب الصفات:

• أهل السنة والجماعة: الذين أثبتوا لله تبارك وتعالى كل ما أثبته لنفسه من الصفات والأفعال التي يشاؤها سبحانه وتعالى، هذا الصنف الأول.

• والجهمية من المعتزلة وغيرهم: الذين أنكروا صفات الله تعالى وأنكروا أفعاله التي يشاؤها سبحانه وتعالى.

وابن كُلّاب بعد هذين الصنفين حاول التوسط بينهما فأثبت قيام الصفات اللازمة بالله تعالى ونفى أن يقوم به سبحانه وتعالى ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها.

وقد ذكرت لكم قبل قليل أن ابن كلاب رحمه الله تأثر بأصل الجهمية: [ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث] فسلم لهم وسلم للمعتزلة أصولا هم واضعوها، وقد بنى على هذا الأصل امتناع قيام الصفات الاختيارية بالله تبارك وتعالى مما يتعلق بمشيئة الله وقدرته من الأفعال والكلام ونحو ذلك، فنفى قيام الأفعال الاختيارية بذات الله تعالى زاعما أن الأفعال ونحوها من الصفات الاختيارية حوادث لا تقوم إلا بمحدث، فلو قامت به لم يخلُ منها، وما لم يخلُ من الحوادث فهو حادث، فنفى كما قلت للأفاضل وفقهم الله تعالى كل ما يتعلق بمشيئة الله تعالى وقدرته. وأثبت صفات قديمة قائمة بالله تعالى غير متعلقة بمشيئة ولاقدرة.

وهو في نفيه للصفات الاختيارية عن الله تبارك وتعالى قد وافق الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة؛ كما قلت في أصلهم الذي قرروه وهو أن ما قامت به الحوادث لا يخلو منها وما لا يخلو من الحوادث فهو

حادث، لكن كما ذكرت للأفاضل لم ينفِ جميع الصفات عن الله تبارك وتعالى كفعل الجهمية والمعتزلة، بل أثبت له سبحانه وتعالى صفات ذاتية ومعنوية على أنها صفات أزلية لا تتعلق بمشيئة ولا قدرة.

فهو - أي ابن كلاب - هو أول من صرح بإثبات بعض الصفات وقرن إثباته بنفي التجسيم والتركيب والتبعيض عن الله تبارك وتعالى؛ فنفى بعض الصفات الأخر وهي المتعلقة بمشيئة الله وقدرته وفرق بين:

¤ ما يلزم الذات من أعيان الصفات؛ الصفات الذاتية.

¤ وبين ما يتعلق بالمشيئة والقدرة؛ الصفات الفعلية.

فهو ممن فرَّق بين الصفات الذاتية والصفات الاختيارية. ويتضح نفي ابن كلَّاب للصفات الإختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته حين يتكلم عن صفة الرضا والسخط والكراهة والحب والبغض والعداوة والغضب والكرم والكلام؛ فهو يجعل هذه الصفات كلها يجعلها أزلية من صفات الذات لا من صفات الفعل؛ فيجعلها تماماً كصفة الحياة، فلا يُفهم منها ما يدل على تعلقٍ بمشيئة وقدرة.

والحق خلاف ما قرَّره ابن كلَّاب، فهذه الصفات أفعال لله تعالى قائمة به سبحانه متعلقة بمشيئته وإرادته، فهو سبحانه يرضى عمن يشاء ويسخط على من يشاء ويحب من يشاء ويكره من يشاء و يتكلم وقت يشاء، فهو فعال لما يريد، إلى آخر صفات الأفعال التي تتعلق بمشيئته وإرادته سبحانه، فهي على ظاهرها، وتركها على ظاهرها يفهم منه ما يدل على تعلقها بمشيئته وقدرته.

والسلف رحمهم الله تعالى كانوا يعاملون هذه الصفات كما يعاملون بقية الصفات، فلا يفرقون بين صفات ذاتية وصفات فعلية إختيارية، بل يثبتون ما ورد من الصفات في الكتاب والسنة كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، لا يؤولون شيئاً من ذلك ولا يشبهون صفات الله تبارك وتعالى بصفات المخلوقين، وكلنا يعلم تعريفهم للصفات الذي مرَّ معنا في المحاضرة الأولى: " لا يكيّفون، لا يمثلون، لا يحرفون، ولا يعطلون ".

كذلك ابن كلاب رحمه الله تعالى جعل ولاية الله وعداوته ورضاه وسخطه، جعلها من صفات الذات لا من صفات الفعل، بل لمَّح رحمه الله إلى أزلية صفتي الرضا والسخط بصنيعه حين قال بالموافاة؛ والقول بالموافاة هو قول تقول به الأشعرية. تأملوا الآن ما معنى الموافاة عند الأشعرية ؟

يعنى به أن الله تبارك وتعالى لم يزل راضياً منذ الأزل عمن يعلم أنه يموت مؤمنا وإن كان أكثر عمره كافرا، وأنه تبارك وتعالى لم يزل ساخطاً منذُ الأزل على من يعلم أنه يموت كافرا وإن كان أكثر عمره مؤمناً، فالله تبارك وتعالى على حد زعم ابن كلَّاب - لأنه أول من قال بالموافاة كما نقل عنه أبو الحسن الأشعري رحمه الله - فالله تعالى على حد زعمه لا يرضى عن المؤمن الذي صار كافراً؛ لا يرضى عنه في حال إيمانه؛ لئلا يقوم به حادث لم يكن موجوداً من قبل وهو السخط حين كفر الكافر الذي كان مؤمنا.

كذلك ابن كلَّاب رحمه الله حين أثبت صفة الاستواء قرنها بما يرشد إلى مذهبه في الصفات الاختيارية؛ وهو نفي اتصاف الله تعالى بصفات الفعل المتعلقة بمشيئته سبحانه، فزعم كما نقل عنه أبو الحسن الأشعري أيضا أن: ﴿ الباري تبارك وتعالى لم يزل ولا مكان ولا زمان قبل الخلق، وأنه على ما لم يزل عليه، وأنه مستوٍ على عرشه كما قال ﴾

والآن تأملوا في هذه العبارة: بداية الكلام فيه نفيٌ؛ فقوله " إن الله لم يزل ولا مكان " ففيه نفي لاستواء الله تعالى على عرشه، " ولا زمان قبل الخلق وأنه على ما لم يزل عليه " يعني باقٍ على هذا، وهذا يقول

به أوائل الأشعرية قبل أن يصرحوا صراحة بنفي الاستواء وأن معنى استوى استولى كما تبين هذا عند متأخري الأشعرية، وهذا يرشد إلى أن من مذهب إبن كلَّاب رحمه الله في اثبات الاستواء أن الله تبارك وتعالى لم يستوِ على عرشه بمعنى العلو والإرتفاع وإنما فعل فعلا في العرش سماه إستواءً لا إنه علا على عرشه وارتفع عليه أو صعد واستقرَّ كما هي معاني الاستواء، فهذه المعاني يراها بأنها حوادث مخلوقة والله تبارك وتعالي لا تحل به الحوادث المخلوقة.

والحقيقة هذا الذي قاله ابن كلَّاب رحمه الله تعالى في صفة الاستواء هو الذي عليه نظراؤه من الأشعرية - من أتى بعده واقتدى به من الأشعرية-؛ من متقدمي الأشعرية مع صفة الاستواء، لأن الأشعرية في صفة الاستواء وفِي الصفات الفعلية لهم مسلكان فيهما:

- المسلك الأول: يثبتون هذه الصفات على أنها صفات أزليةٌ قديمة مع الله تبارك وتعالى لا تتعلق بمشيئة الله تعالى وإرادته فلا يتجدد له فيها سبحانه حالٌ كما يشاء.

- والمسلك الثاني: أنهم يجعلون مقتضى الصفة مفعولا منفصلاً عن الله تبارك وتعالى لا يقوم بذاته - وهذا يشبه صنيع المعتزلة كما مرَّ معنا في المحاضرة الماضية - كصفة الخلق مثلا فإن الله تبارك وتعالى، إن الله عندهم خلق الخلق فلم تحل بذاته حوادث بزعمهم، لأن الخلق هو المخلوق. وكذا في صفة الاستواء؛ يقولون إنه فعل في العرش فعلا سماه إستواءً من غير أن يستوي بذاته لئلا يكون محلاً للحوادث بزعمهم.

وابن كلَّاب رحمه الله في صفة الاستواء سلك المسلك الثاني؛ فزعم أن الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استواءً، وأن الفعل هو المفعول.

أما صفة الكلام عند ابن كلاب؛ فأوطّئُ لها بشيء من البيان قبل أن أدخل إلى موقفه:

الكلام كما يعرف العقلاء إنما يكون بقدرة المتكلم ومشيئته، والكلام في حق الله تبارك وتعالى كما أنه من صفات الذات - وعرفنا الصفات الذاتية؛ لم يزل ولا يزال متصفا بها - فالله تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال متصفا بصفة الكلام، ولم يكن الكلام ممتنعا عليه في وقت من الأوقات، فهو، مع كون الكلام من صفات الذات هو صفة فعل أيضا؛ فهو يتعلق بمشيئة الله تعالى؛ فالله تعالى يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء.

ولعل الأفاضل وفقهم الله تعالى تذكروا أننا تكلمنا عن هذه المسألة عندما ذكرنا تعريف الصفات الذاتية وتعريف الصفات الفعلية الاختيارية، وقلنا: من الصفات ما يكون ذاتيا وفعليا كصفة الكلام ومثلنا لهذا القسم بصفة الكلام.

ابن كلاب نفى أن يكون الكلام من صفات الفعل، وزعم فيه ما لم يكن يتصوره أحد من العقلاء؛ أثبته على أنه كلام يقوم بذات المتكلم بلا قدرة ولا مشيئة، وأنه أزلي كأزلية العلم والقدرة.

لذلك يقول العلماء: أنه أحدث ما لا يخطر ببال جماهير الناس وأتى بما لم يسبق إليه. فهو عنده معنى واحد قديم قائم بذات الله، أما الكلام الذي نسمع التأبين يتلونه؛ القرآن؛ - القرآن من كلام الله وكلامه تبارك وتعالى صفة من صفاته - هذا القرآن الذي هو من كلام الله تبارك وتعالى يرى ابن كلاب أنه عبارة عن كلام الله وليس كلام الله؛ لأن كلام الله عند ابن كلاب ليس بصوت ولا حرف ولا يتجزأ ولا يتبعّض ولا ينقسم.

والسبب الذي حذا بابن كلاب رحمه الله إلى هذه المخالفة الصريحة للكتاب والسنة: قوله بنفي الصفات الاختيارية كما قدمنا في بداية الكلام عن فرقة الأشعرية، لئلا يكون الله محلا للحوادث على حد زعمه.

فلو أثبت صفة الكلام كما يليق بجلال الله تبارك وتعالى؛ أن الله يتكلم بما شاء كما يشاء في أي وقت شاء لخالف أصله [ما قامت به الحوادث فهو حادث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث] لزعمه أن تجدد الكلام - يعني أن الله تعالى يتكلم متى شاء؛ فيتكلم مع ملائكته، كلم موسى، كلم آدم عليه السلام، كلم رسولنا صلى الله عليه وسلم حين عُرج برسولنا صلى الله عليه وسلم إلى السماء؛ فهذا كله في الوقت؛ كلمهم في الوقت الذي كانوا فيه؛ موسى عليه السلام: لما جاء لميقات ربه، رسولنا عليه الصلاة والسلام: عندما عُرج به، آدم عليه السلام: عندما أكل من الشجرة.- فهذا كله نفاه ابن كلاب لزعمه أن تجدد الكلام وتعلقه بمشيئة الله تبارك وتعالى حلول للحوادث في ذات الله تعالى، فاضطره ذلك إلى أن يقول: ليس كلام الله إلا مجرد المعنى؛ معنىً في نفس الله وهو معنى واحد والحروف ليست من كلام الله. وهنا يبدو بشكل واضح تأثر ابن كلاب بهذا الأصل الجهمي الذي استند عليه في نفس الصفات الاختيارية عن الله تبارك وتعالى، وهو الذي أحدث مقالة " كلام الله معنىً قائم بنفسه " هو أول من ابتدع في الإسلام وأول من قال ببدعة " الكلام النفسي " فليس هناك أحد سبقه إلى هذا، وهو أراد أن يأخذ بالأصل الجهمي وأن يثبت في الوقت نفسه فأتى ببدعة الكلام النفسي وقال عن القرآن الكريم أنه: ليس كلام الله الحقيقي بل هو عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله.

ابن كلاب رحمه الله، كما قلنا، توفي بعد سنة ٢٤٠ ه، وفي هذه السنة التي توفي فيها ابن كلاب لم يكن مذهب المعتزلة الكلامي قد ظهر بصورته الأخيرة، لذلك عامة الذي دخل على ابن كلاب إنما أتاه من جهم بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم، ولعل الأفاضل إذا رجعوا بأذهانهم إلى المحاضرة الماضية؛ عندما تكلمت عن الجهمية قلت: إن الجهمية هي أم فرق المعطلة، فهي أمهم جميعا، وهي التي أثرت في جميع الفرق الكلامية؛ ومنها فرقة الأشعرية.

أما أبو الحسن الأشعري رحمه الله؛ علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أبو الحسن رحمه الله دخل مع المعتزلة بسبب كونه قد رُبّي في بيت رجل من رؤساء المعتزلة وهو أبو علي الجُبّائي الذي تنسب إليه فرقة من فرق المعتزلة يقال لها الجُبّائية وتسمى أيضا بالبعلوية، فأبوه - رحمه الله - إسماعيل بن بشر كان من أئمة وعلماء أهل السنة وعهد به إلى زميله الساجي؛ والساجي من أئمة أهل السنة، لكن أباه مات وأبو الحسن رحمه الله كان صغيرا فتزوجت أمه بأبي علي الجبائي؛ شيخ المعتزلة، فرُبي أبو الحسن رحمه الله في بيت زوج أمه، وعاش وهو يتلقن معتقد المعتزلة، ولما برع في معرفة الاعتزال كره الاعتزال وتبرأ منه، وخرج إلى الناس وألقى عنه جبته التي كانت عليه وأشهدهم أنه قد تبرأ من مذهب الاعتزال وتاب إلى الله تعالى منه، ثم لأنه كان قد عرف مذهب الاعتزال وبقيَ فيه إلى أن صار في الاربعين من عمره -صار عنده معرفة بمذهب الاعتزال- أخذ يردُّ على المعتزلة ويهتك عِوارَهم.

يقول الفقيه أبوبكر الصيْرفي: " كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم " وأقماع السمسم أقماع صغيرة جدا، يعني أنه حشرهم حشراً بحيث أنهم لم يستطيعوا أن يُظهروا معتقداتهم لعلمه بها وخبرته بها وعلمه بالثغرات التي في مذهب المعتزل، فهو قد أخذ يرد على مذهب المعتزلة، لكن الأشعري رحمه الله تعالى أتى ببعض الأصول التي خالف فيها أهل السنة والجماعة، وهذه الأصول أتى بها موافقة لابن كُلاب وتأثراً بالجهمية.

والأشعري لم يكن من تلاميذ ابن كلاب كما سيقول لي الأفاضل لأن ابن كلاب رحمه الله كما مر معنا قبل قليل مات بعد سنة ٢٤٠ هجرية وأبو الحسن الأشعري ولد بعد سنة ٢٦٠ هجرية؛ يعني بينهما عقدان من الزمان - حوالي عشرين سنة-، فأبو الحسن ما أدرك ابن كلاب لكنه أخذ عن تلاميذه؛ فهو عندما خرج من مذهب المعتزلة تلقف أقوال ابن كلاب من طريق تلاميذه.

والأشعرية انتسبوا الى أبي الحسن الأشعري ولم ينتسبوا إلى ابن كلاب مع أن أبا الحسن رحمه الله كما قلت للأفاضل إنما أخذ طريقة ابن كلاب، لكن الاشعرية لم ينتسبوا الى ابن كلاب بل انتسبوا الى الأشعري. ما السبب ؟

لأن الأشعري أظهر عوار المعتزلة وبيّن فسادهم وصنّف في أبواب الرد عليهم؛ رد على المعتزلة ورد على الجهمية والرافضة والفلاسفة أكثر من رد ابن كلاب، فأبو الحسن أظهر نشاطا في الرد على المخالفين وبَيّن فساد أقوالهم أكثر مما أظهره ابن كلاب رحمه الله، لهذا صار قول الطائفة منسوبا إلى أبي الحسن وليس منسوبا الى ابن كلاب وان كان ابن كلاب هو الأصل في هذه الأقوال، وكثير من الناس ممن ينسب إلى الاشعرية لا يعرفون ابن كلاب وإنما يعرفون أبا الحسن الأشعري لشهرته وكثرة رده على أهل البدع.

إذن من هم الاشعرية ؟

الأشعرية هم الكلابية، لكنهم تابعوا أبا الحسن في طوره الثاني؛ أبو الحسن رحمه الله في طوره الثاني - يعني بعد أن ترك مذهب الاعتزال- كان متمسكا بما عليه ابن كلاب من نفي قيام الصفات الاختيارية بالله تبارك وتعالى، وقد عرفنا الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة و القدرة، فكان متمسكا بهذا المعتقد ويبدو هذا جليا في كتابه (اللُّمَع) له كتاب اللمع ألفه بعد أن خرج من مذهب الاعتزال، يبدو أنه في هذا الكتاب أنه ينفي الصفات الاختيارية - ينفي قيام الصفات الاختيارية بالله تبارك وتعالى -.

كذلك فيما نقله عنه من جاء بعده من أعلام الأشاعرة وغير أعلام الأشاعرة يبين أن الرجل رحمه الله كان متأثرا بابن كلاب وكان على طريقته.

لكن اعلموا أيها الأحبة بارك الله فيكم أن من آخر ما كتبه أبو الحسن رحمه الله كان كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) وكتاب (رسالة إلى أهل الثغر)؛ في هذين الكتابين لم يصحح أبو الحسن دليل الأعراب الذي أتت به الجهمية وتأثر بها ابن كلاب، ولم يرَ ضرورته، بل صرح بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تدع الناس إليه، لذلك من يقرأ في كتابيه الأخيرين الإبانة عن أصول الديانة ورسالة إلى أهل الثغر؛ نجده يقول برؤية الله تبارك وتعالى بالأبصار في الآخره -كما يقول أهل السنة، أن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى؛ ينظرون إليه بأبصارهم- ونراه أنه يصرح بأن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ يعنى لا يقول كما قال ابن كلاب بأنه عبارة عن كلام الله، ونراه يثبت صفة العلو لله تبارك وتعالى ويقر باستواء الرب تبارك وتعالى على عرشه على سبيل الاجمال، ويثبت الكرسي لله تبارك وتعالى.

كذلك في هذين الكتابين نرى أبا الحسن رحمه الله يثبت الصفات الخبرية من الوجه واليدين والعينين إثباتا مجملا، وهذا يدل على قول من قال أن أبا الحسن رحمه الله له طور ثالث ترك فيه مذهب ابن كلاب وتحول إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

الأشعري رحمه الله في طوره الثاني اقتفى آثاره عدد كبير ممن أتى بعده من الأشاعرة وانتسبوا إليه كما قلت لكم قبل قليل؛ انتسبوا الى أبى الحسن

ولم ينتسبوا إلى رأس الأشعرية وهو ابن كلاب، وقد عرفنا السبب.

ممن أتى بعد الأشعري كأبي الحسن الطبري، أبي بكر بن البقلاني، ابن بورك، ومنهم تكونت النواة الأولى لمذهب الأشعرية، وكانت هذه النواة قائمة على نفي صفات الله الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته.

والحقيقة هذا هو المعلم البارز لمخالفة الأشاعرة المتقدمين لأهل السنة، كان معلمهم البارز: المخالفة في الصفات الاختيارية.

وقد قلت أن أبا الحسن رحمه الله تعالى فى طوره الثاني - عند من قال بأن له طورا ثالثا تحول فيه - كان متبعا لأقوال ابن كلاب وتبعه على هذه الأقوال التى تأثر فيها بابن كلاب هؤلاء الثلاثة وغيرهم من علماء الأشاعرة المتقدمين، وكان مذهبهم كما قلت قائما على: نفي صفات الله تعالى الاختيارية التى تتعلق بمشيئة الله سبحانه وتعالى وبقدرته.

هذه الصفات الاختيارية نفاها متقدمو الاشعرية وأثبتوا لله تعالى جملة من الصفات الخبرية؛ أثبتوا له العلو سبحانه وتعالى وأثبتوا الصفات الذاتية كالوجه واليدين ونحوهما، وفي هذا خلاف واضح بين متقدمي الاشعرية ومتأخري الاشعرية.

قولي الآن متقدمي الأشعرية و متأخري الأشعرية، يوحي بأن الأشعرية من حيث السبق الزماني ينقسمون إلى قسمين، إلى متقدمين وإلى متأخرين.

• المتقدمون: المراد بالمتقدمين في الأشعرية كل من جاء بعد أبي الحسن الأشعري وقبل أبي المعالي الجويني.

إذن، الآن وضعت لكم بداية ونهاية؛ البداية بعد أبي الحسن الأشعري والنهاية قبل أبي المعالي الجويني، فكل من جاء بعد أبي الحسن الأشعري وقبل أبي المعالي الجويني يقال لهم " متقدمو الاشعرية ".

• أما متأخروا الأشعرية فهم كل من جاء بعد الجويني، بعد أبي المعالي الجويني.

لماذا جعلنا الجويني فاصلا بين المتقدمين و المتأخرين ؟ ما هو السبب ؟

لأن أبا المعالي الجويني نحى بالأشعرية منحى المعتزلة؛ لأن مذهب الأشعرية حصل فيه ثلاث إفسادات غيرت في مذهب الأشعرية بعد أن كان يثبت جملة من الصفات بدأ يتخلى عن هذه الصفات حتى كاد أن يكون كالجهمية في آخر أمره.

ما هي الإفسادات الثلاث التي حصلت في مذهب الأشعرية ؟

هذه الإفسادات الثلاث أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بقوله -تنبهوا الى قول شيخ الإسلام- يقول " فإنهم إنما يتظاهرون بقول معتزلة الأشعرية النافين للصفات الخبرية ولغيرها " الآن انتبهتم ؟ إذن؛ لم يعد نفيهم للصفات الاختيارية، بل نفوا الصفات الاختيارية والصفات الخبرية؛ يعني نفوا الصفات، وسماهم معتزلة الأشعرية.

إذن، الأشعرية فتحوا الباب للمعتزلة فدخلوا عليهم فأفسدوا في مذهبهم، فصار الأشعرية معتزلة الأشعرية.

يقول " وبقول " إذن أعيد قول شيخ الإسلام **" فإنهم إنما يتظاهرون بقول معتزلة الأشعرية النافين للصفات الخبرية ولغيرها وبقول متفلسفة الأشعرية نفاة الصفاة مطلقاً "** فالآن ذكر لنا طائفة أخرى من الأشعرية من هم؟ متفلسفة الأشعرية.

إذن، فتح الباب مرة أخرى على مصراعيه للفلاسفة فدخلوا إلى مذهب الأشعرية فأفسدوا فيه فتكون لدينا متفلسفة الأشعرية.

يقول في موضع آخر " فأول ما يظهر إعتقاد معتزلة الكُلابية " تأملوا التشابه بين الكلمتين هناك قال معتزلة الأشعرية هنا قال معتزلة الكلابية، والمؤدى واحد؛ فالأشعرية هم الكلابية. **يقول " فأول ما يظهر إعتقاد معتزلة الكلابية الذين ينفون الصفات الخبرية ويثبتون الصفات السبعة أو الثمانية "** ما المراد بالسبعة أو الثمانية ؟ قد مرت معنا سابقاً، فهو الآن يتكلم عن معتزلة الكلابية؛ معتزلة الكلابية أدخل مع الأشعرية الماتوريدية - لأن أبا منصور الماتوريدي كما سأتكلم عنه إن شاء الله إن بقي وقت في هذه المحاضرة- قد تأثر بابن كلاب أيضاً كما تأثر به أبو الحسن الأشعري، فهؤلاء كلهم يقال لهم كلابية وبفتحهم الباب للمعتزلة للدخول عليهم صار يقال في حقهم: معتزلة الكلابية، هنا شيخ الإسلام يقول " يثبتون الصفات السبعة أو الثمانية" طبعاً السبعة يشير إلى الأشعرية والصفة الثامنة الزائدة يشير فيها إلى الماتريدية، وقد مر معنا سابقاً الصفات السبع التي أثبتها الأشعرية وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر؛ هذه سبع صفات أثبتوها، لكن أثبتوها وهي صفات معاني عندهم - صفات عقلية - لأن عقولهم قد دلتهم على إثباتها، أما الماتوريدية فزادوا عليها صفة ثامنة وهي صفة " التكوين " أرادوا من خلالها التكلم عن خلق المخلوقات دون أن تقوم بالله تبارك وتعالى صفة؛ يعني دون أن يكون كما يزعمون محلاً للحوادث؛ لا يقوم فيه صفة الخلق.

الآن تأملوا في قول شيخ الإسلام أعيده مرة أخرى؛ يقول " فأول ما يظهر اعتقاد معتزلة الكلابية الذين ينفون الصفات الخبرية ويثبتون الصفات السبعة أو الثمانية، ثم بعد ذلك إعتقاد الفلاسفة الذين ينفون الصفات ويثبتون وجوداً واجباً مجرداً صدرت عنه الممكنات. "

والحقيقة، الفلاسفة شر من المعتزلة في قضية تعطيل الصفات ولهم دليل شاركوا فيه المعتزلة في نفي الصفات عن الباري تبارك وتعالى اطلق عليه اسم " دليل التركيب ".

يقول شيخ الأسلام في موضع ثالث " ومع هذا فأئمة المعتزلة وشيوخهم وأئمة الأشعرية والكرّامية ونحوهم خيرٌ في تقرير توحيد الربوبية من متفلسفة الأشعرية ".

إذن الآن، متفلسفة الأشعرية مرت في مواضع ما المتفلسفة الأشعرية ؟

قال **" كالرازي والآمدي وأمثال هؤلاء، فإن هؤلاء خلطوا ذلك بتوحيد الفلاسفة كابن سينا وأمثاله وهو أبعد الكلام عن التحقيق في التوحيد"** فهولاء متفلسفة الأشعرية إذاً الآن عندنا متفلسفة الأشعرية وعندنا معتزلة الأشعرية، هاتان إفسادتان.

إذن؛

• الإفسادة الأولى: الأشعرية المعتزلة أو معتزلة الأشعرية كما سماهم شيخ الإسلام رحمه الله أو معتزلة الكلابية -أدخل معهم الماتوريدية- وهذه الإفسادة أتت الى الأشعرية كما قلت للأفاضل: جاءتهم من قبل أبى المعالي الجويني رحمه الله، وهو الذي أفسد الإفسادة الأولى في مذهب الأشعرية بحيث كاد المذهب في زمانه أن يكون مذهباً اعتزالياً؛ وهو أول من قال إن استوى بمعنى استولى - انتبهوا إلى " أول من قال " أول من قال من الأشعرية وليس أول من قال في الإسلام - لو رجعتم للمحاضرة الماضية أول من قال في الإسلام أن استوى بمعنى استولى من هو ؟ الجعد بن درهم رأس الجهمية، وتلميذه الجهم وافقه على هذا؛ فحرف معنى استوى وجعله استول، والآن الإفسادة الأولى التي دخلت على مذهب الأشعرية؛ أول من قال في الأشعرية بأن استوى بمعنى استولى هو أبو المعالي الجويني، أما قبل الجويني فلم يكن أحد من الأشعرية يقول استوى بمعنى استولى، وإنما كانوا كما قلت لكم قبل قليل لهم مسلكان؛

- كانوا يقولون استوى: فعل فعلاً في العرش سماه إستواءً، لذلك لم يثبت متقدموا الأشعرية الاستواء لله تبارك وتعالى لأنهم إما قالوا فعل فعلا بالعرش سماه إستواء.

- أو خلق شيئا بالعرش، وهذا القول شبيه بقول المعتزلة لأن الصفات لا تقوم بالله تبارك وتعالى عندهم - الصفات الاختيارية -.

وكل هذا أيها الأفاضل من نتائج الصراع الذي دار بينهم وبين المعتزلة، بالنسبة لأبي الحسن كان قويا في الرد على المعتزلة لأنه فهم مذهبهم، فكان يرد عليهم بقوة لذلك ترك ما عليه المعتزلة وترك أصول المعتزلة، أما من أتى بعد أبي الحسن فأرادوا أن يصنعوا كصنيع أبي الحسن في الرد على المعتزلة، لكن المشكلة أنهم دخلوا إلى المعركة بدون سلاح؛ ليس عندهم الأدلة القوية من الكتاب والسنة التي يُعتصم بها ويُرد بها على المخالف، ودائماً من يدخل في معركة بلا سلاح إما أن يقتل فيها أو يخرج منها خاسراً، وهذا الذي حصل بالنسبة للأشعرية؛ فقد رفعوا الرايات البيضاء للمعتزلة وسمحوا لهم بالدخول إلى مذهبهم فأفسدوا فيه، وكان كما قلت أبو المعالي الجويني رحمه الله هو من أدخل مذهب الاعتزال إلى الأشعرية فأفسدوا في الأشعرية الإفسادة الأولى.

• أما الإفسادة الثانية: وهي ما سماه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى " متفلسفة الأشعرية " أو الأشعرية المتفلسفة، وقد قلت للأفاضل وفقهم الله تعالى عندما نقلت قول شيخ الإسلام رحمه الله قال " كالرازي "، ففهمنا من كلام شيخ الإسلام أن هذه الإفسادة جاءت من قبل فخر الدين الرازي -فخر الدين الرازي الذي توفي سنة ٦٠٦ هجرية-.

وقد زاد الطين بلة عندما أدخل أفكار المتفلسفة وآرائهم وخلطها بآراء الأشعرية والمعتزلة فصار عندهم كشكول من المعتقدات.

والحقيقة من يقرأ في كتب الرازي وخاصة كتاب المطالب العالية، المباحث المشرقية وغيرها من الكتب، أقول: لو قرأتم في مجلد واحد بل في صفحات يسيرة في كتاب من كتبه لرأيتم التناقض الذي وقع فيه الرازي رحمه الله تعالى؛ تراه في صفحة يقرر شيئا وبعد صفحة أو صفحتين يقوم بنقده، وهذا دليل على تناقضه وحيرته، لذلك احتار في آخر عمره؛ يقول بأن الطرق الكلامية هذه لا تروي غليلا ولا تشفي عليلا، يقول **" نظرت فوجدت طريقة القرآن هي أفضل الطرق "** ثم قال **" اقرأ في الإثبات {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ } واقرأ في النفي { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ } { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }." يقول " ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي "**، فهو رحمه الله خاض ودخل في غمار المتكلمين والفلاسفة والمخالفين، وفي النهاية تبين له أن الطريقة السليمة التي تؤدي بصاحبها إلى الجنة بإذن الله تعالى هي اقتفاء ما كان عليه رسولنا صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم.

فقال في آخر عمره يتمثل بهذه الأبيات يقول:

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد في بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فهذه، الحقيقة، طريقة المتكلمين بهذه الصورة، وهذا الذي قاله أبو المعالي الجويني رحمه الله تعالى في آخر، أيضا في آخر أمره عندما قال لتلاميذه " يا أبنائي إني قد خضت البحر الخضم و تركت أهل الإسلام و علومهم وراء ظهري وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي " فقد ترك ما كان عليه المتكلمون، وهذا الذي ينتهي إليه من عرف الحق.

لكن المصيبة في مذهب الأشعرية - نسأل الله تبارك وتعالى أن يهديهم إلى الحق و يهدينا جميعا إلى الحق بإذنه - كاد مذهبهم في آخر أمره أن يكونوا جهمية صرفة كما قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فهاتان إفسادتان حدثتا في الأشعرية، وقبل هاتين الإفسادتين وقعت إفسادة القشيري عبد الكريم ابن هوازن؛ أدخل الصوفية على الأشعرية، وتبعه أبو حامد الغزالي على هذا، حتى صارت الأشعرية كشكولا.

بقي أن أقول للأفاضل وفقهم الله تعالى: ماهي المسائل التي خالف فيها الأشاعرة شيخي الفرقة ؟ - وأعني بشيخي الفرقة ابن كلاب وأبا الحسن الأشعري -

▪المسألة الأولى: دليل الأعراض وحدوث الأجسام، قلت قبل قليل بأن أبا الحسن رحمه الله -أبا الحسن الأشعري- لا يرى بأن دليل الأعراض وحدوث الأجسام من أصول الدين فضلا عن أن يراه من الأدلة الصحيحة، بل يرى أن هناك أدلة عقلية يمكن الاستدلال بها واستبدال هذا الدليل بها، و هذا قد وافقه عليه ابن كلاب -لا أقول وافقه- قد تقدم وسبقه إليه ابن كلاب رحمه الله تعالى، وهذا بخلاف الأشاعرة؛ يعني صنيع ابن كلاب وصنيع أبي الحسن رحمهما الله تعالى بخلاف الأشاعرة، فالأشاعرة يرون أن دليل الأعراض وحدوث الأجسام أنه أصل من أصول الدين.

▪ ابن كلاب وأبو الحسن الأشعري رحمهما الله تعالى كانا يثبتان العلو لله تبارك وتعالى، والأشاعرة أنكروا العلو.

وإنكار العلو لم يكن عند متقدمي الأشاعرة وإنما بدأ عند المتأخرين؛ عند أبي المعالي الجويني، وأبو المعالي الجويني كأني ذكرت للأفاضل وفقهم الله تعالى قصة حدثت له مع تلاميذه وهي قوله أمام طلابه " كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما كان " وأراد أن ينفي بهذا القول صفتي العلو والاستواء لله تبارك وتعالى، فقام إليه أحد تلاميذه وهو أبو جعفر الهمداني وقال له: يا أستاذ خلنا وذكر العرش - دعنا من إثبات الاستواء الآن - لكن أخبرنا عن هذا الشيء الذي يجده الإنسان في داخل نفسه؛ ما دعا واحد منا ربه إلا شعر بشيء يطلب الله تعالى في أعلى، لا يلتفت يمنة ولا يسرة " يقول للجويني: إن كان هذا داء هل عندك له دواء؛ إن كان هذا الذي نشعر به أننا نطلب الله تعالى في العلو فهل عندك دواء ؟ فكل من كان في حلقة الجويني من تلاميذه كلهم يقول: إي والله يا أستاذ، كل واحد منا يدعو ربه يشعر بشيء يشده إلى أعلى، فإن كان داءً ما هو الدواء ؟

فهذه الفطرة المغروسة مركوزة في نفوس بني آدم، ماذا فعل الجويني ؟

لم يزد على أن قال و هو يلطم نفسه " الحيرة الحيرة، الدهشة الدهشة، حيرني حيرني " يعني حيره الهمذاني بهذه المقالة، والسبب في حيرته لأنه مثل هؤلاء؛ فهو حين يدعو ربه يشعر بشيء في داخله يطلب الله تبارك وتعالى في الأعلى لا يلتفت يمنة ولا يسرة.

لذلك قلت للأفاضل بأن ابن كلاب رحمه الله وأبو الحسن رحمه الله كانا يثبتان العلو لله تبارك تعالى، متأخرو الأشعرية أنكروا العلو أو أنكروا سائر الصفات.

▪ ابن كلاب و أبو الحسن الأشعري رحمهم الله أثبتا بعض الصفات الذاتية، وقد مر معنا تعريف الصفة الذاتية التي لم يزل ربنا تبارك وتعالى متصفا بها أو هي التي لا تنفك عن الذات بحال كالوجه واليدين والعينين ونحو ذلك، والأشاعرة ينكرون الصفات الذاتية فهم قد خالفوا شيخي المذهب.

الأشاعرة المعاصرون لا يقال الحقيقة أنهم كلابية ولا يقال أنهم جهمية، بل يقال أنهم كادوا أن يكونوا جهمية كما قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى، فإن صراعهم الطويل مع المعتزلة ومع الجهمية هو الذي أفسد عليهم مذهبهم، فكان عند متقدميهم إثبات للصفات أما معاصروهم فما أثبتوا حتى الصفات السبع التي زعموا أن عقولهم دلتهم عليها، في الحقيقة أثبتوها على نحو مخالف للكتاب و السنة. فلا يقال أنهم قد أثبتوا الصفات السبع أيضا، لا يقال هذا القول على إطلاقه.

هذا ما أردت بيانه في هذه المحاضرة من الكلام عن الأشعرية وشيء من معتقداتها.

نسأل الله تبارك وتعالى بمنه وكرمه، نسأله بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، نسأله أن يهدينا وأن يهديهم إلى الحق و أن يدلنا عليه سبحانه و تعالى إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد و على آله وأصحابه أجمعين.

.

اللقاءات الإذاعية في صفتي الكلام والنزول

هي خمس حلقات من برنامج (مسائل في العقيدة) والذي يذاع على أثير إذاعة القرآن الكريم. تقديم فضيلة الشيخ د. عبد الرحمن الرشيدان استضاف فيها فضيلة الشيخ أ. د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي حفظه الله.

ويأتي البرنامج برعاية الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب.

صفةُ كلامِ الربِّ جلَّ وعلَا

اللقاء الأول:

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

مستمعيّ الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهلا وسهلا ومرحبا بكم في برنامج **مسائلُ في العقيدة.**

أيها الإخوة الكرام، في هذه الحلقة نتحدث على **صفة الكلام** لله سبحانه وتعالى.

أما ضيفنا فهو فضيلة الأستاذ الدكتور /عبد القادر بن محمد بن عطا صوفي؛ الأستاذ بقسم العقيدة بكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، فأهلا وسهلا ومرحبا بكم فضيلة الأستاذ.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: حياكم الله وبارك الله فيكم وأجزل لكم المثوبة.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: آمين آمين.

فضيلة الأستاذ، في بدء حلقتنا هذه نود من فضيلتكم أن تحدثونا عن توطئة عن منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات لله تعالى على وجه العموم، وفي صفة الكلام على وجه الخصوص جزاكم الله خيرا.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وأنتم بارك الله فيكم.

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فصفة الكلام وبقية الصفات لله تبارك وتعالى يثبت أهل السنة منها ما أثبته الله تبارك وتعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، وطريقتهم في هذا الإثبات واضحة، بل إنهم قد بنوا مذهبهم على أسس ثلاثة:

• الأساس الأول: أنهم يثبتون لله تبارك وتعالى كل ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

• والأساس الثاني: أنهم ينزهون الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه، لأن الرب تبارك وتعالى قال عن نفسه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }

• والأساس الثالث: أنهم يقطعون الطمع عن إدراك الكيفية، فمعرفتهم للصفة ومعناها ليس معنى ذلك أنهم يعرفون كيفيتها، بل يعرفون الصفة لأن الله تبارك وتعالى قد خاطبهم خطاب من يعقل الخطاب ويفهم ما أخبرهم به سبحانه وتعالى، فعندما أخبرهم عن استوائه ونزوله وكلامه وسائر صفاته أخبرهم بما يعقلون وما يفهمون، ومن هنا عندما جاء السائل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى - إمام دار الهجرة- وفضيلتكم صاحب الفضيلة تعلمون من هو الإمام مالك رحمه الله تعالى وما قدره عند أهل السنة والجماعة- جاءه رجل فسأله: الرحمن على العرش استوى، كيف استوى ؟، لم يسأله عن معنى الاستواء بل سأله عن الكيفية، فالإمام مالك أخبره أن: الاستواء غير مجهول -بمعنى أنه معلوم معناه في اللغة- لكن الكيف غير معقول، قال: والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة -السؤال عن الكيفية-.

فمن هنا فإن أهل السنة والجماعة يقطعون الطمع عن إدراك الكيفية، فلا يعرفون كيفية صفاته تبارك وتعالى مع إثباتهم لهذه الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة.

وإثباتنا لهذا المعنى في قول الإمام مالك رحمه الله تعالى عن الاستواء، هذا القول يسري على سائر الصفات؛ سائر صفات الله تعالى، فكل صفة من صفاته تبارك وتعالى لها معنىً معلوم، يعني المعنى ليس مجهولا كما أخبر الإمام مالك رحمه الله تعالى.

فإثباتهم لهذا المعنى ليس تشبيها؛ إثبات أهل السنة لمعنى الصفة ليس تشبيها، بل هذا المعنى هو الذي نزل به القرآن الكريم الذي خاطب الله تبارك وتعالى به العقلاء؛ من يعقل ومن يفهم خطابه سبحانه وتعالى.

لذلك يقول الحافظ ابن عبد البر رحمه الله لما تكلم عن الصفات، ابن عبد البر رحمه الله في كتابه التمهيد ذكر إنكار المعطلة للصفات، فقال **" أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج كلهم ينكرها "** ينكر أي شيء شيخ عبدالرحمن ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: الصفات.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: ينكر الصفات، قال **" ولا يحمل شيئا على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه "** تأمل من أقر بها يعني من أثبت المعنى، لم يكيف، بل أثبت المعنى الذي جاء في الكتاب وجاءت به السنة، فيقول **" يزعمون أن من أقر بها مشبِّه، وهم عند من أثبتها** - عند من أثبت الصفة؛ أثبت معناها -، **نافون للمعبود، لم يثبتوا معبودا. "**

لذلك يدور كلامهم كما قال العلماء على أنه ليس فوق العرش إله يعبد ولا ربٌّ يُصلى له ويسجد سبحانه وتعالى.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى **" والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم أهل الجماعة ولله الحمد "** فأهل السنة والجماعة كما أخبرت فضيلتكم يثبتون ما أثبته الله تبارك وتعالى لنفسه.

ولو أننا سألنا هذا السؤال: **هل إثبات الصفات والإقرار بها من التشبيه ؟** أسألكم هذا السؤال صاحب الفضيلة.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أبدا، ليس من التشبيه في شيء.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بل إن من أقر بالصفة إنما أثبت معنىً، هذا المعنى مصطلح عليه ومتعارف عليه عند الناطقين بهذه اللغة.

فمن تكلم عن معنى أثبت شيئا قد اتفق عليه العقلاء، هم يقولون نقر بها، بهذه الصفة بمعناها نثبتها، لكن نثبتها على ما يليق بربنا تبارك وتعالى لا على ما يشبه صفات مخلوقاته لأن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء وهذا هو منهج أهل السنة.

وفضيلتكم سؤالكم الذي طرحتموه في البداية قلتم تكلموا عن مجمل أهل السنة في الصفات، فالله تبارك وتعالى لا يوصف عند أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وأجمعت عليه الأمة عليه فهو ليس كمثله شيء وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه رسوله ﷺ تشبيه، بل التشبيه عندما تقول يد كيدي، بصر كبصري، كلام ككلامي، وسمع كسمعي... إلى آخر الصفات التي يثبتها المشبهة وغالوا في إثباتها حتى شبهوا الله تبارك وتعالى الذي ليس كمثله شيء بمخلوقاته.

الإمام أحمد رحمه الله ماذا قال ؟ قال الإمام أحمد **" من قال: بصر كبصري، يد كيدي، قدم كقدمي فقد شبه الله بخلقه "** قال **" وهذا كلام سوء، والكلام في هذا لا أحبه "**

الإمام إسحاق بن راهُويَه رحمه الله تعالى أيضا يقول **" من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر "** يعني من شبه من وقع في التشبيه كما قال الإمام أحمد من وصف فقال يد كيدي أو بصر كبصري.

وانظر صاحب الفضيلة إلى قول الإمام نُعيم بن حمّاد الخزاعي شيخ الإمام البخاري، يعني قوله الآن جمع بين الإثبات والتنزيه؛ عندما قال **" من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به الله نفسه فقد كفر "**، تأمل يتكلم عن المنكِر وعن من أثبت وغلا في الإثبات حتى شبه الله تبارك وتعالى بخلقه، ثم قال **" فليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه رسوله ﷺ تشبيه "** وهذا هو منهج أهل السنة؛ فهو دائر في هذه الصفة؛ صفة الكلام التي سيكون الكلام عنها بحول الله وفي سائر الصفات التي أثبتوها على القاعدة الذي ذكرتها لفضيلتكم في البداية؛ التي قالها الإمام مالك رحمه الله تعالى، قاعدة ذهبية بيّن من خلالها أن **" الاستواء معلوم وأن الكيف مجهول وأن الإيمان بالاستواء واجب لأن النص قد أتى بإثباته وأن السؤال عن الكيفية بدعة لم يفعل هذا أحد من الصحابة رضي الله عنهم وهم أعلم الخلق بعد رسول الله ﷺ بالله تبارك وتعالى. "**

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم فضيلة الشيخ.

فضيلة الشيخ ألا ترون أن اطراد هذا المنهج في جميع الصفات يدل على أن الأساس منضبط وقوي.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: أحسنتم، هذا سؤال وجيه بارك الله فيكم، بل هذا السؤال هو الذي يدور عليه منهج أهل السنة والجماعة .

الآن لو كان هناك اختلال أو اضطراب في هذا المنهج لدلَّ على أن أساسه ليس ثابتا، لكنهم انطلقوا من أساس ثابت ،الأساس الذي انطلقوا منه قول الله تبارك وتعالى **{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}**، هذه الآية التي جمعت بين التنزيه لله تبارك وتعالى عن مشابهة مخلوقاته وبين إثبات ما أثبته الله تبارك وتعالى لنفسه، وأنتم تأملوا **{ وهو السميع البصير}**، كل اسم يتضمن صفة، يعني إثبات السمع لله تبارك وتعالى والبصر له سبحانه وتعالى، وكل ما صح اسما عند أهل السنة والجماعة صح صفة لله تبارك وتعالى.

فالسؤال الذي ذكرتموه سؤال في محله ، نعم أهل السنة والجماعة عندهم منهج ثابت يسري على جميع الصفات، وهذا المنهج قد انطلقوا من هذه الآية التي جمعت بين الإثبات والتنزيه.

وقد كنت أقرأ قبل أيام عبارة لسماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى يتكلم عن قوله تعالى { ليس كمثله شيء } فقال **" ليس كمثله شيء في ذاته، ليس كمثله شيء في صفاته، ليس كمثله شيء في أسمائه، ليس كمثله شيء في أفعاله، ليس كمثله شيء في أحكامه سبحانه وتعالى "** فهذه تدل على أن منهج أهل السنة إثبات ما أثبته الله لنفسه لكنهم ينزهون الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه.

جزاكم الله خيرا.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم أحسن الله إليكم وجزاكم الله خيرا.

بعد ذلك لعلنا ندخل أو نقرب إلى صلب الموضوع فنطلب من فضيلتكم أن تبينوا لنا ما معنى الكلام عموما في لغة العرب ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم شيخ.

لغة العرب هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، هذه اللغة لو أننا تتبعنا أقوال أهل اللغة في المراد بالكلام عندهم لوجدناها، وجدنا الأقوال كلها تدور حول معنى واحد: **النطق المفهم**، الكلام يقولون هو نطق مفهم، ولو أننا قرأنا في الألفية التي لابن مالك رحمه الله تعالى يقول:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف للكلم

فيتكلم عن الكلام يقول إنه لفظ مفيد، فمن هنا أن الكلام : نطق مفهم، بمعنى ليس شيئا في النفس، بل هو شيء خرج بصوت وحرف ويفهم السامع هذا الكلام الذي خرج.

صاحب الفضيلة، لو أننا تأملنا في قول الله تبارك وتعالى عندما عبد قوم موسى عليه السلام العجل، الله تبارك وتعالى ذكر أن هذا العجل له صوت، أليس كذلك ؟ قال **{ فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار}** والخوار صوت.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نعم.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لكن هذا الصوت هل هو مفهم ؟ لا.

لا يسمى كلاما. ماذا قال الله تبارك وتعالى؟

قال **{ ألم يروا أنهم لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين }**، إذن الآن نفى الكلام عنه مع أن الصوت المطلق وُجِدَ، لكن لا بد من الجمع بين الأمرين؛ أن يكون لفظا وأن يكون مفيدا؛ صوت مفهوم واضح؛ نطق مفهم كما قال أهل اللغة .

وكذلك صاحب الفضيلة في قوله الله تبارك وتعالى **{ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}** ماذا قال سبحانه **{مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ }** سماها كلمة وقال إنها تخرج من أفواههم، تكلموا هذه الكلمة وهي عبارة مفيدة، نطق مفهم، لفظ واضح، لكنها أخبر الله تبارك وتعالى أنها تشتمل على لفظ ومعنى فسماها كلمة، فمن هنا لابد أن يكون الكلام مشتملا على لفظ ومعنى، بل في قول الصادق المصدوق ﷺ والحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في الصحيح وغيره، يقول فيه ﷺ **" إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها "** لكن أكمل الحديث قال **" ما لم تتكلم أو تعمل "** فهل سمى حديث النفس كلاما ؟

إذن ما هو الكلام ؟ الكلام :نطق مفهم.

بل لو أنا تتبعنا الأدلة صاحب الفضيلة، معاذ بن جبل لما جاء إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، في الحديث الطويل الذي أخبر فيه ﷺ عن رأس الأمر؛ قال " رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد " ثم قال " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ " قال " بلى يا نبي الله " قال: فأخذ بلسانه وقال " كُفَّ عليك هذا " قال " يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ "، الآن أشار إلى اللسان، قال " وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ " قال " ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ "، إذن، ما خرج من كلام يفرق في هذا الحديث عليه الصلاة والسلام بين ما كان في النفس – حديث النفس – وبين ما تكلم به الانسان، بل " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها "، لكن لو تكلمت، يعني خرج لفظٌ مفيد ونطقٌ مفهم فإن الله تبارك وتعالى يؤاخذ به، بخلاف حديث النفس تجاوز الله تبارك وتعالى عنه.

في الكلمتان الخفيفتان على اللسان، ماذا قال عليه الصلاة والسلام، قال **" كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "**، فهاتان كلمتان جمعتا اللفظ والمعنى، فهو نطق مُفْهِمٌ ليس حديث نفس.

بل إني أريد ان أسأل فضيلتك سؤالا.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: تفضل

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لو كنت في الصلاة وحدثتك نفسك بأشياء وأنت في الصلاة،

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نعم

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: فهل بطلت صلاتك؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لا

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: متى تبطل الصلاة؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: إذا تكلمت.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: إذا تكلمت بها، إذن، دل هذا على أن حديث النفس في الصلاة ليس كلاما، أليس كذلك ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بلى

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هذا يشهد له حديث معاوية ابن الحكم السلمي عندما كان في الصلاة وعطس أحدهم فقال له وهو يصلي: يرحمك الله، فالصحابة نظروا إليه، فقال: واثكل أمياه لماذا تنظرون إلي ؟ - ماذا فعلت؟ -

فأخبره عليه الصلاة والسلام في آخر الأمر، قال له " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس"، لكن لو حدث الإنسان نفسه فإن حديث النفس لا يبطل الصلاة، وإنما يبطل الصلاة ما تكلم به الإنسان، فمن هنا فرق العلماء.

وأعود وأؤكد صاحب الفضيلة أن الكلام هو نطق مفهم، هو لفظ مفيد؛ يعني قد جمع بين اللفظ والمعنى، ومن هنا ما حدّث الانسان به نفس لا يسمى كلاما.

و أريد ان أرد على من زعم أن المراد بالكلام ما كان قائما بالنفس، لكن سنتكلم بحول الله تعالى عن ذلك لاحقا إن شاء الله.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: إن شاء الله

جميل وبارك الله فيكم، ولعله اتضح تماما للمستمع الكريم أن الكلام لابد أن يكون فيه نطق، ومن ادعى أن كلام الله أو الكلام عموما يعني ما في نفس الانسان، هذا لا يسمى كلاما.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لا يسمى كلاما، بل هو حديث نفس.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جميل، أحسنتم بارك الله فيكم.

بعد ذلك صاحب الفضيلة، هل الكلام معنى واحد قائم بالنفس أو يتعدد في معانيه؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: صاحب الفضيلة، أنتم تعلمون أن الكلام ينقسم إلى خبر وانشاء؛ وهذا مصطلح عليه عند أئمة اللغة، بل إنهم يقولون إن الخبر ما جاز أن يقال لقائله: أنت صادق في قولك أو كاذب، أما الإنشاء؛ قالوا لا يجوز أن يقال لقائله: أنت صادق في قولك او كاذب، فدل على أنهم في الكلام لا يقولون أنه معنى واحد، بل يفرقون بين الخبر والإنشاء، ثم لو تأملت في الانشاء، ما الذي يشتمل عليه الانشاء؟ الانشاء كما قال أئمة اللغة أيضا يشتمل على نداء ويشتمل على استفهام ويشتمل على أمر ونهي... يشتمل على قضايا كثيرة، فهل نسمي الأمر النهي؟ هل نسمي الاستفهام النداء؟

بناءً على هذا، لو قلنا هذا فإن معنى قوله تبارك وتعالى **{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }** وهذا خبر، كقوله تبارك وتعالى **{ وأقيموا الصلاة }** وهو إنشاء، طلب.

فدل على أن الكلام ليس معنى واحدا ولكن الكلام يتنوع في لغة العرب.

ومن هنا أيضا هذه القاعدة يرد بها على من زعم أن الكلام معنى واحد قائم في نفس الله تبارك وتعالى، وسنتكلم بحول الله تعالى عن هذا الموضوع لاحقا ان شاء الله.

لكن بقي أن أشير إلى قضية، صاحب الفضيلة، في مقابل هؤلاء الذين زعموا أن الكلام معنى واحد قائم في نفس الله تبارك وتعالى وُجِد أناس ادعوا أن الله تبارك و تعالى خلق كلامه في جسم منفصل عنه فتكلم ذلك الجسم، فهنا قضية أخرى في الحقيقة أيضا تثير بلبلة بالنسبة إلى القواعد العرفية العقلية التي يفهمها الانسان، فأنتم صاحب الفضيلة لو تساءلتم في أنفسكم؛ أنتم الآن تجلسون على كرسي أمامي، لو حركتم هذا الكرسي وأنتم بعيدون عنه؛ حركتموه بيدكم وأنتم في مكانكم واقفون؛ ماذا تقولون ؟ هل تقول تحرك الشيخ عبد الرحمن ؟ أو تحرك الكرسي ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: تحرك الكرسي.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: إذن، بناء على هذا؛ الحركة تنسب إلى الجسم الذي قامت به،

لذلك يقولون: الوصف إذا قام في محل، أو الصفة إذا قامت في محل عاد حكمها على ذلك المحل.

وهذه القضية الحقيقة -صاحب الفضيلة- أريد من حضرتكم أن أبدأ الحديث عنها.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جميل، نطرح عليكم نطرح عليكم السؤال؛ فنقول: من المتكلم في العرف اللغوي ؟ هذه القضية التي ذكرتم أن الله جعل أو خلق كما يقولون خلق الكلام في شيء منفصل عنه؛ هل هذا لغة عند أئمة اللغة جائز؟ فضلا أن نرده من الناحية الشرعية.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: ليس أئمة اللغة صاحب الفضيلة، بل العقلاء كلهم متفقون على أن الحركة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل، والآن لو تأملت في القول السابق الذي أشرتم فضيلتكم إليه؛ من زعم أن الله تبارك وتعالى خلق الكلام في جسم منفصل عنه فتكلم ذلك الجسم، الآن من تكلم ؟ أين قامت صفة الكلام ؟ في الجسم المنفصل عن الله تبارك وتعالى، لكنهم يسمون الله تعالى متكلما مع أن الكلام لم يقم به عندهم، بل العقلاء متفقون على أن المتكلم من قامت به صفة الكلام؛ الكلام صفة، إذا قامت هذه الصفة بموصوف سمي الموصوف بهذه الصفة متكلما.

المتكلم إذن من قامت به صفه الكلام، بناء على هذا، حين نسمع قول الله تبارك وتعالى { إن الله سميع عليم } ماذا نفهم من هذا؟ سميع عليم، أين قامت صفة السمع؟ بالله تبارك و تعالى، وصفة العلم ؟ بالله تبارك و تعالى، كذلك لو سمعنا قول الله تبارك وتعالى **{ وكلم الله موسى تكليما }** كلم تكليما، كلم الله موسى تكليما، من المتكلم؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: الله ﷻ.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: الله تبارك وتعالى، فنعقل من هذا أن صفة الكلام قد قامت بالله تبارك وتعالى، فننسب هذه الصفة إلى من تكلم وهو الله تبارك و تعالى، فهذه صفة الكلام. دلت هذه القاعدة على أن الصفة تقوم بالموصوف، وفي هذا كما أشرتم فضيلتكم إبطال ان الصفة لا تقوم بالموصوف، لذلك ماذا ا قالوا ؟ قالوا: إن الله سميع بلا سمع، عليم بلا علم، بل قالوا: متكلم بلا كلام، أين قام الكلام ؟ قام في جسم منفصل عنه فسموه متكلما.

وهذا خلاف قول العقلاء صاحب الفضيلة، يظهر من هذا أن المتكلم من قامت به صفة الكلام، فلا يصح وصفه بذلك إلا مع قدرته على الكلام؛ إذ قدرة المتكلم على الكلام لازمة له ما دام موصوفا بالكلام، لأنه لو لم يكن قادرا على الكلام لوُصِف بضده؛ لو لم يوصف بالكلام لوُصِف بضده، والكلام صفة كمال بالنسبة لله تبارك وتعالى، وقد أخبرت فضيلتكم قبل قليل أن الله تبارك وتعالى عاب على أولئك الذين اتخذوا العجل؛ ماذا قال؟ قال **{ ألم يروا أنه لا يكلمهم }** فدل على أن الكلام صفة كمال تقوم في المعبود تبارك وتعالى.

فهذا المراد صاحب الفضيلة بهذه القاعدة التي ذكرها العلماء، وهذا كله يدل على ما أخبرتكم به سابقا؛ أن المعنى قد أثبته أئمة أهل السنة والجماعة؛ أثبتوا المعنى من الصفات كلها، سواء كانت صفة الكلام أو بقيّة الصفات، لكنهم بالنسبة للكيف كما مر معنا سابقا فإن الكيف مجهول.

لذلك ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لما أتت إليه الآيات التي فيها صفات الله تبارك وتعالى وقرأ الأحاديث التي أخبر فيها الصادق المصدوق ﷺ عن صفات كثيرة لله تبارك وتعالى قال **" ليس عندنا للخبر إلا التسليم و الإيمان به، فنقول يجيء ربنا ﷻ يوم القيامة والملك صفا صفا، ونقول يهبط إلى السماء الدنيا، ونقول ينزل إليها في كل ليلة "**

لما ذُكِر للحُمَيدي -شيخ الامام البخاري- ذُكِر أمامه حديث رسول الله ﷺ **" إن الله خلق آدم بيده "**، فالله تبارك و تعالى له يد كما أخبر عن نفسه سبحانه و تعالى، ماذا قال الإمام الحُميدي، قال **" لا نقول غير هذا "** -هذا قولنا- على التسليم والرضا بما جاء في القرآن والحديث، ولا نستوحش أن نقول كما قال القرآن والحديث، والإنسان يتأسى بكلام ربه تبارك وتعالى وبما قال رسوله ﷺ.

أبو المظفر السمعاني رحمه الله تعالى يقول **" أجمع أهل الاسلام متقدموهم و متأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله تعالى "**، - يعني كل الأحاديث التي جاءت في صفات الله تبارك وتعالى- **" مما يكثر عدُّه "**- ذكر مسائل القدر والرؤية والمجيئ والنزول والكلام، قال **" هذه الأشياء كلها علمية لا عملية وإنما تُرْوى لوقوع علم السامع بها "**، فعلمنا بها من قول ربنا تبارك وتعالى ومما أخبر به رسولنا ﷺ فليس علينا إلا التسليم لما قال الله و قال رسوله ﷺ.

أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: وإياكم، جزاكم الله خيرا صاحب الفضيلة على ما ذكرتموه وبيّنتموه.

لعلّنا قبل أن نختم إذًا نعطي خلاصة من هذه التوطئة أننا نثبت لله تبارك وتعالى صفة الكلام، وأن الله يتكلم بصوت وحرف مسموعين.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم. وهذه القضية سنتكلم عنها بحول الله لاحقا؛ أن الله تبارك وتعالى.. لأن الأدلة قد دلّت على ذلك صاحب الفضيلة.

الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول ابنه عبد الله **" سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت "** يعني نفوا الصوت **" فقال أبي: بلى، إن ربك عز وجل تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت "**، قد رواها عبد الله عن والده في كتاب السنة؛ السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد.

قال عبد الله **" وقال أبي رحمه الله: حديث ابن مسعود رضي الله عنه ((إذا تكلم الله عز وجل سُمِع له صوت كجر السلسلة على الصفوان)) قال أبي: وهذه الجهمية تنكره** -هذا الحديث-، **وقال أبي: هؤلاء كفار يريدون أن يُمَوِّهوا على الناس، من زعم أن الله عز وجل لم يتكلم فهو كافر، ألا إنّا نروي هذه الأحاديث كما جاءت "**

فهذه الأحاديث وتلك الآيات إنما على العبد أن يُسلم لها -صاحب الفضيلة- في سائر الصفات وفي صفة الكلام لله تبارك وتعالى، على الخصوص بإعتبار أن كلامنا عن هذه الصفة في هذه الجلسة المباركة بحول الله تعالى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: وأحسن إليك، **" كما جاءت "** ليس فيه تفويض، لكن " كما جاءت " نروي هذه الأحاديث ولكن بدون تشبيه.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: التفويض بالنسبة للمعنى ليس مذهب السلف رحمهم الله تعالى، بل السلف يُفوّضون الكيف كما مر معنا سابقا، أما المعنى فقول الإمام مالك رحمه الله واضح أن **" الاستواء غير مجهول "** يعني معناه معلوم، وكذلك سائر الصفات، من أجل ذلك صفة الكلام معناها معلوم، أما إذا أتينا إلى الكيفية؛ كيف يتكلم تبارك وتعالى فلا بد أن نثبت كيف هو أولا، والله تبارك و تعالى لم يره أحد من خلقه، أفضل خلقه ما رآه، فلا نعلم كيف ذاته حتى نقول كيف صفاته سبحانه، وإنما نثبت المعنى الذي أثبته لنفسه دون أن نخوض في الكيفية.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم بارك الله فيكم. جزاكم الله خيرا، نفعنا الله بما سمعنا، أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزيك عنا خير الجزاء وأن يجعل ما قدمته في ميزان حسناتك يا صاحب الفضيلة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وإياكم، أحسن الله إليكم.

الفضل يعود إليكم. وجزاكم الله خيرا وجزى الإخوة المستمعين خير الجزاء وبارك الله فيكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أمين آمين.

أيها الإخوة المستمعون كنا مع صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور/عبد القادر بن محمد عطا صوفي؛ الأستاذ بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، حدثنا جزاه الله خيرا عن بعض المحاور في صفة الكلام لله ﷻ لكن بقي علينا أمور أخرى في هذه الصفة سنتحدث عنها إن شاء الله في حلقات قادمة فكونوا معنا، وإلى ذلكم الحين نستودعكم الله تبارك وتعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

اللقاء الثاني:

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على عبد الله و رسوله نبينا محمد و على آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

مستمعيّ الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلا وسهلا ومرحبا بكم في برنامج " مسائل في العقيدة ".

أيها الاخوة الكرام، كنا تحدثنا في ما مضى عن اثبات صفة الكلام لله ﷻ وقد انتهى بنا ذلك المجلس وبقي علينا أمور لم نتحدث عنها، وفي هذه الحلقة سيكون استكمال لما بدأناه.

وأما ضيفنا فهو لا يزال فضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، فأرحب به باسمكم فأهلا و سهلا ومرحبا بكم فضيلة الأستاذ.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: حياكم الله وبارك فيكم، وأسأل الله أن يجعل ما تقدمونه في صحيفة حسناتكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: آمين وإياكم .

فضيلة الاستاذ حبذا أن نذكر المستمع الكريم بمجمل قول أهل السنة والجماعة في صفة الكلام قبل أن نبدأ محاور هذه الحلقة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: صفة الكلام كما مر معنا صفة قائمة بربنا تبارك وتعالى غير بائنة عنه، فالله عز وجل يتكلم بحرف وصوت يُسمع سبحانه وتعالى، وكلامه أحسن الكلام، ولا يشبه كلامه كلام المخلوقات، الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ }** فصفاته ليست كصفات خلقه، كلامه ليس ككلام خلقه لكنه أثبت الكلام لنفسه سبحانه وتعالى فكلامه يليق به جل وعلا؛ ليس كلامه ككلامنا، بل فضل كلام الله تبارك وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه.

خرّج الإمام الدارمي في رده على الجهمية وابن بطة في الإبانة الكبرى واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة عن أبي سعيد الخدري وغيره من الصحابة؛ في الإبانة الكبرى عن أبي سعيد الخدري وفي مواضع أخرى عن غيره من الصحابة، قال رسول الله ﷺ **" فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على سائر خلقه "**.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: الله أكبر. الله أكبر.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: فكلامه تبارك و تعالى ليس ككلامنا، إذا تكلمنا -شيخ عبد الرحمن- عن الله تبارك و تعالى فإن الله ليس كمثله شيء، من أجل ذلك صفاته التي نذكرها ليست كصفات

مخلوقاته سبحانه وتعالى، بل صفات تليق به، لكنه خاطبنا بما نعقل سبحانه وتعالى، فنحن نفهم هذه الصفات في لغتنا لكن كيفيتها تليق به سبحانه وتعالى لأنه ليس كمثله شيء.

فكلامه ليس ككلامنا؛ فهو يتكلم بصوت يُسمع سبحانه وتعالى، خاطب أنبيائه وكلمهم، ويكلم ملائكته ويكلم المؤمنين يوم القيامة وكل هذا ثابت في كتابه تبارك وتعالى وفي سنة رسوله ﷺ.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم بارك الله فيكم.

بعد ذلك، هل صفة الكلام هي من صفات الكمال سواء بالنسبة لله تبارك وتعالى أو بالنسبة للمخلوق ؟ فأنتم تعلمون أن أهل السنة إنما يثبتون الصفات التي تدل على الكمال، فمن هذا الباب حدثوا المستمع الكريم عن هذه القاعدة وهذه الصفة بالذات.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: ما تفضلتم به هو مذهب أهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة يقولون أن صفات الله تبارك وتعالى صفات كمال، فيُثبت له الكمال سبحانه و تعالى.

لو قرأنا قول الله تعالى **{ و لله المثل الأعلى }** ما معنى المثل الأعلى ؟ قال العلماء: المثل الأعلى الوصف الأعلى، فهو تبارك وتعالى يُوصف بكمال الصفات؛ صفاته صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

لو قرأنا صاحب الفضيلة قول الله تبارك وتعالى **{ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }** و يقول سبحانه وتعالى **{ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }** فله المثل الأعلى سبحانه.

والمثل الأعلى الوصف الأعلى، ما معنى لوصف الأعلى ؟ أي جميع وجوه الكمال اللائقة به سبحانه وتعالى تُثبت له سبحانه، مطلق الكمال، من أسمائه: السلام، القدوس. السلام فهو سالم من كل عيب ونقص؛ وهو منزه عن كل عيب ونقص، فصفاته سبحانه وتعالى له الكمال المطلق فيها.

سألتَ فضيلتك سؤالا، سألتَ فضيلتك: هل وصف الله تبارك وتعالى بالكلام إثبات كمال له تبارك وتعالى ؟ وقلت: هذا بالنسبة للمخلوق، لو كان المخلوق أبكم أخرص لا يتكلم، هل هذا في حقه نقص أم كمال ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نقص

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: في حقه نقص

الله تبارك و تعالى ننفي عنه كل عيب ونقص سبحانه وتعالى، بل الكمال الذي يُثبت لله تبارك وتعالى هو الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه .

البكم والخرص صفة نقص؛ فننفيها عن الله تبارك وتعالى لأنها لا تليق بالإله المعبود .

فضيلتكم أخبرتكم في الحلقة الماضية في قصة بني إسرائيل عندما عبدوا العجل ، هذه الصفة لو فُقدت في المخلوق فإنها تدل على عجزه وعلى عدم كماله. الله تبارك وتعالى قال لهم **{ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ }** فكيف يصلح إثبات عدم الكلام لمن له الكمال المطلق سبحانه وتعالى ؟ بل كيف يصلح إثبات عدم الكلام لمن هو واهب الكلام لخلقه ؟ والكلام كما تفضلتم قبل قليل صفة كمال بالنسبة للمخلوق، فواهب الكمال أحق بالكمال، فلماذا ذكرت لكم هنا صفة البكم و الخرس ؟ البكم والخرص هو ضد الكلام، فلذلك من ينفي عن المعبود الكلام فلا شك أنه يصفه بضده، فإما أن يكون متكلما أو لا يكون متكلما، وضد الكلام هو البكم والخرص، فهل المعبود بحق سبحانه وتعالى يوصف بالكلام أم ينفى عنه فيوصف بضده ؟

بل يوصف بالكلام .

في القرءان الكريم ورد تقرير هذا المعنى أحسن تقرير؛ يقول الله تبارك و تعالى **{ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا }** هذه الآية شبيهة بالآية التي قرأتها، وما كان الله ليعيب إلٰههم الباطل بما هو عيب فيه تعالى وتقدس سبحانه وتعالى.

ماذا قال إبراهيم عليه السلام عندما حطم أصنام قومه، ماذا قال ؟ اسمع الحوار الذي دار بينه وبين قومه **{ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ }** ماذا قالوا **{ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ }** ماذا قالوا ؟ **{ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ }** إذن هذه صفة عيب في هذا المعبود بباطل، والمعبود بحق تبارك وتعالى ينفى عنه كل عيب ونقص، وصفة الكلام ثابتة له سبحانه وتعالى.

أقروا – قوم إبراهيم عليه السلام – أقروا بسلب الصفة عن معبودهم؛ قالوا **{ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ }** بل اعترفوا أن ذلك نقص فيهم، **{ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ }**، فدلت الآيات على أن سلب صفة الكلام نقص فيمن سلبته عنه – فيمن سلبت الكلام عنه – فكان من حجة إبراهيم عليه السلام أن آلهتهم لا تتكلم.

فلو لم يكن ضد هذه الصفة لازما لربه تبارك وتعالى لم يكن له في إلزامه إياهم حجة عليهم. لماذا ؟ لمساواة إلهه إلههم في سلب هذه الصفة؛ كان أمكن أن يقول أن: إلهك أيضا لا يتكلم، ولصحّ لقومه أن يقولوا: إن الذي وصفت به آلهتنا من النقص هو صفة لإلهك أيضا، فتبطل بذلك حجته عليه الصلاة والسلام.

ولما كان الله تعالى موصوفا بصفات الكمال؛ والكلام من صفات الكمال لم يكن لهم أن يعترضوا بمثل ما اعترضوا به.

جزاكم الله خيرا.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم بارك الله فيكم. توضيح واضح وجميل ومفيد.

بعد هذا الأمر – أحسن الله إليك – حبذا لو أتحفتمونا بالأدلة من الكتاب والسنة على إثبات صفة الكلام لربنا عز وجل.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: قد دل الكتاب والسنة يا صاحب الفضيلة على إثبات هذه الصفة لربنا ومولانا عز وجل، والأدلة كثيرة، لو جلسنا نستعرضها ما ننتهي في حلقات فهي كثيرة جدا.

لكني سأقتصر على بعض الأدلة التي دلت على أن الله تبارك وتعالى يكلم رسله عليهم الصلاة والسلام.

فهو سبحانه يكلم من شاء من خلقه؛ يكلم ملائكته، ويكلم رسله، قال الله تبارك وتعالى **{ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ }** أكملوا الآية **{ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ }** فالله تبارك وتعالى قد كلم بعض رسله تكليما خاصا من وراء حجاب بلا واسطة.

كلم بعض رسله تكليما خاصا من وراء حجاب بلا واسطة، وهو تكليم مباشر من الرب تبارك وتعالى بكلام يسمعه من كلمه – من شاء من رسله، هؤلاء الذين كلمهم – يسمعونه بكلام مباشر، هذه المرتبة؛ مرتبة التكليم، بالنسبة للرسل عليهم الصلاة والسلام هي أشرف وأفضل المراتب.

من حاز هذه المرتبة من الرسل – صاحب الفضيلة - ؟

موسى عليه السلام؛ الله تبارك وتعالى قد اصطفاه بكلامه، فحاز هذه المرتبة – من الرسل – موسى، كلمه الله تبارك وتعالى كما أخبر سبحانه وتعالى **{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا }** ، كلم الله موسى تكليما؛ فعل مؤكد بمفعول مطلق – مؤكِّد للفعل-؛ كلم تكليمًا، تأمل " كلم تكليما " ليس إثبات الفعل فحسب، بل تأكيده أيضا.

حاول من نفى صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى أن يحرف هذه الآية بتغيير حركة الإعراب؛ فقال كلم الله موسى تكليما، هذه الآية، فقال (كلّم اللهَ موسى تكليما)، على أن المتكلم هو موسى عليه السلام وليس الله تبارك وتعالى، فلما سمعه أحد العلماء قال: ماذا تفعل بقوله تعالى **{ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ }** فبَهت، فهذه الآية فيها إثبات الكلام أن المتكلم هو ربنا تبارك وتعالى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: وأن ممن حاز هذا التكليم هو موسى.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم، ممن حاز هذا التكليم هو موسى عليه السلام، والآيات التي أثبتت التكليم لموسى عليه السلام كثيرة جدا، سأحاول أن أذكر لفضيلتكم بعض الآيات، من ذلك قوله تبارك وتعالى: **{ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ }** نداء، من الذي ناداه ؟ الله تبارك وتعالى **{ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ }**

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لكن أهل البدع يقولون: النداء صدر من الشجرة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هل تقول الشجرة إني أنا ربك ؟ !

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أبدا.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هل تقول الشجرة **{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي}**

هل يقول جسم مخلوق خلق فيه صفة الكلام كما يقول المخالفون { إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ } ؟

الذي قال { إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ } هو رب العالمين تبارك وتعالى، وهو الذي نادى موسى وكلم موسى عليه الصلاة والسلام **{ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }**.

والآيات كثيرة، لو استعرضنا – صاحب الفضيلة – هذه الآيات فقط – التي قرأت الآن – بداية هذه الآيات قرأتها، لكن ه الآيات كلها يكلم الله تبارك وتعالى فيها موسى عليه السلام؛ يكلمه بكلام يسمعه موسى، وموسى يرد على ربه تبارك وتعالى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: الله أكبر.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: فهو نداء من الله لموسى، وموسى يكلم الله تبارك وتعالى.

من أجل ذلك، هذه الآيات دلت على أن الله تبارك وتعالى قد اصطفى موسى بصفة الكلام؛ أنه كلمه.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: مباشرة بلا واسطة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: مباشرة بلا واسطة، أحسنتم.

وكذلك الآيات في سورة طه، هذه الآيات، أكثر من 40 آية تتكلم عن حوار ونداء من رب العالمين وكلام مع موسى عليه السلام وموسى عليه السلام يكلم الله تبارك وتعالى.

في سوة أخرى؛ في سورة النمل مثلا، كذلك آيات تتكلم عن كلام الله تبارك وتعالى مع موسى عليه السلام **{ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ }**

كما سألتم – صاحب الفضيلة – قبل قليل؛ هل الشجرة أو الجهة هي التي كلمت موسى عليه الصلاة والسلام ؟ أو الذي كلم موسى عليه السلام هو الله رب العالمين تبارك وتعالى ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لا شك أنه الله.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: في سورة **{ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ }** وكما أخبرت فضيلتكم قبل قليل، لو جلسنا نستعرض هذه الآيات التي فيها إثبات كلام الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام لما وَفَّى وقت هذه الحلقة ولا حلقات أخرى لذكر هذه الآيات، فكلها تدل على أي شيء - صاحب الفضيلة - ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أن الله تبارك و تعالى يتكلم بحرف وصوت وينادي وكلامه مسموع.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: سمعه موسى عليه السلام، والله تعالى قد كلّم موسى وكلامه تبارك وتعالى مع موسى تشريف لموسى واصطفاء له، من أجل ذلك قد أخبر سبحانه وتعالى عندما كلم موسى قال { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي }؛ فهذا اصطفاء من الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام؛ اصطفاه برسالته وبكلامه.

وفضيلتكم تعرفون المحاججة التي وردت بين آدم عليه السلام وبين موسى عليه السلام، لماذا أشرت إلى هذه القصة ؟ لأن آدم عليه السلام ذكر في هذه القصة في أثنائها أن الله تبارك وتعالى قد اصطفى موسى؛ ذكر مناقب موسى عليه السلام ومنها أن الله تبارك وتعالى قد اصطفاه بصفة الكلام؛ أخرج الإمام البخاري ومسلم –والحديث مخرج في الصحيحين- قال **" احتج آدم و موسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيّبتَنا وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم " يا موسى، اصطفاك الله بكلامه و خطّ لك بيدِه..."**، خط لك بيده؛ فالله تبارك و تعالى خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنّة عدنٍ بيده سبحانه وتعالى ، فيقول له يحدثه عن فضائله **" اصطفاك الله بكلامه و خطّ لك بيده، أتلومني على أمرٍ قدّره الله علي قبل أن يخلقني بـأربعين سنة ؟ "** قال عليه الصلاة والسلام **" فحجَّ آدمُ موسى، فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى "** ثلاثا.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: غلبه بالحجة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: الآن – يا صاحب الفضية- أشرت إلى أن الله تبارك وتعالى قد خص موسى عليه السلام واصطفاه بهذا الكلام؛ أنه كلمه مباشرة، وهذا الاصطفاء -كما أخبرت فضيلتكم- قد ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه وجاءت أيضا السنة بإخبار آدم عليه السلام لموسى عليه السلام أن الله تبارك وتعالى قد اصطفاه بكلامه.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم أحسن الله إليكم.

المستمع الكريم قد يطرأ على ذهنه سؤال؛ هذا الاصطفاء والاجتباء لموسى حيث كلمه الله؛ هل حصل لنبي آخر؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم حصل لغير موسى عليه السلام، حصل لآدم عليه السلام؛ من معتقد أهل السنة أن آدم عليه السلام نبي مكلم، ولو قرأنا في أوائل سورة البقرة - صاحب الفضيلة - الله تبارك و تعالى قال للملائكة **{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }**.

لما خلق آدم عليه السلام وعلّم آدم الأسماء كلّها عرضهم على الملائكة وقال للملائكة **{ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } { قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ }** لكن من علمه، وهو آدم عليه السلام، قال له الله تبارك وتعالى **{ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم }**؛ فخاطبه الله تبارك وتعالى وقال له: أنبئ الملائكة بأسماء هؤلاء، **{ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ }**.

بل إن آدم عليه السلام لما دخل الجنة وحواء وعاشا فيها، الله تبارك وتعالى نهاهُ عن الأكل من الشجرة وقال له ولحواء **{ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ }** لكن حصلت المعصية من آدم عليه السلام، والله تعالى خاطبه وخاطب حواء **{ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ }** ثم كانت التوبة من آدم عليه السلام وحواء أيضا **{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }**.

فكلام الله تبارك وتعالى مع آدم عليه السلام في آيات كثيرة -صاحب الفضيلة-، يعني في سورة الأعراف أيضا وفي سور أخرى ذكر الله تبارك وتعالى أنه خاطب آدم عليه السلام وآدم كلم ربه، والآيات دلت على تكليم الله تبارك وتعالى لآدم عليه السلام، ولذلك كما أخبرتكم قبل قليل وُصِف آدم عليه السلام بأنه نبي مكلم.

ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي والدارمي وغيرهم أخرجوا بأسانيدهم عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال **" دخلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فقلت: أي الأنبياء أول ؟ قال: آدم. قلت: وهل كان نبيا؟ قال: نعم نبيّ مُكلّم "** هذا الحديث حديث صحيح أخرجه من ؟ أخبرتكم صاحب الفضيلة قبل قليل وهو حديث صحيح يقول فيه الصادق المصدوق **" نعم نبيّ مُكلّم "** فالله تبارك وتعالى قد كلّم آدم عليه السلام كما كلم بعده موسى عليه السلام كما حصل التكليم أيضا لغير هذين النبيين الكريمين.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم. وهذا هو السؤال الذي ممكن أن نطرحه الآن؛ هل حصل التكليم كذلك لغير هذين النبيين الكريمين لغير آدم ولغير موسى؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: الجواب: نعم أيها الحبيب، قد حصل التكليم لغير آدم ولغير موسى عليهما السلام، قد حصل لخير خلق الله محمد ﷺ كلمه ربه تبارك وتعالى، حصل التكليم لرسولنا ﷺ ليلة المعراج؛ تكليم مباشر من الرب تبارك و تعالى لمحمد ﷺ من وراء حجاب بكلام سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذن نعود إلى ما تقدم في مجمل معتقد أهل السنة في هذه الصفة، أن الله تبارك و تعالى يتكلم بكلام بحرف وصوت يُسمع، فالله تبارك وتعالى قد كلم أنبياءه وقد سمعه الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.

لو سمحتم لي أن أذكر لكم الحديث الذي فيه كلام الله تبارك و تعالى مع محمد ﷺ ليلة المعراج؛ الحديث أخرجه الشيخان - الإمام البخاري والإمام مسلم - في صحيحيهما، واللفظ الذي سأسوقه الآن هو لفظ الإمام مسلم؛ أخرجه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال - في حديث طويل يتكلم فيه رسول الله ﷺ عن العروج به إلى السماوات- قال **" ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فأوحى الله إليّ ما أوحى،**

ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بَلَوْتُ بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يارب خفف على أمتي " فالآن رسول الله ﷺ يُكلمُ ربّهُ؛ يقول **" خفِّف على أمتي. فحطّ عني خمسا، فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال "** من القائل؟ من المخاطب؟ الله، والمخاطب رسول الله عليه الصلاة والسلام **" حتى قال: يا محمد إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عَشْرٌ فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كُتبت سيئة واحدة "** فالله تعالى الآن يُكلم رسوله ﷺ لذلك رسولنا عليه الصلاة و السلام نبيّ ورسول مُكلّمٌ كما أن آدم عليه السلام نبيّ مُكلّمٌ وكما أنّ موسى عليه السلام هو موسى الكليم صلى الله عليهم وعلى الأنبياء والمرسلين أجمعين.

قال عليه الصلاة والسلام بعدما قال له الله تبارك وتعالى هنّ خمس صلوات، قال **" فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرتهُ فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ : قدْ رجعتُ إلى ربي حتى اسْتَحْيَيْتُ منه "**

إذن ما المُراد من إيراد هذا الحديث صاحب الفضيلة ؟ أن التكليم قد حصل لنبيّنا محمد ﷺ كما حصل لموسى عليه السلام وكما حصل لآدم عليه السلام، وهذا الكلام لم يكن بواسطة جبريل عليه السلام؛ عندما كلمهُ الله ليلة المعراج لم يكن بواسطة جبريل بل كلمه الله تبارك وتعالى هناك حيثُ رُفِعَ إلى موضعٍ لم يُرفع إليه موسى الذي فُضِّلَ بكلام الله تعالى، بل ولا إبراهيم عليه السلام الذي فُضِل بأنه خليل الرحمن، فذلك مُسْتَوْجب أن يكون فَضْلُ رسولنا ﷺ أعظم من فضل من دونه من الأنبياء والمرسلين، فجدير به أن ينال درجات الفضل التي حصَّلها من دونه، فقد نال درجات الفضل التي حصّلها من دونه وزيادة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبيّنا محمد.

أحسنتم أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة وجزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل ما قدّمتُموه في موازين حسناتكم وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

أيّها الإخوة المستمعون كنا مع صاحب الفضيلة: فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد القادر ابن محمد عطا صوفي الأستاذ بقسم العقيدة في كليّة الدعوة وأصول الدّين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث حدّثنا عن محاور تتعلق بإثبات صفة الكلام لله ﷻ، هذه الصفة العظيمة لا شك أن لها أمورا أخرى وربما نحتاج إلى البحث فيها فكونوا معنا في حلقة جديدة وإلى ذلكم الحين نستودعكم الله تبارك وتعالى آملين اللقاء بكم وأنتم على خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

اللقاء الثالث:

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

مستمعيّ الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أهلا وسهلا ومرحبا بكم في برنامج " مسائل في العقيدة "

أيها الإخوة الكرام لا زلنا نتحدث عن صفة الكلام لله تبارك وتعالى واعتقاد أهل السنة والجماعة في ذلك، وفي هذه الحلقة سيكون هناك في مدخلها ربط لما تقدم، ثم الكلام عن اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم.

ولا زال ضيفنا هو فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد القادر محمد عطا صوفي؛ الأستاذ بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

باسمي وباسمكم أرحب بفضيلة الأستاذ فأهلا وسهلا ومرحبا بكم فضيلة الأستاذ.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: حياكم الله وبارك فيكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أهلا وسهلا.

شيخنا الكريم في مدخل لهذه الحلقة وربطا لما تقدم هل من إيجاز لما تقدم ذكره من اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفة الكلام؛ لعل المستمع الكريم أن يكون ربما فاته شيء من تلك الحلقتين.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: أحسنتم بارك الله فيكم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كما تفضلتم؛ تقدم بيان معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الكلام لله تبارك وتعالى؛ فهم يثبتون لله تعالى هذه الصفة على ما يليق به سبحانه وتعالى؛ يعني كلامه ليس ككلام خلقه جل وعلا لأن الله تبارك وتعالى **{ ليس كمثله شيء }** ويقولون إن الله تبارك وتعالى يتكلم بحرف وصوت، وصوته يسمع سبحانه وتعالى.

كأني ذكرت سابقا أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى أخرج في صحيحه عند تفسير قوله تعالى **{ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير }** أقول: كأني ذكرت أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى أخرج في صحيحه عند تفسير قوله تعالى **{ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}**؛ أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه **" إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئا، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا: ماذا قال ربكم قالوا الحق "** وأيضا أخرج الإمام البخاري رحمه الله عن عبد الله بن أنيس قال سمعت النبي ﷺ يقول **" يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب أنا الملك أنا الديان ".**

شيخ عبد الرحمن، الآن بالنسبة للمخلوق؛ المخلوق يسمع صوت القريب، البعيد قد يسمع و قد لا يسمع لكن صوت ربنا تبارك وتعالى يسمعه القريب والبعيد، فالقريب والبعيد بالنسبة لسماع لصوت الله تعالى سيان، كذلك سمعه تبارك وتعالى وسع سمعه الأصوات؛ يقول سبحانه وتعالى **{ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ }**، فسمعه تبارك وتعالى أيضا ليس كسمعنا جل وعلا، لكنا نثبت هذه الصفات له كما يليق به لأنه أثبتها لنفسه، لأن رسوله ﷺ أثبتها له.

فكلام ربنا تبارك وتعالى كلام حقيقي بصوت يسمع وليس هو حديث النفس كما زعم ذلك من زعم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم بارك الله فيكم.

فضيلة الأستاذ، هذه العبارة الأخيرة؛ ذكرتم –أحسن الله إليكم- أن كلام الله حقيقي بصوت يسمع، قد يقول قائل: هذه الألفاظ وهذه الكلمات بالتحديد هل استعملها سلف هذه الأمة ؟ أو هي من مبتكرات ألفاظكم ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لا أيها الحبيب، بل هي مما استخدمها سلف هذه الأمة رحمهم الله تبارك وتعالى.

لو أن القارئ الكريم والسامع تتبع ما كتب حول هذه الصفة من أقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم لأى أن سلف الأمة رحمهم الله تعالى قد أثبتوا لله تعالى كلاما حقيقيا بصوت يسمع، ولو كان المجال لذكر كل الأقوال التي قيلت فأظن فضيلتك ستمانع، لأن الحلقة الواحدة لا تتسع لسماع كل هذه الأقوال.

أذكر لكم عدة أقوال لعله يكون فيها الكفاية، وهي من أقوال السلف الأوائل، منهم الإمام البخاري رحمه الله تعالى، كل هؤلاء نصوا على أن كلام الله تعالى كلام حقيقي، بصوت يسمع.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جميل، أتحفنا بارك الله فيك.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: الإمام البخاري رحمه الله تعالى – صاحب الصحيح-، وهو من هو، جبل العلم وإمام الأمة في الثقة والحفظ والإتقان، قال في خلق أفعال العباد – خلق أفعال العباد كتاب ألفه الإمام البخاري رحمه الله تعالى - يقول " وإن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب " تأمل صاحب الفضيلة في هذه العبارة؛ شبيهة بقول رسول الله ﷺ الذي أخرجه الإمام البخاري في الصحيح؛ عن عبد الله بن أنيس، قال " فليس هذا لغير الله جل ذكره "، ما معنى هذا الكلام " ليس هذا لغير الله جل ذكره " ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لا يشبهه أحد.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هذا الصوت، صوت المخلوق يسمعه القريب ولا يسمعه البعيد.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: له أمد، له حدّ.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم. لكن صوت الخالق تبارك وتعالى يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد، فهما سيّان بالنسبة لسماعه.

قال " وفي هذا " لأنه كان قد ذكر حديث عبد الله بن أنيس، قال " دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته " –من صوته تبارك وتعالى- لكن لو تنادى الملائكة – لو نادى الملائكة بعضهم بعضا – لم يصعقوا، مخلوق ينادي مخلوق، لو أن الخالق نادى سبحانه وتعالى ... هذا كلام البخاري رحمه الله تعالى في خلق أفعال العباد.

أبو بكر الخلّال أخرج في كتابه، يقول " أخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم... " من حنبل ؟ حنبل بن إسحاق، وهو ابن أخي الإمام أحمد، أليس كذلك صاحب الفضيلة ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نعم.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: حنبل بن إسحاق يقول **" قلت لأبي عبد الله** – يعني الإمام أحمد رحمه الله تعالى؛ عمه، يقول له: - **الله يكلم عبده يوم القيامة ؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلا الله ؟ يكلم عبده ويسأله، الله متكلم، لم يزل متكلما، يأمر بما يشاء ويحكم بما شاء "** هذا كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ولده عبد الله يقول **" سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت "** – وفي هذا دليل لسؤال فضيلتكم قبل قليل؛ تقولون: ما هو الدليل على أن هذه الكلمة قد استخدمت عند السلف ؟؛ (يتكلم بصوت) – فقال **" سألت أبي –رحمه الله- عن قوم يقولون: لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت "** ماذا قال الإمام أحمد ؟ **" فقال أبي: بلى، إن ربك عز وجل تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت "** هذا طريقة السلف رحمهم الله تعالى، إذا ثبتت الصفة في كتاب أو في سنة فالواجب إثبات ما أثبت الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

والأقوال كثيرة – صاحب الفضيلة -، هذه كلها قبل شيخ الإسلام رحمه الله، قبل شيخ الإسلام ابن تيمية، شيخ الإسلام ابن تيمية يقول **" استفاضت الآثار عن النبي ﷺ – أحاديث – والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة "** إذن الآن، كلامه يجمع أقوال أمم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: ويجعله أمرا مستفيضا.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: يعني أمر هو معتقد أهل السنة؛ **" أنه سبحانه ينادي بصوت؛ نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت وبلا حرف."**

إذن، هذا معتقد السلف – صاحب الفضيلة –

" ولا أنه انكر" – يعني عن أحد من السلف لم ينقل – " ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف "

إذن، كلهم على معتقد واحد في إثبات أن كلام الله تبارك وتعالى كلام حقيقي بصوت وبحرف.

الإمام ابن القيم- فضيلتكم تعرفون- صاحب النونية؛ آلاف الأبيات التي قالها في معتقد أهل السنة والجماعة، يقول على لسان معطل يعترض على ما يُثبته السُنيّ من إثبات الحرف والصوت، قال له:

وزعمت أن الله كلم عبده موسى فأسمعه نِدَى الرحمن

أفتسمع الآذان غير الحرف و الصوت الذي خُصت به الأذنان

لا يُسمع، لا يمكن أن يكون هناك كلام ولا يكون حرفا ولا صوتا.

وقد تقدم - صاحب الفضيلة - في الحلقة الأولى من البرنامج من صفة الكلام أن الكلام في لغة العرب هو النطق المُفْهِم، ليس ما أخفاه الإنسان في نفسه يسمى كلاما، بل كلام ربنا تبارك وتعالى بصوت وبحرف كما هو مُعتقد أهل السنة و الجماعة.

الإمام الطحاوي حنفي رحمه الله أثبت هذا، قال عن معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الكلام **" وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة "** لأن فضيلتك سألتني: كلام حقيقي. **" كلام بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام**

البرية " كلام البرية كلام مخلوق، ويجري على هذا الكلام ما يجري على صفات المخلوق، أما ربنا تبارك وتعالى فصفاته سبحانه وتعالى تليق به ليست كصفات أحد من خلقه.

ابن أبي العز الحنفي رحمه الله، علق ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى على كلام الطحاوي؛ قال " في قوله هذا رد على المعتزلة " وعلى غير المعتزلة، لأن المعتزلة من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى خلق الكلام في جسم منفصل عنه فتكلم ذلك الجسم، فيقولون: الله متكلم، لكن أين الكلام ؟ لم يقم به سبحانه و تعالى بل قام في جسم منفصل عنه، وقد ذكرت لفضيلتكم في الحلقة الأولى أيضا أن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل، فالله تعالى إذا لم يقم الكلام به سبحانه وتعالى لا يسمى متكلما، بل يسمى متكلما قامت به صفة الكلام، ولو تحرك الكرسي تقول تحرك الكرسي ولو كان له محرك. فكيف يسمى متكلما ولم تقم به هذه الصفة ؟ !

فابن أبي العز رحمه الله يقول: الطحاوي الآن يرد عن المعتزلة، بل قال فيه رد على طائفة أخرى وهم الأشاعرة الذين قالوا بأن الكلام معنى واحد قائم بنفسه تبارك وتعالى، ورد عليهم بعبارات جميلة الحقيقة ولا أريد أن أطيل عليكم في ذكر هذه العبارات لكن أختصر، يقول - يعني معنى قوله -: عندهم أن المَلك - الآن أشار إلى القرآن الكريم وأن الكلام كلام الله تعالى معنى واحد قائم في نفس الله تعالى - عندهم أن المَلك فهم هذا المعنى القائم في نفس الله تعالى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لكن أحسن الله إليك بودي أنكم توضحون للمستمع الكريم معنى واحد، القائم بالنفس أظن مفهومة، لكن معنى كلمة أن كلام الله معنى واحد ؟ حتى يفهم المستمع.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لو كان المستمع الكريم معي في الحلقة الأولى، تكلمت في الحلقة الأولى أن الكلام ليس معنى واحد؛ أن الكلام يتبعض وأن الكلام منه الخبر ومنه الإنشاء، وتكلمنا حتى الإنشاء منه الأمر ومنه النهي ومنه النداء ومنه الاستفهام، فهذا يدل على أن الكلام ليس معنى واحد.

لكن عندهم: معنى واحد، لذلك رد عليهم أهل السنة: هل معنى أقيموا الصلاة كمعنى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لا

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هذا أمر وهذا نهي.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نعم

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: إذن ليس معنى واحد، بل كلام الله تبارك وتعالى ليس شيئا واحدا؛ ليس معنى واحدا.

هم يقولون، الآن ابن أبي العز رحمه الله يقول أن الملك و يعني به جبريل عليه السلام فهم المعنى القائم بنفس الله تعالى. الآن طبعا -صاحب الفضيلة- يشير إلى أي شيء ؟ إلى القرآن الكريم، فهم هذا المعنى فعبر عنه، فيستخدمون هذه الكلمة؛ يقولون: القرآن عبارة عن كلام الله، أو الماتُرِيديَّة يستخدمون يقولون: حكاية عن كلام الله.

بينما القرآن كلام الله، أما هم يقولون: عبارة عن كلام الله؛ جاء الملك عبر عنه. قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى " عندهم هو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي " فهذا حقيقة معتقدهم في القرآن الكريم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جميل. إذن الآن بارك الله فيك، ذكرت معتقد المُؤولِة من الأشاعرية و الماتريدية أنهم يقولون بأن القرآن عبارة عن كلام الله تبارك وتعالى، ومن هنا بدأنا الآن ندخل في مسألة القرآن الكريم واعتقاد أهل السنة والجماعة فيه.

بعد أن تحدثنا عن صفة الكلام عموما، أتينا الى شيء أخص وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم.

السؤال الذي أود أن أطرحه في أول هذا المبحث هل القرآن الكريم يعني كلام الله عند أهل السنة والجماعة أم لهم تفصيلات أو عبارات أخرى في هذا الباب ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: القرآن الكريم عند أهل السنة و الجماعة من كلام الله، منه، لأن كلام الله تعالى ليس القرآن الكريم وحده، بل الله تبارك وتعالى يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء سبحانه، و كلامه ليس القرآن فحسب، بل القرآن وغيره.

لذلك يقول السلف رحمهم الله تعالى؛ يتكلمون عن فضل القرآن وهو كلام الله تبارك وتعالى على سائر الكلام، فيقولون **" فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب تبارك وتعالى على خلقه "**

بل نقلوا عبارة جميلة عن أبي عبد الرحمن السلمي و هو تابعي ثقة، حضرتكم أعلم به مني؛ يقول **" فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه "** لماذا ؟ قال **" وذلك أنه منه "**، منه بدأ القرآن؛ فهو كلامه تبارك وتعالى، فالله تعالى يتكلم بالوحي كيف يشاء، والقرآن كلامه تبارك وتعالى.

استمع صاحب الفضيلة إلى قول أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها في الحديث المتفق عليه، لما نزلت براءتها في كتاب الله تعالى ماذا قالت ؟ قالت **" لَشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يُتْلى { إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم } "** إذن الآن تقول الله يتكلم فيّ في شأني بوحي يُتلى، فالقرآن من كلامه تبارك وتعالى تكلم به سبحانه و تعالى.

هذا ما عليه الصحابة و التابعون ومن تبعهم بإحسان أن القرآن من كلام الله.

وأخرج الدارمي بسند صحيح عن عمرو بن دينار رحمه الله تعالى -وهو من أئمة التابعين و من كبارهم- قال **" أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود. "** وهذا معنى العبارة التي يستخدمها أهل السنة عن القرآن الكريم؛ يقولون: القرآن الكريم كلام الله منه بدأ وإليه يعود، فهو الذي تكلم به سبحانه وتعالى فهو من كلامه جل وعلا.

الشيخ أبو بكر الإسماعيلي -الإمام صاحب المستخرج على الصحيحين- يقول - له رسالة جميلة يبين فيها مُعتقد أهل السنة والجماعة وقد طُبِعت هذه الرسالة - يتكلم عن معتقد أهل السنة والجماعة، يقول " إنهم يقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم "، ماذا يقولون ؟ " يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه كيفما يُصرّف بقراءة القارئ له، و بلفظه، ومحفوظا في الصدور، ومتلوًّا بالألسن، ومكتوبا في المصاحف غير مخلوق، ومن قال بخلق اللفظ في القرآن يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن، بل إن أئمة السنة والحديث يميزون بين ما قام بالعبد و بين ما قام بالرب تبارك وتعالى، والقرآن عندهم جميعه من كلام الله تبارك و تعالى."

إذن القرآن في معتقد أهل السنة والجماعة؛ وهي الإجابة التي طلبتم فضيلتكم الإجابة عنها: القرآن من كلام الله تبارك وتعالى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جميل أحسنتم بارك الله فيكم.

هل إذن بعد ذلك لنا أن نقول بعبارة أخرى أن القرآن من صفات الله ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم إذا كانت صفة الله الكلام، والقرآن من كلامه، فلا شك أن القرآن من كلامه وكلامه صفة من صفاته تبارك وتعالى.

الإمام البخاري رحمه الله بوّب في كتاب التوحيد من صحيحه يقول **" باب { قل أي شيء أكبر شهادة قل الله }** –قال- **فسمى نفسه شيئا وسمى النبي القرآن شيئا وهو صفة من صفاته. "**

هذا كلام الإمام البخاري الآن، إذن فيه إجابة على سؤال فضيلتكم: هل القرآن صفة من صفات الله ؟ يقول: نعم القرآن صفة من صفات الله تعالى.

اللالكائي رحمه الله في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، ذكر بابا قال " سياق ما رُوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على أن القرآن من صفات الله القديمة "، ثم ساق الأحاديث.

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول " القرآن صفة من صفات الله وصف الله بها نفسه " اهل السنة متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن كلامه من صفاته القديمة القائمة بنفسه، ليس من مخلوقاته تبارك وتعالى " إذن الإجابة علي سؤال فضيلتكم؛ أن القران من صفات الله تعالى فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم وأحسن الله إليكم.

إذا تبين هذا إذن من زعم بأن القرآن مخلوق خالف هذا المقتضى، لأن إضافته إضافة صفة إلى موصوف.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وليس إضافة تشريف كما يسميه البعض، يقولون: إضافة أعيان؛ بمعنى أضيف العين إلى الله تبارك وتعالى كي يشرف.

ليست هذه هي الإضافة، بل هو صفة من صفاته أو إضافة صفة إلى موصوف.

أحسنتم بارك الله فيكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم بارك الله فيكم، جزاك الله خير يا أستاذنا.

بعد ذلك، لو أننا اتحفنا المستمع الكريم بالأدلة بعد هذه النقول الوافية عن أئمة السلف، كذلك الأدلة على أن القرآن من كلام الله تبارك وتعالى.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: والله صاحب الفضيلة الأدلة كثيرة جدا، لكني سأختصر قدر الإمكان.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: طيب

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: فضيلتكم لو قرأتم في سورة التوبة في قول الله تبارك وتعالى **{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ}** ما هو كلام الله الذي سيسمعه ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: القرآن

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: القرآن الكريم.

لذلك القران من كلام الله تبارك وتعالى. قال الله تبارك وتعالى **{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ}** وقال سبحانه وتعالى **{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا}**

فهو قول الله تعالى ألقاه على رسوله ﷺ بواسطة جِبْرِيل عليه السلام، فهو كلامه تبارك وتعالى.

الترمذي والدارمي أخرجا حديثا عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" يقول الله تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه "**

وابن شاهين في السنة وابن مرْدَوِيه أو مَرْدُوَيَهْ، أيهما تفضل ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: كلاهما، لكن عند المحدثين ابن مَرْدُوَيَهْ.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: مَرْدُوَيَهْ وليس مرْدَوِيه ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان:عند أهل اللغة مرْدَوِيه.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: عند أهل اللغه مرْدَوِيه.

فأخرجا حديثاعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه؛ قال رسول الله ﷺ **" عليكم بالقرآن فاتخذوه إماما وقائدا فإنه كلام رب العالمين الذي هو منه وإليه يعود ".**

فهذا واضح أيضاً، فيه إثبات أن القرآن أنه كلام الله تعالى وأنه منه بدأ وإليه يعود.

بل كما أخرج الدارمي في سننه عن عطية؛ يقول: قال رسول الله ﷺ **"ما من كلام أعظم عند الله من كلامه، وما تقرب العباد إلى الله** - يعني ما تقربوا إليه بكلام- **أحب إليه من كلامه سبحانه وتعالى "**

أخرج الترمذي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في الموسم على الناس - عندما كان يأتي الناس للحج فيعرض نفسه عليهم - يقول لهم **" ألا رجل يحملني إلى قومه حتى أبلغ كلام ربي ؟ "** الآن القران كلام الله، ما الذي سيبلغه ؟ سيبلغ القرآن **" حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي "**

وكذلك البيهقي رحمه الله في السنن أخرج عن سعيد بن جبير قال " خرج رسول الله ﷺ غازياً " وفضيلتك الآن ستعترض وتقول: بين سعيد بن جبير وبين رسول الله أين الواسطة ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: مرسل

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هذا مرسل نعم.

قال " خرج رسول الله ﷺ غازياً فلقي العدو، فأخرج المسلمون رجلا من المشركين وأشرعوا فيه الأسنة، فقال الرجل : ارفعوا عني سلاحكم وأسمعوني كلام الله تعالى " هذا الحديث فيه مناسبة للآية التي بدأت بها، أليس كذلك؟

{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ} فالآن يقول لهم: ارفعوا عني سلاحكم وأسمعوني كلام الله تعالى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: يريد القرآن.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم، فالقران هو كلام الله تعالى.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه **" إن هذا القرآن كلام الله تعالى، فلا يغرَّنكم ماعطفتموه على أهواءكم "ن**

والحقيقة - صاحب الفضيلة - الكلام في ذلك طويل وأنا أختصر حتى لا أطيل عليكم حفظكم الله وبارك الله فيكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنت وبارك الله فيك، جزاك الله خير.

وصحيح نحن الآن على ختام حلقتنا، لكن أنا أظن أنه بقي لديكم جزئية وموضوع مهم يتناوله الناس، وهو -أحسن الله إليك- الحلف بالقرآن الكريم، فإننا نسمع من الناس من يحلف بالقرآن الكريم " والقرآن الكريم "

فلو أجبتم ولو باختصار نظرا لضيق الوقت. تفضلوا بارك الله فيكم.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: أولا، لا يجوز للإنسان أن يحلف بأحدٍ سوى الله تبارك وتعالى،

لأن رسول الله ﷺ قال "لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت "

لكن الله تبارك وتعالى يُحلف به وبأسمائه وصفاته، سبحانه وتعالى، فمن حلف بالقرآن الكريم، بأي شيء حلف -صاحب الفضيلة- ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بصفة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بصفة من صفات الله تبارك و تعالى.

لذلك لا بأس لأن القرآن الكريم كلام الله تكلم به حقيقة، فلذلك من كان حالفاً بالقرآن الكريم فكان حالفاً بصفة من صفات الله سبحانه وتعالى وهذا جائزٌ لا بأس فيه حفظكم الله صاحبَ الفضيلة.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم وأحسن الله إليكم جزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم.

أيها الإخوة المستمعون كنّا مع صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، حيث حدثنا مشكورا عن اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم مبيّنا بعض الأمور التي سبق أن تكلم بها بتوسع في اعتقاد أهل السنة والجماعة في كلام الله تبارك وتعالى عموماً.

نشكره على جهده المبارك، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منه هذا الجهد وأن يجعله في موازين حسناته.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وأنتم شكر الله لكم وأحسن الله إليكم

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: وإياكم. أيها الإخوة المستمعون في ختم هذه الحلقة نستودعكم الله تبارك وتعالى، آملين اللقاء بكم في حلقةٍ جديدة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صفةُ نزولِ الربِّ جلَّ وعلَا

اللقاء الأول:

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

مستمعيّ الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهلا وسهلا ومرحبا بكم في برنامج **مسائلُ في العقيدة.**

أيها الإخوة الكرام، نتحدّث في هذه الحلقة بإذن الله تبارك وتعالى عن **صفة نزول الله تبارك وتعالى**؛ هذه الصفة التي أثبتها أهل السنّة والجماعة لله ﷻ.

وأما ضيفنا فهو: فضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر ابن محمد عطا صوفي الأستاذ بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، فأهلا وسهلا ومرحبا بكم فضيلة الأستاذ.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: حياكم الله وبارك الله فيكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: شيخنا الكريم، في أول مطلع حلقتنا هذه نودُّ أن تحدّثنا وتحدّث المستمع عن **موقف أهل السنة والجماعة من هذه الصفة؛ أعني صفة النزول.** جزاكم الله خيرا.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هذه الصفة أثبتها أهل السنة والجماعة لأن منهجهم: إثبات ما أثبته الله تبارك وتعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

وقد ثبتت هذه الصفة بخبر رسول الله ﷺ، أن ربنا سبحانه وتعالى ينزل. فأثبتها أهل السنة والجماعة لربنا تبارك وتعالى إثباتا يليق به سبحانه **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ}**

وهذه الصفة، عندما أثبتها أهل السنة والجماعة أثبتوها بلا تمثيل ولا تأويل، ولا تكييف ولا تشبيه، بل أثبتوها كما أثبتها الصادق المصدوق ﷺ؛ أخبر صلى الله عليه وسلم أن **" ربنا ينزل كل ليلة "**، وأخبر عن نزوله سبحانه وتعالى في مواضع أخرى. فكل ما أثبته صلى الله عليه وسلم وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام أثبتوه لله تبارك وتعالى.

فهي صفة فعلية لله جل وعلا.

ما معنى صفة فعلية صاحب الفضيلة ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أي أنها قد تحصل، بمشيئة الله تبارك وتعالى.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هي **متعلقة بمشيئته تبارك وتعالى.**

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نعم

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: فالصفة الفعلية: التي يفعلها سبحانه وتعالى متى شاء.

فإذا شاء سبحانه وتعالى فعلها.

فعندما نتكلم عن صفة الوجه؛ أثبت لنفسه وجها، فهذه صفة ذاتية، وصفة اليد، وكذلك باقي الصفات الذاتية.

أما هذه فهي من الصفات الفعلية، فهو ينزل سبحانه وتعالى إذا شاء متى شاء كيف شاء. والكيفية مجهولة لا نعلمها، لكنه ينزل كما أخبر رسوله ﷺ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى **{ إن هو إلا وحي يوحى }.**

فموقف أهل السنّة: يثبتون هذه الصفة ويتركون الاعتراض، بل يسلّمون لخبر الصادق صلى الله عليه وسلم. ويمرّون هذه الصفة، كما أخبرتكم قبل قليل، لا يكيّفون، فلا يمثلون نزوله تبارك وتعالى بنزول مخلوق – كما قال المبتدعة -، ولا يعطلونه تبارك وتعالى عن هذه الصفة – كما فعل المعطلة -، بل هم وسط بين فرق الأمة في هذه المسألة.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم، أحسن الله إليكم.

في معرض كلامكم تحدثتم بأن أهل السنة والجماعة أثبتوا هذه الصفة بناءً على النصوص، لو أوضحتم هذا أكثر؟

ما هو المستند الذي استندوا إليه لما أثبتوا هذه الصفة للرب جلاله ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: يا صاحب الفضيلة مستندهم أحاديث كثيرة جاءت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وأخبر فيها عليه الصلاة والسلام عن نزول الله تبارك وتعالى.

مثلا: في الصحيحين؛ البخاري ومسلم، يقول صلى الله عليه وسلم **" ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر "** والحديث طويل، سنتكلم عنه بحول الله تعالى.

فهذا الحديث وأشباهه هو مستند أهل السنة والجماعة في هذه الصفة؛ فإنهم يثبتون هذه الصفة استنادًا إلى الأحاديث التي صحّت عنه صلى الله عليه وسلم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جميل، بارك الله فيك.

هل هناك تعارض بين صفتي العلوّ والنزول ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لا. بل إن صفة النزول تدل على صفة العلوّ، من أجل ذلك العلماء يقولون: إن أغيَظَ صفة على المعطّلة هي صفة النزول.

لأنها تثبت علوّه تبارك وتعالى؛ حتى في نزوله هو في علوّ سبحانه وتعالى.

لأن العلوّ صفة ذاتية لله تعالى.

بخلاف النزول، النزول صفة فعلية.

والله تبارك وتعالى لا يزال في علو، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية يقول

وهو العليّ فكل أنواع العلـ ـوِّ له فثابتةٌ له بلا نكرانِ

فنثبت له كل أنواع العلوّ؛ علو الرتبة، وعلو القهر، وعلو المكان، فهو تبارك وتعالى **{ القاهر فوق عباده }** وهو الله الذي في السماء سبحانه **{ ءأمنتم من في السماء }**؛ كما قال المفسرون: أي من على السماء، لأن " في " بمعنى "على"، فحروف الجر ينوب بعضها عن بعض.

فصفة النزول تثبت صفة العلوّ، من أجل ذلك يقول الامام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله تعالى، يقول عن حديث النزول **" أغيظ حديث للجهمية "**، قال **" وحديث النزول أعظم دليل على إثبات العلو، فليس من تنافٍ بين صفة العلو وصفة النزول. "**

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسن الله إليك. ذكرتم بأن مستند أهل السنة والجماعة أحاديث النزول، وأشهرها ما ذكرتم طرفه **" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليله في الثلث الأخير من الليل "**

هذا الحديث ما درجته ؟ ما منزلته ؟ هل هو من الأحاديث التي يمكن ربما المخالف يقول حديث ضعيف لا يستدل به.

كيف الجواب ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: اتفق أهل السنة واتفقت الأمة على أن ما صحيحي الإمامين الجليلين البخاري ومسلم أصح شيء بعد كتاب الله عز وجل، وهذا الحديث موجود في الصحيحين، أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم بألفاظ متعددة؛ ليس بهذا اللفظ الذي قرأته عليكم فقط.

هذه الألفاظ ، تنوع الألفاظ ، مما يثبت هذا الحديث لله تبارك وتعالى، بل إن الحديث رواه قرابة ثلاثين صحابياً؛ وعندما اقول ثلاثين صحابياً، ماذا يعني ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان يعني أنه بلغ حد التواتر.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بل هو حديث متواتر كما قال العلماء ونصوا على ذلك، أخبروا أنه حديث متواتر، أذكر لكم بعض الأقوال التي لأهل العلم، التي نصت على تواتر هذا الحديث.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جميل، طيب. ما دام أنه العمدة في الباب، إذن لابد أن يكون لدى المسلم معرفة بمنزلة هذا الحديث.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي:

الإمام ابو زرعة الرازي رحمه الله. أنتم من أصحاب هذه البضاعة الطيبة.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: الحمد لله

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وتعرفون من هو الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى، وهو له باع في الحديث وله مكانة عند أهل الحديث، يقول **" هذه الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن الله ينزل كل ليله إلى السماء الدنيا" قد رواها عدةٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عندنا صحاح قوية "**

قال **" هذه الأحاديث المتواترة "**

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان:المتواترة. وصفها بالتواتر.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هو الآن وصفها بالتواتر.

وهذا التواتر تواتر معنوي، لأن الأحاديث إذا كان قد رواها هذا الجمع الغفير من الصحابة، إذا كان قد رواها قرابة ثلاثين صحابياً، ومنهم أمير المؤمنين على ابن أبي طالب، ومنهم صحابة كثيرون روى هذه الأحاديث، وهذا يدل على أن هذه الأحاديث متواترة. يقول **" وهي عندنا صحاح قوية "** فإذا كان في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم ما منزلة هذا الحديث ؟

كذلك تأمل قول الإمام الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى، يقول **" هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الاسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو حديث منقول من طرق متواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم."**

لاحظتم صاحب الفضيلة ؟

عبارات دقيقة تخرج من محدث، بعبارات دقيقة عندما يقول **" ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته."** حديث منقول من طرق متواترة، دل على أن الحديث من أصح الأحاديث التي ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بل لو أنكم تأملتم عبارة الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى، يقول **" تواترت الأخبار وصحت الآثار أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا "**

هذه الجمل الثلاثة الآن لعلكم لاحظتم أنها تكررت في عبارات الأئمة رحمهم الله تعالى، ومن هنا قال شيخ الإسلام رحمه الله يقول **" أحاديث النزول متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم رواها أكثر من عشرين نفسا.."**

بل إنها بلغت قرابة الثلاثين كما أخبرتكم قبل قليل، يقول **" رواها أكثر من عشرين نفسا من الصحابة بمحضر منهم "**؛ معنى ذلك: الصحابي يتكلم أمام الصحابة، ولا أحد ينكر عليه. دل على أي شيء ؟

على ثبوته، على ثبوت هذا الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

يقول **" بمحضر بعضهم من بعض، والمستمع لها منهم يصدق المحدث بها، ويقره ولم ينكرها أحد منهم. ورواها أئمة التابعين، رووا ذلك وأودعوها في كتبهم، وأنكروا على من أنكرها "**

ما معنى هذا الكلام ؟

معنى ذلك أن هذا شيء ثابت صحيح مستقر عند الصحابة رضي الله عنهم وعند تلاميذهم وعند من اقتفى أثرهم، فهم يثبتون هذا الحديث ويقولون إنه من الأحاديث الصحيحة المتواترة.

بل إن الذي نقل تواتر هذا الحديث أعداد كبيرة من العلماء، أنا الآن ذكرت لكم تقريبا أربعة أقوال. بل هناك أقوال كثيرة جدا، ابن القيم رحمه الله مثلا وهو تلميذ شيخ الإسلام، يقول **" نزول الرب تبارك وتعالى تواترت به الأخبار ورواه الأثبات والثقات، وهو من مشاهير الحديث في هذا الباب "**، قال **" كالمجتمع على صحته عند أهل النقل "** يعني: أهل النقل اجتمعوا على صحته، **" روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظ متغايرة "** وهذه الرواية بألفاظ متغايرة دليل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يخبر بها مرة واحدة، بل أخبر بها مرات، فسمع هذا الصحابي فرواها وسمعها الآخر فرواها وسمعها الثالث فرواها.. حتى بلغ عدد من رواها من الصحابة قرابة الثلاثين صحابيا رضي الله تعالى عنهم.

فالآن هذا كله علي أي شيء يدل ؟

كله يدل علي معني واحد؛ على إثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى.

لو أننا مثلاً قرأنا في الكتب التي جمعت الأحاديث المتواترة؛ مثل كتاب الكتاني، يقول الكِتَّاني، يقول **" تقدم عن السخاوي في فتح المضيف أن بعضهم عده في المتواتر "** وفِي الصارم المنكي قال **" وحديث النزول متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "** وتتابع أهل العلم على إثبات تواتره حتى وصل الأمر إلى الشيخ المحدث رحمه الله الشيخ أحمد شاكر الذي حقق مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى، قال **" هذا حديث النزول رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه غير واحد من الصحابة، وهو حديث صحيح متواتر المعنى قطعي الثبوت والدلالة رواه أصحاب الكتب الستة من حديث أبي هريرة من غير وجه، وقد جمع كثيرا من ألفاظه وأسانيده إمام الأئمة ابن خزيمة في كتابه التوحيد "**

بل علّامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وتلميذه رحمه الله سماحة العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى ومُحدَث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني نقلوا تواتر هذا الحديث ونصوا على تواتره، بل إن الحفاظ اهتموا بذكر عدد من رواه من الصحابة، منهم أبو القاسم اللالكائي ومنهم عثمان بن سعيد الدارمي ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهم الحافظ الذهبي وعدد كبير من العلماء.. بل إن ابن القيم يقول " رواه من الصحابة ثمانية وعشرون صحابيا "

وكما أخبرت فضيلتك قبل قليل العدد وصل إلى قرابة الثلاثين؛ الذين لهم رواية في إثبات هذا الحديث.

إذن، النتيجة التي توصلنا إليها صاحب الفضيلة ما هي ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أنه حديث متواتر متفق عليه في أعلى درجات الصحة، وتناقل العلماء خلفا عن سلف في بيان تواتره وصحته، فليس لأحد أن يدعي بعد ذلك نقدا في إسناده أو كذا إلا أن يمكن أن يأتي بتأويل مبتدَع.

جزاك الله خيرا

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وإياكم

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسن الله إليك، بعد ذلك لو انتقلنا - أحسن الله إليك - إلى **أنواع النزول الواردة في الأحاديث**، هل النزول فقط هو الذي ذكرتموه في هذا الحديث نزول الرب، فقط في الثلث الأخير من كل ليلة ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لا ليس هذا النوع فقط هو الوارد في الأحاديث، بل إن العلماء قد جمعوا من أنواع النزول تسعة أنواع:

النوع الذي ذكرتموه أحدها؛ وهو نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، رواه جمع غفير من الصحابة.

نزوله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا عشيَّة عرفة، هذا نوع ثانٍ وقد رواه عدد كبير من الصحابة.

نزوله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان؛ هذا نوع ثالث من النزول، أيضاً رواه عدد كبير من الصحابة.

نزوله تبارك وتعالى بين يدي الساعة عندما ينادي المنادي ويأتي سبحانه وتعالى كما أخبر سبحانه {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}، {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ} فهذا نزول رابع.

وهناك نزول خامس ونزول سادس ونزول سابع ونزول ثامن ونزول تاسع.

هذه الأنواع لو جلسنا الآن نستعرضها ونتكلم عن أقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الأحاديث التي ذكروها، الصحابة رضي الله تعالى عنهم في هذه الأنواع، ربما لا تفي هذه الحلقة ولا حلقات كثيرة في ذكر ما رواه الصحابة رضي الله تعالي عنهم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: طيب لو أتحفنا المستمع الكريم بذكر بعض الأدلة على بعض هذه الأنواع أحسن الله إليك.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم أحسنتَم.

يعني بالنسبة للنوع الأول الذي تقدم قولكم فيه؛ وهو نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، أحاديث كما أخبرتكم قبلاً أخرجها الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما؛ أن الله تبارك وتعالى يمهل - والحديث رواه أبو سعيد الخدري ورواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنهما، ورواه عدد من الصحابة (أن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول) هذا لفظ من ألفاظ الحديث (نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر ؟ هل من تائب ؟ هل من سائلٍ ؟ هل من داعٍ ؟ حتى ينفجر الفجر). هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم في الصحيحين. فسأحاول أن أقتصر على كل نوع بدليل واحد، ولن أذكر كل الأنواع، أقتصر على بعضها فقط كما طلبتم، طيبكم الله تعالى.

نزوله تبارك وتعالى عشية عرفة حديثٌ، هذا الحديث رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، والحديث صححه شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في شرح حديث النزول، لأن شيخ الإسلام له كتاب مستقل تكلم فيه عن حديث النزول وشرحه، فصحَّح هذا الحديث، يقول صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل عرفة ملائكته، فيقول انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبراً، يا أهل عرفة قد غفرت لكم)

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: الله أكبر

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: فهذا الحديث فيه أن الله تبارك وتعالى ينزل عشية عرفة، والأحاديث كثيرة أيضا في هذا النوع من أنواع النزول.

النزول إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان؛ حديث أخرجه الإمام أحمد وأخرجه ابن ماجه في السنن وأخرجها الترمذي في الجامع الصحيح، ووسمه العلماء بأنه حديث صحيح؛ تقول عائشة رضي الله تعالى عنها : (فقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فإذا هو بالبقيع رافعٌ رأسه إلى السماء، قال: " أكنتِ تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله " فقلت: فما ذاك يا رسول الله، ولكني ظننت أنك أتيت بعض نسائك " فقال " إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لأكثرَ من عدد شعر غنم كلب ") وكلب ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: قبيلة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: قبيلة مشهورون بكثرة ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: الأغنام.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: الأغنام عندهم، وأنت تعلم الغنم وشعر الغنم، فيغفر لأعداد كثيرة من الناس سبحانه وتعالى في هذه الليلة التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نزول ربه تبارك وتعالى فيها.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لكن، صاحب الفضيلة، هذا الحديث دل علي النزول.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: نعم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لكن لم يدل على أننا نحدث احتفالا أو عبادة في هذه الليلة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: أبداً.

ولا ينبغي للإنسان أن يحدث شيئاً لم يأمر به الله تبارك وتعالى ولَم يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل على الإنسان أن يتقيد بما جاء عن الله تعالى وما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم، قد أخبر صلى الله عليه وسلم، يقول: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ) ويقول في لفظ آخر (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)، فلم يكن من أمره صلى الله عليه وسلم أن يحتفل بهذه الليلة ولا كان من أمره صلى الله عليه وسلم خَصّ هذه الليلة بعبادةٍ لم يفعلها في باقي الليالي، بل كان منهجه عليه الصلاة والسلام التعبد سائر الليالي دون أن يخص ليلة من الليالي إلا ما يحصل من اجتهاده في العبادة عليه الصلاة والسلام في العشرة الآخرة من رمضان كما أخبرت عنه نساؤه رضي الله تعالى عنهن.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم بارك الله فيكم.

نستمر؛ هل هناك أدلة أخرى ؟ أو ننتقل إلى...

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هناك النزول بين يدي الساعة الذي أشرت إليه سابقاً.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نعم.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وفيه قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (ينادي منادٍ بين يدي الساعة: أتتكم الساعة. حتى يسمعها كل حي وميت، وينزل الله إلى السماء الدنيا فينادي **{ لمن الملك الْيَوْمَ لله الواحد القهار }**). هذا الحديث أخرجه الإمام أبي داوود في السنن والحافظ الحاكم في المستدرك وقال عنه الشيخ الألباني إنه حديث صحيح.

وهناك أنواع أخرى، صاحب الفضيلة، من الأحاديث التي تكلمت عن نزول الرب تبارك وتعالى، لكن أظن هذه الأمثلة التي ذكرت فيها الكفاية لمن أراد أن يفهم هذه الصفة التي أثبتها أهل السنة والجماعة لله تبارك وتعالى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: وكذلك يعني يفهم المستمع عن النزول أن النزول ليس هو النزول واحد فقط أو نوع واحد؛ الذي دائما يتكرر ذكره: نزول الرب تبارك وتعالى في الثلث الأخير من كل ليلة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بل هذه الأنواع صاحب الفضيلة ماذا نفهم منها ؟

يعني الآن، لو كان نوعا واحداً نثبت هذا النوع، لكن هذه الأنواع الكثيرة كلها ألا تُشعرنا بوجوب إثبات هذه الصفة ؟ فرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: الله أكبر

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: فإذا أخبر عن شيء فإنما أخبر بإخبار الله تبارك وتعالى له، فهو وحيٌ يوحى، صلى الله عليه وسلم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لعلنا نختم فضيلة الأستاذ، هل هناك أقوال لبعض التابعين من بعدهم في صفة النزول تؤيد ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هذا القول هو قول أئمة السلف؛ إثبات صفة النزول لله تبارك وتعالى هو قولهم وهو معتقدهم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان قد يقال هذه نسبة إليهم، هكذا تنسبون، هل عندكم بيان ؟ هل عندكم توضيح ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: أقوال كثيرة، لو سمحت لي بذكر بعضها أذكر بعضها، لكن أقوال كثيرة، الأئمة السلف رحمهم الله تعالى يتكلمون، يثبتون لله تعالى هذه الصفة.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نأخذ بعضها ونرجئ بعضها إن شاء الله إلى حلقة أخرى.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بإذن الله، بارك الله فيكم.

الإمام شريك بن عبد الله القاضي، الذي توفي سنة مائة وثمانية وسبعين هجرية؛ في القرن الثاني، الآن أذكر لك شيئاً تكلم به هذا الإمام، من كان قبله كانوا يثبتون هذه الصفة لله تبارك وتعالى كما يثبتون بقية الصفات، لكن عندما يأتي من ينكرها، يأتي الأئمة يحتاجون إلى بيان هذه الصفة ويؤكدون على إثباتها لله تبارك وتعالى، فلما حدثت المعطّلة التي عطلت هذه الصفة وأولتها؛ العلماء بدأوا يبينون الحق في هذه الصفة ويردون على من أنكرها.

يقول عباد بن عوَّام " قدم علينا شريك بن عبد الله من نحو خمسين سنة " قال " قفلت: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوما من المعتزلة " تأمل صاحب الفضيلة الآن لماذا خرج القول من شريك ابن عبد الله.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بوجود من..

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: وجود من ينكر.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نعم.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: يقول " إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث "؛ أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، قال " فحدّثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، ثمّ قال: أمّا نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين وأخذ التابعون عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلّم " ثم هذه الجملة التي ختم بها؛ قال " فهم عمّن أخذوا ؟!

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: من آرائهم.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: من آرائهم، من عقلياتهم، من الشبهات الفاسدة التي دخلت على عقولهم.

أمّا نحن، من أين أخذنا هذا المعتقد، يقول: نحن أخذناه عن التابعين والتابعون أخذوه عن الصحابة والصحابة أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه و سلّم، فهذا السند المبارك بخلاف أسانيدهم، من أين أتوا بها ؟ من أين أخذوها ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لعلنا نكتفي بهذا وأرى بين يديك أقولا أخرى، لعلنا نتركها إن شاء الله تعالى يا فضيلة الأستاذ إلى الحلقة القادمة.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بحول الله، بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرا.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أيّها الإخوة المستمعون، كنّا مع فضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي؛ الأستاذ في قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، حيث حدّثنا مشكورا عن صفة نزول الربّ تبارك و تعالى.

ولا زال الكلام متصلا إلا أن وقت الحلقة قد انتهى، فنعدكم بإذن الله بحلقة أخرى لكي نكمل ما بقي من محاور هذه الصفة، وكذلك للردّ على بعض الشبه التي يطرحها المخالف في إنكار وردّ هذه الصفة.

أستودعكم الله تبارك و تعالى آملين اللّقاء بكم في حلقة أخرى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللقاء الثاني:

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

مستمعي الكرام، السلام عليكم ورحمة الله و بركاته، أهلا وسهلا بكم في برنامج مسائل في العقيدة.

أيها الإخوة الكرام، في هذه الحلقة نستكمل ما بدأنا به من صفة النزول وما يتبعها من صفتي المجيء والإتيان للرب جل جلاله.

أما ضيفنا فهو لا زال فضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر ابن محمد عطا صوفي، الأستاذ في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، باسمكم أحيي فضيلة الأستاذ فأهلا وسهلا و مرحبا بكم فضيلة الأستاذ.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: حياكم الله و بارك الله فيكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: في بدء حلقتنا هذه، ضيفنا الكريم، نتمم ما بدأتم به من أقوال السلف -رحمهم الله-، حيث ذكرتم في الحلقة الماضية قولا لشريك بن عبد الله القاضي -رحمه الله- في إثبات صفة النزول، هل هناك أقوال أخرى للتابعين ومن بعدهم من سلف هذه الأمة في إثبات صفة النزول ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي و أسلم على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

نعم، ذكرت في الحلقة الماضية قول الإمام شريك بن عبد الله القاضي -رحمه الله تعالى- و قلت إن الإمام شريك قد أثبت نزول الرب تبارك وتعالى مستدلا بأحاديث النزول، وقال : هذا الذي رويناه أخذناه عن التابعين والتابعون أخذوه عن الصحابة والصحابة أخذوه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيقول مخاطبا الجهمية من نفا هذه الصفة، يقول :أنتم عمن أخذتم دينكم ؟

فإذا كانت هذه السلسة الذهبية؛ القرون المفضلة هي التي روت هذه الأحاديث التي فيها إثبات هذه الصفة، لذلك يقول في موضع آخر **" إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "** من جاءنا بالصلاة و الصيام و الزكاة و الحج هم الذين أتوا بهذه الأحاديث التي فيها نزول الرب تبارك و تعالى، قال **" وإنما عرفنا ربنا بهذه الأحاديث ".** فهذا قول الإمام شريك -رحمه الله تعالى- ، وهناك أقوال كثيرة صاحب الفضيلة، كما قلت لكم في الحلقة الماضية لو جلسنا نستعرض هذه الأقوال لا تنتهي لأن هذا قول أهل السنة و الجماعة من السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-؛ الصحابة والتابعين ومن تبعهم ومن سار على منهجهم، فكلهم على إثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى، وقد مر معنا أنها من الصفات التي وصلت إلى التواتر، فالأحاديث فيها متواترة تواترا معنويا.

الإمام عبد الله بن المبارك -رحمه الله- ؛ و الإمام عبد الله المبارك معروف من هو في علمه و إمامته، سئل عن النزول ليلة النصف من شعبان، و قلت لكم النزول في ليلة النصف من شعبان أحد أنواع

النزول، فقال - يقول للسائل – " يا ضعيف..." كأني فهمت من قوله يا ضعيف يعني يا ضعيف التحديد، لما حددت فقط ليلة النصف من شعبان ؟ ليلة النصف من شعبان تأتي على الناس مرة في السنة، يقول " يا ضعيف، ليلة النصف من شعبان وحدها ؟ ينزل في كل ليلة "، فقال رجلٌ : كيف ينزل ؟ أليس يخلوا ذلك المكان ؟، فقال " ينزل كيف شاء " و هذا معتقد أهل السنة، فالله تبارك و تعالى ليس كمثله شيء ونزوله يليق به سبحانه و تعالى، لا نثبت له نزولا كنزول المخلوقات، بل نزول يليق به جل وعلا.

الفضيل بن عياض، وتعرفون فضيلتكم من هو الفضيل بن عياض.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: عابد الحرمين.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: عابد الحرمين.

يقول " إذا قال لك الجهميُّ: أنا كفرت برب ينزل. فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء. "، لأن النزول صفة فعلية لله تبارك وتعالى، متعلقة بمشيئته سبحانه فيفعلها إذا شاء جل و علا، فليس لنا أن نتوهم في الله كيف ؟، فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه.

قال الفضيل بن عياض قال " و مثل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل وكما شاء أن يضحك؛ فليس لنا ان نتوهم أن ينزل عن مكانه كيف و كيف " معنى ذلك لا نتعرض للكيفية، كما تقدم قول الإمام مالك - رحمه الله تعالى- عندما أخبر أن الكيف مجهول.

الإمام حماد ابن الإمام أبي حنيفة يقول " قلنا لهؤلاء أرأيتم قول الله عز و جل **{ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا }** " وصاحب الفضيلة أنتم في البداية تكلمتم عن صفة النزول قلتم: وما يتبعها من صفة المجيء مع صفة الاتيان.

لعل فضيلتكم لاحظتم أن أقوال العلماء دائما عندما يتكلمون عن النزول أيضا يتكلمون عن المجيء والإتيان باعتبار أن أحد أنواع النزول هو نزول الله تبارك و تعالى لفصل القضاء، فالآن يقول **{ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا }**، قال " أما الملائكة فيجيؤون صفا صفا، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري كيف مجيئه " يجيء، لكن لا ندري كيف مجيئه.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: يعني شيخنا أفهم من هذا الوقوف عند النص؛ أن النص **{ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا }** فجاء: الحالة و الصفة للملائكة، أما مجيء الله قال **{ وجاء ربك }**

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: المجيء معلوم لكن كيف مجيئه تبارك و تعالى ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: و النص لم يثبت سوى المجيء.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لم يثبت سوى المجيء، فنحن نقف عند قوله تبارك و تعالى **{ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا }**، فالملك يجيؤون صفا صفا كما أخبر سبحانه وتعالى، والله تبارك وتعالى يأتي كيف شاء سبحانه و تعالى، لأن المجيء والإتيان كما سيأتي، من صفاته الفعلية، تبارك وتعالى.

يقول لمن حوله " أرأيتم إن أنكر – يعني إن أنكر أحد- أن الملائكة تجيء؛ ما هو عندكم ؟ "؛ ماذا تسمونه ؟ يقول الله تبارك وتعالى **{ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا }** ويأتي المنكر يقول: لا، لم تأتِ الملائكة صفا صفا.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: مكذب القرآن

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: مكذب للقرآن، قالوا " كافر مكذب " فقال لهم " فكذلك من أنكر أن الله سبحانه وتعالى يجيء فهو كافر مكذب ".

فهو الآن يتكلم عن نزوله تبارك وتعالى وما يتبعه من مجيئه تبارك و تعالى.

أما صاحب الإمام أبي حنيفة *محمد ابن الحسن الشيباني* فله قول في إثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى، قال " الأحاديث التي جاءت أن الله يهبط إلى السماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث قد روتها الثقاة، فنحن نرويها و نؤمن بها و لا نفسرها. " وهذا منهج السلف -رحمهم الله تعالى- في هذه المسألة.

ولا يغيب عنكم صاحب الفضيلة سفيان بن عيينة، وهو إمام..

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جبل من حفاظ المحدثين.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: رحمه الله تعالى، سأل واحدٌ سفيان عن أحاديث الصفات وذكر منها حديث النزول: أنه عز و جل ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، فقال " هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف "، ثلاث جمل: نرويها، نقر بها، لكن لا نكيفها.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نرويها فضيلة الشيخ إذن ليس كما يدعي البعض ويقال: لا تشغلوا الناس بهذه الأحاديث وهذا الكلام الذي ربما يشكل أو يشبع لهم العقيدة. فها هو هذا الإمام يقول نرويها، يعني ما في مانع من ذكر هذه الأحاديث وبيان معناها على ظاهره، حتى عوام الناس. أليس كذلك شيخنا ؟

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: شيخ، الصفات لماذا أكثر الله تبارك وتعالى من ذكرها في كتابه ؟ كثيرة لماذا ؟ أليس لأن الله تبارك وتعالى تعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته وطلب من عباده أن يعرفوا هذه الأسماء وهذه الصفات و يدعوه بها **{ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها }**؛ معرفة هذه الأسماء وهذه الصفات: أولا تزيد في إيمان العبد، تزيد من قربه إلى الله تبارك وتعالى، تحثه على فعل الطاعة.

الآن لو تأملنا في صفة السمع وصفة البصر؛ أن الله تبارك و تعالى يسمع قولنا ويرى أعمالنا، ما هي النتيجة ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: يولد المراقبة؛ الانسان يخشى لله أو يخشى..

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: يخشى أن يراه الله تبارك وتعالى في مكان نهاه أن يكون في هذا المكان، أو أن يفقده الله تبارك وتعالى في مكان أمره أن يكون في ذلك المكان ، فمن هنا معرفة الأسماء و الصفات وتعريف الناس بها، هذه من الأمور التي حثنا الشرع عليها، لذلك قال سفيان -رحمه الله- " نرويها، نقر بها ،لكن لا نكيفها ".

أما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى؛ محمد إدريس الشافعي، يقول " القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها " من يعني بأصحابه؟ أهل الحديث !

قال " أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما "، ماهي السنة التي هم كانوا عليها ؟ قال " الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء "

فالآن يتكلم عن أئمة جبال كما وصفتهم صاحب الفضيلة، جبال، فهؤلاء الأئمة هذا معتقدهم فما حال من خالفهم ؟ خالف هؤلاء الأئمة الذين أثبتوا هذه الصفة للربّ تبارك وتعالى.

والحقيقة، الأقوال كثيرة كما أخبرتكم، نقتصر.. قول الإمام أحمد -رحمه الله- مثلا، الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- عندما تكلم عن رواية ابن منصور وقد سأله: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا، أليس تقول بهذا ؟ قال أحمد : صحيح. يقول حنبل: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى أن الله ينزل إلى السماء الدنيا قال أبو عبد الله " نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد منها شيئا إذا كانت أسانيدها صحاحا، ولا نرد على رسول الله قوله صلى الله عليه و سلم، و نعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم حق "

فهذه الجمل التي ينطق بها هؤلاء هي سبائك من ذهب، على الإنسان ان يتأمل فيها ففيها العبرة لمن أراد أن يتفهم معتقد السلف -رحمهم الله تعالى- في هذه الصفة.

لو سمحتم لي صاحب الفضيلة أختم بأبيات قالها أبو بكر ابن الإمام أبي داوود السجستاني.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: نعم صاحب السنن أبو داوود وهذا ابنه.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: هذا ابنه أبو بكر. قصيدة طويلة، يقول في أولها :

تمسك بحبل الله واتبع الهـدى	**ولا تـك بدعيـا لعلـك تـفلـــح**
و دن بكـتـاب الله والسنن التي	**أتت من رسول الله تنجو وتربح**

و قال أبيات أخرى إلى أن قال:

و قل ينزل الجبار في كل ليلة	**بلا كيف جل الواحد المتمدح**
إلى طبـق الدنـيا يمـن بفضلـه	**فتفـرج أبواب السماء و تفتـح**
يقول ألا مستغفر يلـق غافرا	**و مستمنح خيرا ورزقا فيمنح**
روى ذاك قوم لا يرد حديثهم	**ألا خاب قوم كذبوهم و قبحوا**

واسمح لي أن اقتصر على ذلك.

حفظكم الله و بارك فيكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم و بارك الله فيكم، ولكن لو حدثتنا جزاك الله خيرا أنكم ذكرتم ما يتعلق بالمجيء والإتيان، وسبق أن ذكرتم أن من أنواع النزول نزول الرب جل جلاله لفصل القضاء يوم القيامة. فهلا حدثتنا ولو بإيجاز عن معتقد أهل السنة والجماعة عن صفتي المجيء والإتيان للرب جل جلاله.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: أحسنتم بارك الله فيكم

أنتم صاحب الفضيلة قبل قليل قلتم بأن صفة المجيء و صفة الاتيان من الصفات الفعلية، معنى ذلك أن الله تبارك و تعالى يتصف بها سبحانه وتعالى؛ تتعلق بمشيئته واختياره، فيجيء متى شاء ويأتي متى شاء سبحانه وتعالى.

و قد دلت على هاتين الصفتين، و لماذا جمعتا معا ؟ لأن الأدلة تصلح للمجيء وللإتيان؛ قول الله تبارك و تعالى : **{وجاء ربك والملك صفا صفا }** الآن الله تعالى يقول: جاء ربك و الملك؛ فأثبت مجيئا لنفسه سبحانه و تعالى وأثبت مجيئا للملك، فلو أن رجلا فسر مجيء الله تبارك وتعالى بمجيء الملك، أليس في الآية...

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لا تستقيم

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لا تستقيم (جاء الملك و جاء الملك) بل جاء الله تبارك وتعالى مجيئا يليق به سبحانه و تعالى وجاء الملك مجيئا أيضا يليق بالملك المخلوق.

كذلك الآيات التي ذكرت إتيان الرب تبارك و تعالى كقوله سبحانه : **{هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة }** فالله تبارك وتعالى يأتيهم والملائكة أيضا تأتيهم، فالآن إتيان الله تبارك وتعالى يليق به سبحانه، والملائكة لها إتيان يليق بها، فلو تأملنا، هل يسوغ لهؤلاء الذين يريدون رد هذه الصفة أن يؤولوا مجيء الله تبارك وتعالى بمجيء الملك أو إتيان الله تبارك و تعالى بإتيان الملك ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لا يستقيم

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: لا يستقيم

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أو مثلا يقول جاء أمره.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: أو جاء أمره، هل يأتي يوم القيامة فقط !، أمره سبحانه وتعالى نازل إلى عباده سبحانه في كل ساعة وحين، كيف يكون فصل القضاء فقط ! بل هو مجيئه تبارك وتعالى لفصل القضاء.

و قد فسَّر المجيء أحاديث، والإتيان أحاديث صحيحة جاءت في الصحيح؛ في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم، أخبر فيها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن مجيء الله تبارك و تعالى، منها حديث أبي سعيد الخدري قال : " فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول أنا ربكم " هذا الحديث رواه البخاري و رواه مسلم في الصحيحين .

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عندما أتى إلى هذه الآية **{ و جاء ربك }** أخبر قال " فيجيء الله " وهو مفسر، حبر هذه الأمة، رضي الله تعالى عنه، فيقول " يجيء الله فيهم "، الأمم تكون جفاة جافية ويأتي الرب تبارك و تعالى، فهل لأحد أن يرد ما أخبر الله تبارك وتعالى به عن نفسه أو أخبر عنه رسوله صلى الله عليه و سلم؟

القضية صاحب الفضيلة بالنسبة للمجيء والإتيان محل إجماع عند علماء أهل السنة والجماعة.

أبو الحسن الأشعري -رحمه الله تعالى- له رسالة، يقول في هذه الرسالة " وأجمعوا " يتكلم عن معتقد أهل السنة و الجماعة " على أنه عز و جل يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا "

فالسلف مجمعون على إثبات المجيء لله تبارك وتعالى.

أبو عمر الطلمنكي؛ معروف، الإمام رحمه الله يقول " أجمعوا على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفا صفا " لماذا يأتي سبحانه و تعالى ؟ " لحساب الأمم و عرضها كما يشاء وكيف يشاء، قال تعالى - استدل بالآية- : {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة } وقال تعالى : {وجاء ربك و الملك صفا صفا} " قال " وأجمعوا " تأمل صاحب الفضيلة كيف ربط بين المجيء والإتيان والنزول؛ " وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا على ما أتت به الآثار" ثم ختمها بقوله " كيف شاء ."

فالقضية تتعلق بمشيئته سبحانه و تعالى، معتقد أهل السنة و الجماعة في هاتين الصفتين: إثبات هاتين الصفتين لله تبارك وتعالى كما يليق به، مجيء حقيقي، إتيان حقيقي، لكنهما لائقان بالله تبارك و تعالى.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: فضيلة الشيخ، إذن المجيء ليس له أقسام وأنواع، هو مجيئه وإتيانه لفصل القضاء لأجل أن يحاسب العباد، ليس مثل النزول حيث ذكرنا له أنواع وأحوال.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: أنا سأسالكم سؤالا.

لماذا ذكرنا هذه الأنواع للنزول؟

أليس لأن النص قد أتى بهذه الأنواع ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: بلى

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: والآن، النص الذي أثبت مجيء الله تبارك و تعالى يوم القيامة وأثبت إتيان الرب تبارك وتعالى يوم القيامة، فليس على المسلم إلا أن يقف عند قول الله تعالى وعند ما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم.

أما ان نتجاوز هذا؛ لا يجوز لنا أن نتجاوز هذا، بل نتقيد بما في الكتاب وما في السنة، فالأنواع عندنا أدلة فيها من قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم؛ أنواع النزول، أما المجيء والإتيان فعندنا الأدلة من الكتاب والسنة، لكنها تكلمت عن مجيء الله تبارك وتعالى لفصل القضاء وتكلمت عن إتيانه تبارك و تعالى كذلك.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: أحسنتم أحسن الله إليكم.

لعلنا فيما بقي من الوقت وهو قليل أن نذكر أحسن الله إليك أبرز الشبهات التي أثارها المخالفون حول هذه الصفة، كما تعلمون أن يردوا صفة النزول وهي الأصل وما تبعها من صفتي الإتيان والمجيء.

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: المشكلة أن المخالف وجد في عقله تشبيها قبل أن يرد هذه الصفة؛ فإذا ذُكر للرب تبارك وتعالى؛ ذكرت صفة، أول ما يقع في عقله أنها تشبه صفات المخلوقين.

أنا يحضرني قصة ذكرها العلامة الشيخ محمد أمين الشنقيطي -رحمه الله تعالى-، يقول " رجل أعمى، ولد أعمى، مات أعمى، لكنه أبصر لثوان يسيرة، - رد إليه البصر عدة ثوان-، لما رد إليه البصر كان أهله قد ذبحوا ديكا و قطعوا رأسه، ما الذي رآه خلال هذه الثواني ؟ رأس الديك ! ثم فقد البصر مرة أخرى "، قال الشيخ رحمه الله " فكان إذا قيل له جاءت سفينة إلى مدينة جدة يقول لهم : سفينة ! سفينة ! كيف هي من رأس الديك ؟ "

لماذا ؟ الآن لم يرَ من الموجودات كلها إلا رأس الديك، فأراد أن يقيس كل ما يسمع على هذا الذي رآه.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: سبحان الله

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: والمشكلة عند المخالف أنه رأى الموجودات التي حوله، وهي مخلوقات لله تبارك وتعالى، فإذا سمع شيئا لله تبارك وتعالى أراد أن يقيسه على هذا المشاهد، ومن هنا أخطأ من أخطأ وضل من ضل.

لذلك قال العلماء :[من عطل فقد شبه أولا، فقد مثل أولا]؛ وقع التمثيل في رأسه فأراد أن يفر منه فوقع في محذور شر منه وهو التعطيل، فرد قول الله و قول رسوله صلى الله عليه وسلم، فبدأوا يثيرون شبهات؛ يقولون: ينزل وقد أخبر باستوائه على عرشه، هل يخلو منه العرش عند نزوله ؟ إذا أثبتم النزول كأنكم تقولون نفيتم الاستواء، يخلو منه العرش...

فأتوا بهذه الشبهة وذكروا شبهة أخرى، قالوا : ينزل ربنا تبارك وتعالى في هذا القطر في هذه الليلة، لكن في الأقطار أخرى هناك وقت آخر للثلث الأخير من الليل يختلف باختلاف البقاع، إذن كأنكم تقولون أن الله تبارك و تعالى لا يزال نازلا ؟

وهذا إنما يقال للمخلوق ولا يقال للخالق تبارك وتعالى، الذي ليس كمثله شيء سبحانه، فهو مستوٍ على عرشه.

و لعل فضيلتكم تذكرون السؤال في الدرس الماضي عندما تكلمتم عن صفة العلو وصفة النزول، قلتم: كيف نوفق بين الأمرين؟.

فقلت لكم بأن صفة العلو صفة ذاتية وصفة النزول صفة فعلية، ونجمع بأن الله تبارك و تعالى لا يزال في علو سبحانه وتعالى؛ فالعلو ثابت له سبحانه وتعالى، علو المكان علو القهر علو المنزلة، كل أنواع العلو كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى، ومع ذلك ينزل كما أخبر عن نفسه.

لكن المشكلة لدى المخلوقات التي ترد الصفات التي تُثبَت للخالق تبارك وتعالى أنهم يقيسون صفات الخالق على صفات المخلوق، فيأتون إلى صفاته تبارك و تعالى ويقيسونها على صفات المخلوق، فيردونها بحجة التشبيه.

قد سئل أحد الأئمة، وهو الإمام إسحاق بن راهويه، وقد روي هذا عنه بإسناد صحيح، يقول: دخلت على الأمير عبد الله بن طاهر فقال له الأمير: ما هذه الأحاديث التي تروونها ؟، قال إسحاق: أي شيء ؟ أصلح الله الأمير، قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، قال: نعم رواه الثقاة الذين يروون الأحكام، فقال له الأمير: أينزل و يدع عرشه ؟ قال: فقلت يقدر أن ينزل من غير أن يخلوا العرش منه ؟، قال: نعم، قلت: و لم تتكلم في هذا ؟

إذن الله تبارك و تعالى قد أخبر عن استوائه على عرشه وأخبر عن نزوله، فما على المسلم إلا أن يسلّم أن الله تبارك و تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء كما شاء سبحانه من إله معبود يفعل ما يشاء جل وعلا .

وقد سئلت اللجنة الدائمة عن السؤال الآخر أو الشبهة الأخرى التي أثيرت، فأجابت إجابة مختصرة فكان جوابها الآتي؛ قالوا " لا تعارض بين نزوله تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من كل ليلة مع اختلاف الأقطار وبين استوائه عز وجل على العرش لأنه سبحانه لا يشبه خلقه في شيء من صفاته، ففي الإمكان أن ينزل كما شاء نزولا يليق بجلاله في ثلث الليل الأخير بالنسبة لكل قطر لا ينافي ذلك علوه واستوائه على العرش لأننا في ذلك لا نعلم كيفية النزول ولا كيفية الاستواء، بل ذلك مختص به سبحانه و تعالى بخلاف المخلوق يستحيل في حقه "، الأمور التي تستحيل في حق المخلوق هل نقول أيضا تستحيل في حق الخالق تبارك و تعالى ؟

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: لا

فضيلة أ. د: عبد القادر عطا صوفي: إذا كانت صفات المخلوق ليست كصفات الخالق فلماذا نقارن ونمثل الخالق بالمخلوق ؟ !

لذلك قالوا " بل ذلك مختص به سبحانه بخلاف المخلوق فإنه يستحيل في حقه أن ينزل في مكان ويوجد في مكان آخر في تلك اللحظة كما هو معلوم، هذا ليس إلا لله تبارك و تعالى فهو على كل شيء قدير ولا يقاس ولا يمثل بهم لقوله عز و جل : **{ ليس كمثله شيء }.**

و مما ذكرناه يتضح أنه لا تعارض بين نزوله واستوائه وأن اختلاف الأقطار لا يؤثر في ذلك."

وفقكم الله و بارك الله فيكم.

فضيلة ش. د: عبد الرحمن الرشيدان: جزاكم الله خيرا و بارك فيكم أسأل الله تبارك و تعالى أن يجزيكم خير الجزاء وأن يجعل ما قدمتموه في موازين حسناتكم.

أيها الإخوة المستمعون، كنا مع صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر ابن محمد عطا صوفي الأستاذ في قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث حدثنا مشكورا عبر حلقات، وانتهينا إلى هذه الحلقة التي حدثنا فيها مشكورا عن صفة النزول وما يتبعها من صفتي المجيء والإتيان للرب جل جلاله.

باسمكم أشكر الشيخ على ما تفضل به من استجابة لدعوة البرنامج وعلى ما قدم، فجزاه الله خيرا.

وأشكركم أنتم على انصاتكم ومتابعتكم، نستودعكم الله تبارك و تعالى آملين اللقاء بكم في حلقة أخرى والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

الفهرس:

المحاضرة الأولى:..... 1
المحاضرة الثانية:..... 12
المحاضرة الثالثة:..... 24
المحاضرة الرابعة:..... 37
المحاضرة الخامسة:..... 49
المحاضرة السادسة:..... 62
المحاضرة السابعة:..... 73
المحاضرة الثامنة:..... 83
المحاضرة التاسعة:..... 94
المحاضرة العاشرة:..... 104
المحاضرة الحادية عشر:..... 112
المحاضرة الثانية عشر:..... 123
المحاضرة الثالثة عشر:..... 135
المحاضرة الرابعة عشر:..... 144
المحاضرة الخامسة عشر:..... 156
المحاضرة السادسة عشر:..... 167
المحاضرة السابعة عشر:..... 179
المحاضرة الثامنة عشر:..... 192
المحاضرة التاسعة عشر:..... 202

المحاضرة العشرون:..... 211

ملحق: اللقاءات الإذاعية للشيخ الأستاذ _ حفظه الله_ 222

- صفة الكلام 223

* اللقاء الأول 224

* اللقاء الثاني 232

* اللقاء الثالث 239

- صفة النزول 247

* اللقاء الأول 248

* اللقاء الثاني 257

الفهرس 265